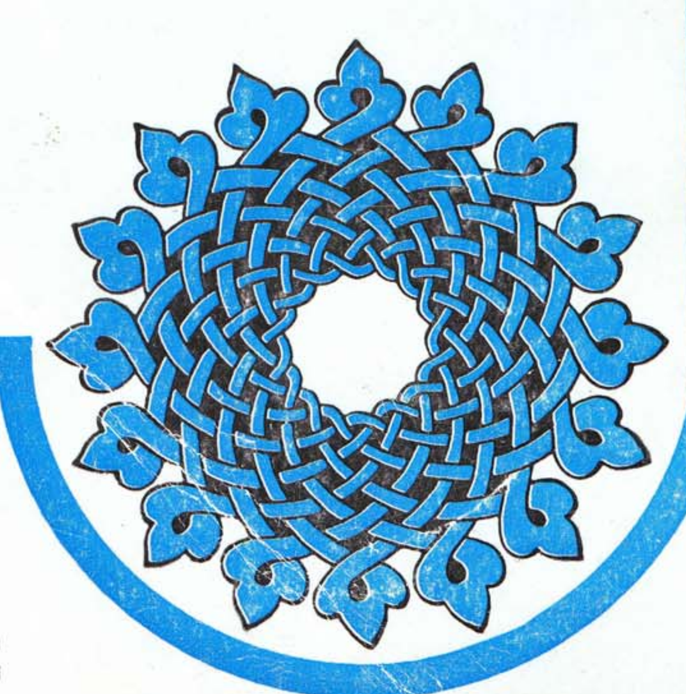


تأليف
عبد الرحمن بن حمد بن محمد السجطيلي

إفادة المستفيد

بشرح كتاب التوحيد



دار اللواء
للنشر والتوزيع

إفادة المستفيد

بشرح كتاب التوحيد



١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

دار اللـــواء
المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع الملك فيصل
ص. ب : ٢٨٥٦ هاتف : ٤٠٢٨٠٨٤ - برقياً : نشر دار

إفادة المستفيد

بشرح كتاب التوحيد

تأليف
عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي

دار اللواء
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بكتاب مفيد المستفيد
شرح كتاب التوحيد
بقلم الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته ومخالفة أمره وصلى الله وسلم على نبينا محمد أفضل خلقه وعلى آله وصحبه والتابعين لهديه، وبعد:

فإني اطلعت على هذا الكتاب المفيد الذي جمعه ورتّبه الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن حمد الجطيلي مدير المكتبة العلمية العامة ببريدة وسماه «إفادة المستفيد – شرح كتاب التوحيد» والأصل للإمام المعروف بإمام الدعوة القوية المجدد للطريقة المحمدية (محمد بن عبد الوهاب) أجزل الله له الأجر والثواب. فالمؤلف، جزاه الله خيراً، استوعب الأصل بكماله وجعله في أعلى الصفحة بعلامة «م» ونقل من مراجع كثيرة منها شروح الكتاب وغيرها ما تمت به فائدة من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل، فشرح المفردات أولاً وشرحه شرحاً مجملاً مع الاستدلال بالأدلة من كلام الله وكلام رسوله ومذاهب العلماء وتعرض للخلاف القوي في بعض الأحكام مع ترجيح بعضها على بعض فجاء ترتيبه حسناً على طريقة سهلة مفيدة واضحة وجعل في نهاية كل باب أسئلة على الباب لاستنباط إجابتها مما تقدم لما تضمنه الباب من الفوائد ليتنبه الطالب ويستفيد الراغب.. وجعل للشرح علامة «ش». والكتاب مشتمل على أنواع التوحيد الذي هو حق الله على العبيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات الذي لا يعرفه كثير من المنتسبين إلى العلم فضلاً عن العوام حتى وقع الكثير في الشرك الأكبر المنافي للتوحيد والشرك الأصغر المنافي لكماله. ولكثرة بحوثه وعظم فائدته وقرب فهمه وحاجة المسلمين إليه وبالأخص شبابنا المتعلم أشرنا عليه بطبعه ليعم نفعه وها هو يطبع لأول مرة.

فجزى الله مصنف هذا الكتاب وطابعه ومصححه والمنتفع فيه أوفر الجزاء وجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى آمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حرر في ١٣٨٨/٣/٢٤ هـ.

مقـدّمـة

بقلم مؤلف الكتاب
عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حمداً لك اللهم على آلائك وشكراً لك على فضلك وانعامك ، ولقد شرحت صدورنا بالايمان ووحدت بين المسلمين بما واليت عليهم من جودك وإحسانك فلك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما تحب ربنا وترضى وكما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله للهدى ودين الحق ليزيل الشرك وآثاره ومعالمه وظلامه ويقيم للناس ديناً نيراً بالتوحيد ويرسي أعلامه ويضيء على الكون مناره ويصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه واستنوا بسنته فهم بدور الهدى إذا أدلهم ظلامه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من أكبر الكتب نفعاً في معرفة التوحيد وأقسامه والتحذير من الشرك وأنواعه وسد الذرائع الموصلة إليه وبيان شوائبه وما يقرب منه . ولقد ألّفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحاربة الوثنية وأعمال الجاهلية على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم ، ولقد جاهد في الله حق جهاده حتى أرسى قواعد الدين على ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الراشدين ، وأشاد منار الهدى وأوهى دياجي الشرك والردى وصار الدين على الصراط المستقيم صافياً ، ولقد وفق الله آل سعود لنصرته وتأييده فجزاهم الله على ما قاموا به خير الجزاء ونصرهم وهداهم .

ولقد رأيت الحاجة داعيةً إلى تعليق على هذا الكتاب تحل الألفاظ اللغوية والمعاني الاجمالية وما تفيده الآيات أو الأحاديث من أحكام كما أربط الباب بالذي قبله بمناسبة تربط بينهما وان في تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للمنهل العذب لمرتاد الحق ولا مزيد عليه ويليه فتح المجيد الذي يعتبره العلامة عبد الرحمن بن حسن مختصراً للشرح المذكور ، وقد ساهمت بشرح الكتاب على النحو المتقدم

مشاركة في هذا العمل الجليل سميته «إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» وإن من مراجع الكتاب الشرحين المذكورين وتفسير ابن كثير والشوكاني وكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشرح الطحاوية ، ومن كتب اللغة القاموس والمصباح المنير وأقرب الموارد وقد أراجع غير ما ذكرت من الكتب .

هذا ، وأسأل الله أن يجعل عملي مقبولاً لديه وأن يكون هذا الكتاب نافعاً لمن اشتغل به ، وقد ذيلت في آخر كل باب أسئلة استنبطت أجوبتها من الباب كالانموذج ليحتذي حذوها فيما لم يوضع له أسئلة .

للمؤلف

* * *



التعريف بشيخ الاسلام على طريقة الاختصار :

هو الشيخ العالم العامل الورع الزاهد المجاهد في الله حق جهاده ذو البصيرة الناقدة والحجة على ذي الانحراف لما أفاده في كثير من مؤلفاته النافعة . فكتاب التوحيد يكاد يكون من مؤلفات الصدر الأول والاستنباط لمسائل الجاهلية وغيرها مما يدل على قوة الادراك والفهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد شرحها علامة العراق في زمنه محمود شكري الألوسي .

نسبه رحمه الله :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي .

ولادته :

ولد ، رحمه الله ، في السنة الخامسة عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة ، من البلاد النجدية ، فشبَّ وترعرع في بيت علم ودرس القرآن في سن الطفولة في تلك البلدة وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغ العاشرة ، ثم تعلَّم على أبيه وحصل بعض التحصيل وكان حاد الفهم يقول عنه أبوه : لقد استفدت من ابني محمد فوائد من الأحكام .

حياته الأولى :

يقال إن أباه توسَّم فيه النجابة وقدمهُ إماماً قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة وزوجه وهو صغير وحج واعتمر وزار المسجد النبوي ثم رجع إلى أبيه وأخذ يقرأ عليه في مذهب الامام أحمد ، وكان أبوه قاضي العيينة ، ورزق الشيخ سرعة الكتابة فكان يكتب الكراريس في المجلس الواحد لا يمل .

رحلاته في طلب العمل :

رحل في طلب العلم إلى الحرمين مكة فالمدينة المنورة وقرأ على الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني ، كما قرأ على الشيخ محمد حياة السندي المحدث المشهور وله حديثان مسلسلان عنه ، وأجازه ، ثم رحل إلى الاحساء والبصرة وطلب العلم في تلك الأقطار ومنهم المجموعي في العراق وابن عبد اللطيف الشافعي في الاحساء ، ودرس عليهما في الفقه والنحو والحديث وغيرها من علوم الدين . أما من قال إنه رحل إلى بلاد فارس وتعلم الفلسفة وغيرها فهذا خطأ ؛ فلما تمَّ له المقصود من الطلب رجع إلى بلده وأخذ ينشر التوحيد في ربوع نجد بالمكاتبات والمراسلات وكان قدومه على أبيه بعد ما ارتحل من العيينة إلى حريملاء وأخذ يقرأ على أبيه حتى توفي عام١١٥٣ هـ . وقد كان في البصرة يقصد السفر إلى الشام ، إلا أنه انثنى عزمه وعرج في طريقه على الاحساء وقرأ على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كما ذكرنا ، وبعد وفاة والدة طار ذكر الشيخ في الآفاق ثم أخذ يعلِّم وينشر الدعوة بالمكاتبات والمراسلات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وحصل بعض الخلاف من بعض الفسقة ثم رحل بعد ذلك إلى العيينة وتزوج بها وناصره أميرها ابن معمر وأخذ يوجه الناس إلى دينهم ويهدم بعض القباب المقامة على بعض الأضرحة إلى أن حصل من أمير الاحساء تهديد لأمير العيينة بأن يخرج الشيخ من عنده فأخرجه في عام ١١٥٧ هـ . فقدم الدرعية على أحد تلامذته فلما علم بذلك الأمير محمد بن سعود أتى إليه وأكرمه وتابعه وأيده ، فأخذ الشيخ يدعو الناس إلى الدين الخالص الذي لاتشوبه شائبة حتى انتشرت الدعوة في بلاد نجد والحجاز وأطراف اليمن وعمان فكتب إليه علماء الأمصار يؤيدونه بالنظم والنثر كما هو موجود ، ومعروف في تاريخ ابن غنام وابن بشر . رحمه الله رحمة واسعة إنه تعالى جواد كريم رؤوف رحيم . ثم توفي الشيخ في عام ١٢٠٦ هـ بعد أن أقر الله عينه بانتشار الدعوة في كثير من البلاد وزالت الخرافات الموجودة في زمنه ، ومرجع هذه الترجمة (تاريخ ابن غنام) .

* * *

قال الشيخ رحمه الله « م » بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي بعض النسخ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

(ش) الافتتاح بها سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المكاتبات والمراسلات التي بعثها للملوك وغيرهم وقد أمر بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أو أقطع ومعناه ناقص ، وفي رواية بذكر الله والباء للاستعانة والمعنى أبدأ تأليفي مستعيناً بالله متبركاً به ، والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو السمة وهي العلامة ، والله علم على ربنا تبارك وتعالى وهو أعرف المعارف وقيل إنه الاسم الأعظم ، ويروى عن ابن عباس في معناه أنه قال ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وأصله الاله وأنه اسم الله جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى كما في قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، ومعنى الرحمن الرحيم إسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أوسع رحمة ؛ فالرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة ، فرحمته في الدنيا عمت الصالح والطالح والبهائم وغيرها . وأما في الآخرة فرحمته خاصة بالمؤمنين وكان بالمؤمنين رحيماً ، وأما الرحمن فكما في قوله ورحمتي وسعت كل شيء كتب ربكم على نفسه الرحمة ، والرحمن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب .

وإذا عرفنا أن الافتتاح بالبسملة سنة كما افتتح بها النبي صلى الله عليه وسلم وكما في القرآن في أول كل سورة وكذا بين كل سورتين وهي آية من القرآن ، وأما معنى الحمد فهو يتضمن مدح المحمود لصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته الرضا عنه والخضوع له (قاله ابن القيم) ، والعالمين : كل من خلق الله في السموات والأرض كلهم عالم والصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى كما حكاه البخاري عن أبي العالية ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدميين التضرع والدعاء وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الصلاة

عليه فقال : قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد . وسمي محمداً لكثرة خصاله الحميدة وقيل لقيامه المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ، والآل هم الأتباع على الصحيح فيدخل فيهم أهله وأزواجه ، وقيل بنو هاشم وبنو المطلب ، ومعنى وسلم مأخوذ من السلامة والمراد بها السلامة من العيوب والنقائص والرذائل .

***

« م قوله كتاب التوحيد »

(ش) الكتاب لغة مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابة وكتباً وقد تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا والكتيبة لجماعة الخيل والكتابة بالقلم لاجتماع الحروف والكلمات بذلك ولذا سمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له . والتوحيد مصدر يوحد توحيداً ، والمعنى جعله واحداً ودين الاسلام يسمى توحيداً والله لا يتعدد بحسب المسميات فإن تعددت الأسماء فالمسمى واحد والله واحد في ذاته وواحد في ملكه وسلطانه وعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته – قال الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ، وأما تعريف التوحيد شرعاً فهو إفراد الله تعالى في العبادة وهو ما بعث به محمداً صلى الله عليه وسلم والأنبياء والمرسلين قبله وهو معنى لا إله إلا الله وهذا الكتاب مشتمل على تفسير ذلك وينقسم التوحيد إلى نوعين :

الأول : في المعرفة والاثبات الذي هو حقيقة ذات الرب تبارك وتعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد افصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح كما في أول سورة الحديد وطه وآخر الحشر وأول ألم تنزيل والسجدة وأول آل عمران وسورة الاخلاص وغير ذلك .

الثاني : في الطلب والقصد كما في سورة قل يا أيها الكافرون وقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها وأول سورة الأعراف وآخرها وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل سور القرآن فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته كذلك من حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما فعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد . انتهى من الطحاوية فهذه مقدمة نافعة في التوحيد وهي تقسيم

التوحيد وتصدير المصنف ، رحمه الله ، كتابه بهذا لينتظم به جميع أنواع التوحيد الذي تقدمت الاشارة إليه .

أسئلة :

السؤال الأول :

(أ) بيِّن الأغراض التي من أجلها ألف الشيخ كتاب التوحيد .

(ب) بيِّن حالة أهل نجد قبل الدعوة الاصلاحية .

(ج) ترجم للشيخ على طريقة الاختصار : نسبه ولادته - حياته الأولى - رحلاته في طلب العلم - ظهور النجابة عليه - كيف بدأ دعوته .

السؤال الثاني :

(أ) بيِّن معنى بسم الله الرحمن الرحيم واستدل على كونها سنة .

(ب) إشرح الحمد لله رب العالمين .

(ج) بيِّن معنى وصلى الله على محمد وآله وسلم .

السؤال الثالث :

(أ) بيِّن معنى التوحيد لغة وشرعاً .

(ب) بيِّن معنى كون توحيد الاسلام واحد .

(ج) قسِّم التوحيد مع شرح ذلك بذكر الدليل .

* * *

« م » قال رحمه الله قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون .وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .وقوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً .وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا .

« ش » **قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . المفردات** : الخلق يأتي على معنيين أحدهما تقدير الشيء والثاني ملاسته والمراد تقديره الأشياء على غير مثال سبق ،الجن مأخوذ من الستر من قولهم جن كذا إذا استتر وأما الانس فالمراد به ظهور الشيء وكل شيء خالف التوحش يقال له أنس فقالوا الانس خلاف الجن بظهورهم تقول أنست الشيء إذا رأيته وقوله إلا ليعبدون .

تعريف العبادة : مأخوذة من الذلة ،يقال طريق معبد وغير معبد أي مذلل إذا وطئته الأقدام وتعريفها

في كلام العلماء هي عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وفي تعريف ثان عبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وقال شيخ الاسلام العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وهذا تعريف جامع شامل .

المعنى الاجمالي : يخبر سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق من الجن والانس إلا لأمرعظيم وهو عبادته فهذه هي الحكمة ففعل هو الأول الذي هو الخلق ليفعلوا هم الثاني التي هي العبادة ولم يرد ما تريده السادات من عبيدها من الاعانة لهم بالرزق والاطعام والدفاع عنهم وغير ذلك بل هو الذي يرزق الجميع ويطعم ولا يطعم فخلقهم لأمرهم ونهيهم وقال علي رضي الله عنه إلا لآمرهم وأنهاهم فلقد أمرهم على لسان نبيه بالخير ونهاهم كذلك عن الشر فمن استجاب ودخل في الطاعة فله السعادة ومن لم يستجب فله الشقاوة .

الأحكام :

١ – معرفة أن الله خلق الخلق لعبادته .
٢ – وجوب الطاعة على من بلغته الدعوة في اتباع الأوامر واجتناب النواهي التي جاءت بها الرسل .
٣ – تكليف الجن بالجملة كالانس للآيات الكريمة وأن مسلمهم يدخل الجنة وكافرهم يدخل النار .
٤ – معرفة العبادة أنها التوحيد .
٥ – معرفة الحكمة في خلقهم وأنها لأجل العبادة .

وقوله ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً الآية .

« ش » **المفردات** : البعث هو الارسال والمراد بعث الرسل إلى أممهم والأمة الطائفة من الأمم السالفة والقرون الخالية والرسول هو انسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه فإن أوحي إليه بشرع ولم يأمر بتبليغه أوأمر باتباع شريعة من قبله فهو نبي وكل رسول نبي ولا عكس والرسول أفضل من النبي وقوله أن اعبدوا الله معنى العبادة تقدم وفي هذا أمر لهم بتوحيد الله وطاعته وإخلاص العبادة له وأما الطاغوت فهو مشتق من الطغيان وهي مجاوزة الحد وقد حده بن القيّم بقوله هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

المعنى الإجمالي : أخبر سبحانه بأنه بعث في كل أمة من الأمم السالفة رسولاً يدعو الناس إلى عبادته وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت فمن اتخذ معبوداً من دون الله فقد أشرك بالله فطاغوت كل قوم ما يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله أو يعبدونه أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله قال فهذه طواغيت العالم فاحرص على معرفة ذلك وتنبه لئلا تهلك .

ما تفيده الآية من أحكام :

١ - أن الله بعث رسلاً إلى أممهم وأن أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .
٢ - أنهم أمروهم بطاعة الله ونهوهم عن طاعة الطاغوت من الأصنام والكبراء والسادة والعلماء وغيرهم .
٣ - أن دين الاسلام هو دين الأنبياء وإن اختلفوا في بعض الشرائع .

« م » وقوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ......الآية .

« ش » المفردات : قضى - أمر ووصى وأوجب ومعنى إحساناً أي أمر بالاحسان إلى الوالدين وهو الرفق واللين والحفظ والنفقة والطاعة في غير معصية الله وأما الرب فهو المالك المتصرف بعباده .

المعنى الاجمالي : في الآية الكريمة وصيته تعالى إلى عباده بعبادته وإخلاص العمل له ومن أجل هذا أنزلت الكتب وأرسلت الرسل ومن أجل هذا خلقت الجنة والنار كما وصى في الآية بالاحسان إلى الوالدين وبرهما وصلتهما وفي هذا تنويه بحقهما حيث إنه قرن حقهما مع حقه كما أمر بعبادته وطاعته أمر بالاحسان إليهما حتى قال تعالى : « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا » . وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر رضى الرب في رضاهما وسخطه في سخطهما ومن برهما الإنفاق والطاعة في كل ما يأمرانك به ما لم يكن معصية لله . والرسول لما جاءه رجل فطلب الجهاد ، فقال : أبواك حي ، فقال : ففيهما فجاهد ، أوكما قال : وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين . الحديث . ومن البر والصلة بعد موتهما الاستغفار لهما والصدقة عنهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وبر صديقهما .

ما تفيده الآية من أحكام :

١ - أن الله أمر ووصى وأوجب عبادته دون من سواه .
٢ - أمره ووصيته بالاحسان إلى الوالدين .
٣ - أن قضاءه بمعنى الأمر والايجاب لا بمعنى التقدير الكوني .

« م » وقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً .

ش « ش » **المفردات** : الشرك هو اتخاذ الأنداد والشركاء لله من أي نوع من أنواع المعبودات سواء صالحين أو طالحين أو أحجاراً أو رسلاً أو شجراً أو ملائكة فكل هذه الأشياء إذا صرفت لها أي نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله فقد أشركت - وذي القربى وهم قرابة الرجل التي تجمعهم رحم واحدة ولو كان بعيداً - واليتامى وهو من لا والد له ولم يبلغ رشده والمسكين وهو من يجد بعض الكفاية أو لا يجد شيئاً أصلاً وإذا أطلق دخل فيه الفقير والمسكين أحسن حالاً من الفقير والجار ذي القربى والجار الجنب بدأ بجار القرابة لأنه أحق بالصلة والعطف من غيره سيما إن كان مسلماً ويليه

الجار الجنب قيل إنه المجاور لدارك والصاحب بالجنب يدخل فيه رفيقك في السفر والزوجة وابن السبيل هو المسافر المنقطع سمي ابن السبيل لملازمته الطريق وما ملكت أيمانكم هم الاماء والعبيد والبهائم .

المعنى الاجمالي :

أمر سبحانه وتعالى بعبادته وإخلاص الطاعة وترك الشرك قليله وكثيره وهو أعظم الذنوب عنده تبارك وتعالى ولا يقبل عمل مع الشرك وفي هذه الآية أمر من الله بتوحيده والابتعاد عن الشرك وهو المقصود من إيراد المصنف للآية كما أمر بطاعة الوالدين وصلتهما وقرن حقهما مع حقه ليدلك على عظم ذلك وأمر عباده بالاحسان إلى الأقرباء واليتامى والمساكين والمسافر والمنقطع في طريقه والجيران مع أنهم على ثلاث درجات الجار المسلم القريب والجار المسلم الجار الكافر ويأتي بيان حقوقهم كما حثت الآية على الاحسان على الرفيق في السفر وحسن العشرة والتلطف والاعانة وبذل ما يحتاج إليه من الطعام وغيره كما أمر سبحانه بأن يحسن الرجل إلى زوجته ويعاشرها المعاشرة الحسنة وينفق النفقة اللائقة بها من كسوة وطعام كما أن الاسلام لم يهمل حق المماليك من الآدميين والبهائم بل ينبغي الرفق بهم وعدم تكليفهم ما يشق عليهم من عمل أو حمل واطعامهم مما يأكل وإلباسهم مما يلبس وهذا هو الأفضل وكذا الإنفاق على البهائم وعدم تضييعها والواجب على السيد النفقة على مماليكه على قدر حاجتهم والأفضل أن يكون من مأكله وملبسه .

ما يستفاد من الآية من أحكام :

١ – الأمر بعبادة الله وتحريم الشرك به قليلاً كان أو كثيراً .
٢ – تعظيم حق الوالدين حيث قرن حقهما مع حقه .
الأمر بصلة الأرحام .
٤ – الأمر بالإحسان إلى الأيتام والعطف عليهم .
٥ – أمره بصلة المسكين وهو من يجد بعض الكفاية ويكون الفقير داخلاً فيهم دخولاً أولياً لأنه أشد حاجة من المسكين على اصطلاح الفقهاء . وكما ورد في القرآن التفريق بينهما .
٦ – أمره بصلة الجار القريب لاجتماع ثلاثة حقوق إذا كان مسلماً وجارا وإذا كان مسلماً فله حقان حق الاسلام والجوار وجار له حق واحد وهو الجار الكافر له حق الجوار .
٧ – الأمر بالعطف والاحسان والانفاق على الزوجة وحسن العشرة والمعاشرة .
٨ – أمره تعالى بالاحسان إلى المماليك وعدم تكليفهم أعمالاً تشق عليهم . أو التقتير عليهم بالنفقة والكسوة ويدخل في ذلك البهائم .

***

« م » وقوله تعالى : « قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا

تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

« ش » قبل أن نتكلم عن مفردات هذه الآية ومعناها نورد بعض الآثار الواردة في ذلك قال الشوكاني في تفسيره لقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أيكم يبايعني على هؤلاء الثلاث آيات – قل تعالوا إلى ثلاث آيات ثم من وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخرها إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه وأخرج ابن أبي شيبة وذكر بسنده إلى كعب الأحبار أول ما أنزل بالتوراة عشر آيات وهي العشر التي أُنزلت من آخر الأنعام قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم الآيات وورد أن كعباً أقسم أن هذه الآيات أول ما نزل من التوراة قال قلت وهي والوصايا العشر التي في التوراة ثم قال بعد كلام ولليهود بهذه الوصايا عناية عظيمة وقد كتبها أهل الزبور في آخر زبورهم وأهل الانجيل في أول انجيلهم وعلى ما تقدم يدلك دلالة عظيمة على عظم هذه الوصايا العشر التي كتبت على كثير من أهل الملل المختلفة .

المفردات :

قل يا محمد تعالوا : تقدموا وهلموا وأقبلوا . أتلوا : أقرأ ما حرم ربكم عليكم : أي أقرأ الذي حرمه عليكم ، والمراد : تلاوة الآيات المشتملة على ذلك . ألا تشركوا : أي أتلوا تحريم الإشراك . وبالوالدين إحسانا : أي أحسنوا إلى الوالدين إحسانا . وتقدم : ولا تقتلوا أولادكم من إملاق : لما ذكر حق الوالد على الولد ، ذكر حق الولد على الوالد ، والاملاق : هو الفقر أي لا تقتلوهم خشية فقر أو فاقة لأن العرب تقتل البنين والبنات خوف الفقر ، وتقتل البنات خوف العار وهو المراد بالموؤدة ، لقوله تعالى : « وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنبٍ قتلت » . الفواحش : المعاصي كلها ومنه : ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ، ما ظهر المراد بالظاهر : المعلن . وما بطن : الباطن : السر . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله : اللام في النفس الجنس والمراد به النفس المعصومة التي حرمها الله ، أي لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، أي بما يوجبه الحق . والمراد : لا تقتلوها بحال من الأحوال إلا بالحق ذلكم إشارة لما تقدم . وصاكم به : أي أمركم وأوجبه عليكم . ولا تقربوا مال اليتيم : أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالخصلة التي هي أحسن أي ما فيه صلاحه وحفظه وتنميته ويشمل جميع وجوه الاصلاح من تجارة وغيرها حتى يبلغ أشده أي إلى غاية هي أن يبلغ اليتيم أشده وهو رشده ورشد الطفل

هو بلوغ سن التكليف مع ايناس الرشد وهو أن يكون في تصرفاته في ماله سالكاً مسلك العقلاء لا يسلك مسلك أهل السفه والتبذير كما في قوله : « فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » وقوله : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » أي بالعدل والعطاء عند البيع والشراء فلا يزيد في الكيل والوزن إذا أخذ ثم ينقص إذا أعطى . لا نكلف نفساً إلا وسعها : أي طاقتها وما تستطيع من التكاليف . وإذا قلتم فاعدلوا أي مطلوب منكم تحري العدالة مع القريب وفي أداء الشهادة وتحملها ولو كان ذا قربى أي ولو كان المقول له أو المقول فيه ذا قرابة . وبعهد الله أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم ومن جملته ما تلى في هذه الآيات . قوله وصاكم به : أي أمركم به أمراً مؤكداً لعلكم تذكرون فتتعظون بذلك وأن هذا صراطي مستقيماً ، الصراط : الطريق ، والمستقيم : الذي لا اعوجاج فيه وهو طريق الله وضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله باتباعه ونهى عن اتباع طريق غيره . السبل : الطرق المتباينة وهي طرق الشيطان ودعواته وأهل البدع والأهواء . تتفرق بكم أي تميل بكم عن طريق الرشاد عن سبيله وهي طريق دين الاسلام ذلكم الاشارة فيه كالذي قبله إشارة إلى ما تقدم وصاكم به أكد الوصية بذلك لعلكم تتقون ما نهاكم عنه .

المعنى الاجمالي للآيات :

هذه الآيات الكريمات (مشتملات على وصايا عظيمة) منه تعالى بخلقه ولذلك تسمى آيات الحقوق العشرة ، وهي وصية الله لكثير من الأمم السالفة ومن ضمنها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله ذلك قرآناً يتلى في المصحف فأمر بعبادته سبحانه وترك عبادة من سواه وأمر بالاحسان إلى الوالدين وصلتهما وبرهما وأمر بعدم قتل الأولاد خشية فقر أو ضيق من العيش أو الفاقة وأخبر أنه يرزقهم جميعاً ، وما من دابة إلا على الله رزقها وجعل ما تقدم من وصاياه التي ينبغي للانسان أن يعقلها فإذا عقلها فإنه حري أن يتذكره فإذا تذكره فإنه حري أن يتقي الله سبحانه . كما نهى سبحانه عن تناول مال اليتيم وتناوله بأي وجه من الوجوه إلا بالاحسان وتنميته وتزكيته . أما الأكل أو التبذير فهذا محرم ، ونهى ولي اليتيم عن قربانه على هذا الوجه أما وجه الاصلاح فهذا مطلوب رغب فيه أما إذا بلغ الطفل الرشد وأحسن البيع والشراء والتصرف عند ذلك يدفع إليه ماله إلا أنه يحسن قبل البلوغ اختباره إعطاؤه قليلاً من المال يتصرف فيه فإن أحسن دفع إليه المال وإلا فلا . ومما اشتملت عليه هذه الوصايا الأمر بالوفاء عند الكيل أوالوزن ويكون كيله لنفسه إذا قبض أو إذا باع على غيره وافياً لا يبخس فيه ، وأن يكون ذا عدالة في المعاملات وكذا الشهادة تحملا وأداء مع القريب والبعيد كأب وولد مع أبعد الناس ، كما تناولت الآيات الوفاء بالعهود وتحريم الغدر كما حرمته السنة لأن الخيانة مذمومة شرعاً وعقلاً فلا يحصل الغدر إلا مع ضعف الوازاع الديني كما هو حاصل ومشاهد فلا ينبغي للعبد أن يخون إذا أعطى عهداً أو ميثاقاً ، ثم أكد الوصية بذلك لعلكم تذكرون عن الله ما تقدم فتعملون بها وما يأتي بعدها من الأمر باتباع صراطه

البين الواضح وهو المحجة البيضاء ونهى عن اتباع الطرق المنحرفة عن طريقه وهي طرق الشرك والظلام والابتداع في الدين الذي لم يأذن الله به فمن عقل عن الله وصاياه وتذكر أمره وما نهى عنه حريٌ أن يتقيه حق تقاته والله الموفق .

الأحكام (ما تفيده الآيات من الأحكام) :

١ – النهي عن الشرك وعبادة ما سواه والأمر بعبادته وحده لا شريك له .
٢ – أمره ووصيته بطاعة الوالدين وبرهما وصلتهما والنفقة والحفظ وما يدخل في اسم الطاعة .
٣ – النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر وأن الله هو الرزاق للجميع .
٤ – النهي عن قربان الفواحش ويشمل جميع المعاصي وما أسر منها وما أعلن .
٥ – نهيه عن قتل النفس المعصومة الدم بخلاف ما كان بحق كالقتل بالقصاص أو المحصن الزاني أو المرتد فإن هؤلاء غير معصومين .
٦ – وصيته بذلك وأمر بالعقل عن الله أمره .
٧ – النهي عن تناول مال اليتيم أخذاً واعطاء والتعدي عليه بأكل أو غيره إلا بطريقة الاصلاح والتنمية لماله .
٨ – النهي عن البخس أو التطفيف بالكيل والوزن والأمر بالوفاء .
٩ – التخفيف عن الأمة وعدم تكليفهم ما لا يطاق .
١٠ – الأمر بالعدالة على القريب والبعيد في كل شيء .
١١ – الأمر بالوفاء بالعهد وعدم نقضها بالخيانة .
١٢ – وصيته بالتذكر عن الله وصيته وأوامره .
١٣ – الأمر باتباع طريق الاسلام وأوامره .
١٤ – النهي عن ابتاع طرق البدع والضلال .
١٥ – وصيته بالتقوى وهي فعل المأمور وترك المحظور .
١٦ – أن الأمم السابقة قد أمروا بطاعة الله وتوحيده ولهذا ذكرها المصنف هنا .

* * *

« م » عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : « قل تعالوا أتلوا إلى قوله وان هذا صراطي مستقيماً الآية .
ش : ابن مسعود هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي من القراء ومن أهل بدر ومن أهل بيعة الرضوان ومن علماء الصحابة وقد أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من أراد أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد .

الشرح :

قوله من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم أي لو أوصى بوصية مكتوبة فإنه لا يزيد على ما في هذه الآيات . وتقدم شرح الآيات ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بوصية مكتوبة وقد طلب قلماً وقرطاساً ليكتب لأبي بكر ثم لما كثر الناس عنده أمر بأن يخرجوا ، وكما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة قبل بدء المرض ، فقال لها : ادعي أباك وأخاك لأكتب لأبي بكر لئلا يختلف عليه الناس ، ثم قال معاذ الله أن يختلف المسلمون على أبي بكر فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بوصية مكتوبة ، لكن قول ابن مسعود هذا يدلك على مكانة هذه الآيات هو أن النبي لو أوصى لما زاد على ما فيهن التي فرضت على الأمم السابقة قبلنا واشتمالها على الأمر بطاعته وعبادته والنهي عن ضد ذلك وهذه الوصايا العظيمة المشتملة عليها هذه الآيات الكريمات هي موافقة لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أوصى .

أسئلة :

السؤال الأول :

(أ) اشرح المفردات الآتية :-

تعالوا ، أتلوا ما حرم ربكم عليكم ، من إملاق ،ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن

(ب) ما الإشارة إليه في قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . وما معنى قوله حتى يبلغ اشده ، وأوفوا الكيل/وبالقسط .

(ج) ما المراد بالعدل . وما معنى هذا صراطي مستقيماً ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

(د) بيِّن معنى التقوى في قوله (لعلكم تتقون)

السؤال الثاني :-

(أ) اشرح الآيات شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيها من أحكام.

(ب) هل كتب النبي صلى الله عليه وسلم وصية مكتوبة ؟

(ج) ما المراد من قول ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم .

(د) اذكر ما تعرفه عن ابن مسعود .

(ه) ما الغرض من إيراد المصنف لهذه الآيات والآيات قبلها .

* * *

« م » : وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار . فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من

لا يشرك به شيئاً. فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس. قال : لا تبشرهم فيتكلوا». أخرجاه في الصحيحين فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية : أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه.

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله فيه معنى قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد.

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة : أن دين الأنبياء واحد.

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله فمن يكفر الطاغوت ، الآية.

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل :

أولاها : النهي عن الشرك.

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثمان عشرة مسألة بدأها الله بقوله : «لا تجعل مع الله إلاهاً آخر ، فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً». ونبهنا الله سبحانه على شأن هذه المسائل بقوله : «ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة»..

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً».

الثانية عشرة : معرفة حق الله علينا.

الثالثة عشرة : التنبيه على وصية رسول الله عند موته.

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم لما يسره.

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة : قول المسئول عما لا يعلم الله ورسوله عنه.

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون البعض.

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة.

« ش » تعريف : معاذ : هو معاذ بن جبل بن عمر انصاري خزرجي بدري عالم وهو أعلم الصحابة في الحلال والحرام أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن صنعاء وما والاها من جملة الصحابة الذين أمروا هناك . وكان معاذ معلماً ، وقاضياً ، ووالياً ، وجابياً وبقي في اليمن إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المفردات :

رديف : الرديف هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة على حمار اسمه عفير أهداه له المقوقس ملك مصر . قوله أتدري ما حق الله على العباد : قال الشارح الدراية هي المعرفة ، وأوقع السؤال في صيغة الاستفهام ؛ لأنه أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم ، وحق الله على العباد هو الذي أوجبه عليهم وجعله متحتماً وهو من أجله خلقهم . وحق العباد على الله : العباد لا يستحقون شيئاً أصلاً ، ولكن من فضل الله وكرمه أن وعدهم بذلك كما في قوله تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . وكما في قوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . ثم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وعبادة الله هي توحيده وطاعته باتباع أمره واجتناب نهيه وتقدم تعريفها وكذا الشرك . وحق العباد على الله تقدم قريباً . قوله : « أفلا أبشر الناس ، قال : لا تبشرهم فيتكلوا » . البشارة : بشر بالكسر وهي في الخير ، وبشر بكذا يبشر مثل فرح ، وزنا ومعنى وهو الاستبشار كما في قوله : « فبشرناها باسحاق » والبشارة مرغب فيها وهي غالب فيما يسر وقد تأتي للشر كما في قوله : « فبشرهم بعذاب أليم » . قوله أخرجاه في الصحيحين أى البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة .

المعنى الاجمالي : للحديث مختصراً :

خص الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً بهذا الحديث وأردفه خلفه وأمره بكتمه عن الناس لئلا يتكل الناس ، ويتركوا العمل ، كما بين في هذا الحديث أن أعظم شيء افترضه عليهم وأمرهم به هو عبادته وطاعته وإخلاص العبادة له دون من سواه لا قليلاً ولا كثيراً فإذا قاموا بواجب العبادة وأخلصوا له فإن الله يمتن عليهم ويتفضل جوداً منه وكرماً سبحانه أن كتب على نفسه هذا الحق ويكون ثوابهم الجنة لا بمقابلة أعمالهم ويكون التوحيد سبباً في دخول الجنة لا كالثمن لأنه لن يدخل أحد الجنة بعمله حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال : « لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته . وبشارة المؤمن بمثل هذا الفضل مرغب فيه لكن قد يخص بهذه البشارة البعض دون الآخر كما أمر الرسول في كتمان ذلك خوفاً من الاتكال وترك العمل وخاصة أهل الجهل والجفا وأما الأكياس فإنهم يسارعون بالأعمال كما قال الله تعالى : « إنهم يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين » . ثم أخبر معاذ رضي الله عنه بهذا الحديث عند موته خوفاً من معرة كتمان العلم والله أعلم .

فائدة :

قال في شرح الطحاوية لما تكلم عن هذا البحث ، قال : فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به لأن السبب هو نصبه الله سبباً وكذلك الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الماشي إلى الصلاة أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك فهذا حق السائلين هو أوجبه على نفسه فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يجيبهم .

ما للعباد عليه حق واجب .. كلا ولا سعي لديه ضائع .

إن عذبوا فبعدله أونعموا .. فبفضله وهو الكريم الواسع .

فأي مناسبة بين قول الداعي (بحق السائلين عليك) وبين قوله (وبحق نبيك) أو نحو ذلك فالجواب إن معنى قوله بحق السائلين عليك أنك وعدت السائلين بالإجابة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائي فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل فكأنه يقول لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء وقد قال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين» . قال هذا ونحوه من الأدعية المبتدعة إلى آخر كلامه .

ما يؤخذ من الحديث :

١ - فضيلة معاذ بن جبل وأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ومن أفاضل الصحابة .

٢ - جواز الإرداف على الدابة وبالأخص الحمار .

٣ - تواضعه صلى الله عليه وسلم وركوبه الحمار بخلاف ما عليه أهل الأنفة والكبر .

٤ - جواب الانسان إذا سأل عما لا يعلم أن يقول الله ورسوله أعلم ولا يطلب المحالات بالأجوبة .

٥ - معرفة حق الله الأعظم وأنه عبادته وعدم الاشراك لا قليلاً ولا كثيراً .

٦ - تفضله وامتنانه على عباده إذا أدوا حقه أنه لا يعذبهم .

٧ - استحباب بشارة المسلم بما يسره .

٨ - جواز كتمان العلم للمصلحة وبالأخص من ليس له أهل .

٩ - الاتكال بدون عمل مناف للتوحيد فلا بد من الأعمال المأمور بها مع الاتكال ففيه الرد على المرجئة لفعله صلى الله عليه وسلم وأمره .

١٠ - إلقاء المسائل العملية بصيغة أسئلة ليتنبه المتعلم .

أسئلة :

١ – بيِّن المفردات الآتية : ما هو الرديف – ما هى الدراية . لماذا أورد السؤال في صيغة الاستفهام في قوله ما حق الله ؟

٢ – بيِّن معنى حق الله على العباد وحق العباد على الله وهل هو بمعنى حق للمخلوق على المخلوق . وضح الفرق بين قولك بحق ممشاي وبيِّن قولك بحق نبيك أو فلان .

٣ – بيِّن البشارة معنى ، وهل هي مستحبة وما تأتي له غالباً ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيِّن ما يدل عليه من أحكام .

***

« م »

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب :

قال وقول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

« ش » الباب لغة المدخل إلى الشيء وهو ما يتوصل به من داخل إلى خارج وبالعكس وأصله بوب جملتها أبواباً متميزة والتبويب استعمل لتنشيط القارىء ألا ترى أنه إذا قرأ الباب نشط لقراءة ما بعده قوله فضل التوحيدوالتقدير هذا باب بيان فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب ويجوز فيما أن تكون مصدرية أي وبيان تكفيره الذنوب وأما المناسبة فإنه لما ذكر التوحيد ناسب أن يذكر بعده فضله وسببه وتكفيره للذنوب ترغيباً وقوله الذين آمنوا الإيمان لغة التصديق قال تعالى : « وما أنت بمؤمن لنا » أي مصدق وهو شرعاً قول وعمل ونية يزيد وينقص زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية .

المفردات :

لم يلبسوا : لم يخلطوا توحيدهم بظلم أي بشرك أولئك إشارة إلى اسم الموصول لهم . الأمن : التام يوم القيامة فيأمنوا من الأهوال والمحن وهم مهتدون على الحق ثابتون عليه وضد الحق الباطل والظلام ، فهم على حق وغيرهم على ظلام .

المعنى الاجمالي للآية الكريمة :

معنى الآية أن من آمن بالله ووحده وأطاعه وعمل بأوامره واجتنب نواهيه فهو المؤمن الذي يستحق الثواب وغيره في ظلمات ضال عن الحق معرضاً عنه فلذا استحق العذاب والنكال أما المؤمن فإذا خافت الأمم واضطربت وبلغت القلوب مبلغها من القلق والشدة أمنهم ربهم من الفزع وأعطاهم ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم لقيامهم بطاعته وكونهم على بصيرة من أمرهم مهتدون غير ضالين ولا مبتدعين فجزاهم الأمن والاهتداء وقد ورد في حديث عندما نزلت هذه الآية أن الأمر اشتد على الصحابة فقالوا : يا رسول الله

وأينا لا يظلم نفسه . فقالول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لا ب لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم فاتضح أن المراد هنا بالظلم أنه الشرك لا مجرد الذنوب والمعاصي وأ فضيلة التوحيد تكفير لصغائر الذنوب وأما الكبائر فلا بد من التوبة منها .

ما تفيده الآيات الكريمة :

١ – تفسير الظلم بأنه الشرك .
٢ – أن من أخلص توحيده وعبادته لله أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة .
٣ – أن من استقام على الايمان أنه مهتد وهو على نور من ربه .
٤ – أنه لا يكفي مجرد النطق بكلمة الإخلاص بل لا بد من العمل بمدلولها .

* * *

« م »

قال عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل .اخرجاه ،ولهما من حديث عتبان فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله .

« ش » : **تعريف الصحابيّين :**

أولاً : عبادة بن الصامت بن أنيس الأنصاري الخزرجي بدري من النقباء ومن أفاضل الصحابة ومن سابق الأنصار بالاسلام .

ثانياً : عتبان بن مالك من الأنصار أيضاً أورد المصنف قطعة من حديث عتبان وهو الشاهد للباب .

المفردات :

قوله من شهد أي نطق بها عاملاً بها ظاهراً وباطناً أن لا إله إلا الله معناها نافياً جميع ما يعبد من دون الله إلا الله مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته فالله واحد في ملكه وعبادته لا يشركه في ذلك أحد قوله أن محمداً عبده ورسوله أي وشهد أن محمداً عبد الله ورسوله لأنها قرينة لشهادة ألا إله إلا الله فلقد رفع الله له ذكره فلا يذكر تبارك وتعالى ألا وهو معه في الأذان وفي شهادة الاسلام والصلاة ، وأما محمداً سمي بذلك لكثرة خصاله الحميدة وقيل لأنه يقوم المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون وهي الشفاعة العظمى . قوله عبده أخص أسمائه صلى الله عليه وسلم العبودية الخاصة كما في قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وهي العبودية الخاصة لأولياء الله وأشرفهم وأفضلهم محمد وأما العبودية العامة فكل من في السموات والأرض عبيد الله ، كما في قوله إن

كل من في السموات والأرض الا آت الرحمن عبداً وأما الرسول فتقدم وقد قال الشارح وقد قدم العبد على الرسول ترقياً من الأدنى إلى الأعلى قوله وأن عيسى عبد الله ورسوله أي وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وهو ابن مريم الذي خلقه الله من أم بلا أب وخلقه الله تعالى في قوله كن وليس هو كن ولا أنه هو الكلمة كما تقوله الجهمية أو النصارى أن الكلمة من ذات الله فعيسى من ذاته والمسلمون قالوا خلق بالكلمة لا أنه هو الكلمة وقوله روح منه أي أنه من جملة الأرواح التي خلقها الله واستنطقها وذكر شيخ الاسلام أن المضاف إلى الله إذا كان معنى لا تقوم بنفسها ولا بغيرها فإنها صفة من صفاته تعالى وإذا كان المضاف عيناً قائماً بنفسه لا يصلح أن يكون صفة الله كجبريل وعيسى وآدم ومنه خلق لكم ما في السماء والأرض جميعاً منه قوله والجنة حق الجنة اسم لما يجن أي يستر وسميت الحديقة والبستان جنان لأنه تستر ما تحتها وهي اسم لما أعده الله لعباده المتقين وهي جنان متعددة فمن شهد بذلك صادقاً مصدقاً مع ما تقدم وما يأتي فهو موحد وقوله والنار سميت ناراً لتأججها واشتعالها وقد أعدها الله لمن عصاه وخالف أمره وكفر به وهي أطباق سبع قوله أدخله الله الجنة على ما كان من العمل أي من شهد بما تقدم بصدق ويقين وعمل فإن مآله إلى الجنة ولو كان له ذنوب فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه وأما حديث عتبان أنه يحرم على الموحد المخلص وإن كان له ذنوب أن يدخل النار.

المعنى الإجمالي:

في هذين الحديثين دليل على فضائل التوحيد الخالص من شوائب الشرك برب العالمين وأن ثوابه الجنة وقد أخذت بظواهر هذه الأحاديث المرجئة ومن وافقها بأن التلفظ بالشهادتين كاف لإسلام العبد ولو لم يؤد شعائر الإسلام وأركانه. لأن ظاهر هذه الأحاديث أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، لكن عند أهل السنة والجماعة أن هذه الآثار مقيدة بالأحاديث التي تدل على كفر تارك الصلاة جاحداً لوجوبها أو متهاوناً وكسلان وخرج وقت الحاضرة ولم يصلّ كما في قوله صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وغيره من الأحاديث المقيدة لما تقدم وقد قيل للفضيل بن عياض أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله، قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان وإلا لم يفتح لك يشير بهذا إلى أن الشهادة لا تكفي وحدها بل لا بد من أركان الاسلام الخمسة. وقد قال العلماء: هل يكفي مجرد النطق بالشهادتين ويكون بذلك مسلماً؟ قالوا: إذا نطق بهما هو مسلم ويطالب بالأخرى، فإن صلى فذاك وإن أبى قتل. وهذا قول الشافعية فعلى هذا تكون الشهادتان كالمقدمة للاسلام وقد نقل في فتح الجيد عن النووى أنه قال باب لا يكفي مجرد التلفظ بل لا بد من استيقان القلب هذه الترجمة تنبه على فساد غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف بالايمان وأحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالايمان الصحيح وهو باطل فإذن لا بد من القول والاعتقاد والعمل ثم يعلم أن التوحيد الذي يكفر هذه الذنوب هو التوحيد الخالص الذي لا يشوبه

شائبة شرك ثم إن الموحد المخلص يمنعه توحيده من ارتكاب الذنوب فعند ئذ يدخل الجنة من أول وهلة أو يكون له ذنوب قد تاب منها فإن كان له ذنوب عذب عليها أو غفر الله له ، والله أعلم .

ما تفيده الأحاديث من أحكام :

١ – عظم ثواب شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

٢ – أنه لا يكفي مجرد النطق بالشهادتين ففيه الرد على المرجئة القائلين بذلك ومن وافقهم

٣ – ان النطق بهما وحده لا يكفي بل لا بد من العمل بمقتضاهما ظاهراً وباطناً نفياً واثباتاً

٤ – من قال لا إله إلا الله دخل الاسلام بشروط الإتيان بالأركان الخمسة .

٥ – الرد على الجهمية والنصارى القائلين بأن الله خلق عيسى بقول كن وأنه هو كن لأن عيسى من ذات الله أو أنه ثالث ثلاثة بل انه عبد الله ورسوله .

٦ – اعتقاد أن عيسى من جملة الأرواح التي خلقها الله واستنطقها .

٧ – معرفة أن المضاف إلى الله إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره فإنه من صفاته وإذا كان المضاف عيناً قائماً بنفسه كجبريل وعيسى وأرواح بني آدم لا يكون صفة لله فاضافته إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله .

٨ – وجوب الايمان بالجنة والناروأنهمامخلوقتان موجودتان خلافاً لمن أنكر ذلك وأنهما لا يفنيان بل يبقيان ما دامت السموات والأرض .

٩ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : قال موسى يا ربِ علمني شيئاً أذكرك به . قال يا موسى قل لا إله إلا الله ، قال يا ربِ كل عبادك يقولون قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلاّ الله كفة مالت بهن لا إله إلاّ الله . رواه ابن حيان والحاكم وصححه وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ، قال الله تعالى : «يا ابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بترابها مغفرة ... فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله . **الثانية** : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عباده .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى لا إله إلا الله ، وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشر الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله إلا الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرض سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافاً للمعطلة .

الثالثة عشرة : انك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله . إن ترك الشرك ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عَبْدَيْ الله ورسوله .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله على ما كان من العمل .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

« ش » أبو سعيد هو سعد بن مالك بن سنان أنصاري خزرجي من أجلاء الصحابة أما أبن حيان فاسمه محمد بن أحمد بن حيان والحاكم اسمه محمد بن عبد الله بن محمد الضبي صاحب المستدرك والترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي روى عن البخاري وغيره وله كتاب الجامع معرفة الحسن هو ما اتصل سنده واشتهر رجاله لا كشهرة الصحيح بل أقل منه .

المفردات :

علمني العلم ضد الجهل ورجل عالم أي تعلم العلم فعلمه قوله شيئاً اذكرك أي أمجدك وأثني عليك وأدعوك به أي أخصك بالدعاء به دون سائر الأدعية قوله قل لا إله إلا الله لا بد من الاتيان بها فلا يكفي النطق ببعضها دون البعض ومعناها تقدم قوله كل عبادك يقولون هذا أي هذه الكلمة وإنما أريد شيئاً تخصني به من بين سائر عبادك قوله لو أن السماوات السبع أي سكان السماوات وعامرهن أي من فيهن من عمار والسكان غير الله سبحانه والأرضون السبع أي سكان الأرض وما فيها من العمار في كفة أي أحد كفات الميزان ولا إله إلا الله في كفة أخرى لعظمة شأنها مالت بهن هذه الكلمة العظيمة ورجحت وثقلت بما سواها قوله بتراب الأرض أي ملء الأرض أو ما يقارب ملأها ثم لقيتني لقى الله واقعة لا محال يوم القيامة لا تشركوا بي شيئاً أي لا قليلاً ولا كثيراً لأتيتك بترابها مغفرة أي من لقى الله خالصاً من الشرك لقيه بترابها مغفرة .

المعنى الاجمالي للحديثين :

الله سبحانه وتعالى يمنّ ويتفضل على عباده حيث امتن عليهم بهذه الكلمة ويسرها ويسر النطق بها على العالم والجاهل والصغير والكبير وجعل لها ثواباً وفضلاً فمن حققها دخل الجنة . وقد يقال له ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وموسى عليه السلام مع فضله وهو من أولي العزم من الرسل احتاج إلى أن يعلمه ربه فضيلتها وأنها من أفضل الذكر والعمل مع خفتها على اللسان كانت أعظم في كفة الميزان من السماوات السبع والأرضين السبع غير الله سبحانه وتعالى ولو كن حلقة حديد لفصمتهن لا إله إلا الله وتثقل بالسماوات والأرض وعمارهن ما خلا الرب سبحانه وتعالى وإذا كان يوم القيامة تكون في كفة الرجل فتثقل بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدى البصر مملوء ذنوباً وخطايا ويؤتى بها في بطاقة لكنه لما حققها وخلص توحيده من الشوائب التي تشوبه غفر الله له ذلك وثقلت البطاقة وطاشت السجلات كما أن الله تكفل لمن لقية لا يشرك به شيئاً ولو كان أتى بذنوب تقارب ملء الأرض فإنه يغفرها جميعاً إذا شاء فالمعول على الاخلاص وما في القلب ويظهر ذلك على الجوارح كما جاء في الأثر ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقع في القلوب وصدقته الأعمال لكن لا بد أن يكون مؤدياً لأركان الاسلام المتقدم بيانها .

ما يؤخذ من ذلك من أحكام :

١ – عظم شأن لا إله إلا الله وأنها تعدل السماوات والأرض وعمارهن إلا الله عز وجل إذا خرجت من قلب مخلص .

٢ – ان الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضيلة هذه الكلمة .

٣ – وجوب الإيمان بالميزان وأن له كفتين توزن بهما الأعمال يوم القيامة .

٤ – فضيلة التوحيد وأن من حقق توحيده ولقي الله بذلك لقي الله بمغفرة ولو كانت له ذنوب كثيرة .

٥ – اثبات صفة الوجه لله خلافاً لمنكري ذلك .

أسئلة :

١ – بيِّن مناسبة فضل التوحيد لما قبله معنى الباب لغة واصطلاحاً ولماذا بوّب العلماء . ثم بيِّن فضل التوحيد .

٢ – بيِّن معاني المفردات الآتية : الذين آمنوا ، عرّف ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، عرّف الايمان وما الاشارة إليه في قوله : «أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيِّن ما تدل عليه من أحكام .

٣ - بين المفردات : في حديث عبادة : مع بيان ذكر شيء من ترجمته وكذلك عتبان وما معنى من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولماذا قدم العبودية على الرسالة ومعنى أن عيسى عبد الله ورسوله ، واذكر كلام العلماء في معنى كن ورأي الجهمية والنصارى والرد عليهم من كلام علماء المسلمين واذكر كلام شيخ الاسلام في معنى وروح منه ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيهما من أحكام .

٤ - أذكر شيئاً من ترجمة أبي سعيد وابن حيان والترمذي ومعرفة الحسن من الحديث ، ثم اذكر المفردات الآتية : معنى أذكرك وأدعوك به لو أن السموات السبع وعامرهن غيري وكذا الأرضين السبع إلى آخره وما معنى مالت بهن ثم اذكر تراب الأرض خطايا ، ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيِّن ما يدلان عليه من الأحكام .

* * *

« م » قوله باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ، وقوله ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين .

« ش » : معنى تحقيق التوحيد هو تخليصه وتنقيته من شوائب الشرك قليله وكثيره فإذا صفا إيمانه وتوحيده وأدى ما عليه غفر له بسبب ذلك ودخل الجنة بغير حساب ولا عذاب .

المناسبة :

لما ذكر فضل التوحيد ناسب أن يذكر بعده أن من حقق توحيده دخل الجنة بغير حساب وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات ، وقوله ان ابراهيم الآية .

المفردات :

الأمة : يجمع على أئمة والأمام هو الذي يقتدى به في الخير ، فإبراهيم أمة في الدعوة وفي أعمال الخير وأما القانت فهو الخاشع المطيع والحنيف المنحرف عن الشرك قصدا إلى التوحيد ولم يك من المشركين أي أن ابراهيم بتوحيده وإخلاصه - العبادة لله وحده دون من سواه بريء من الشرك وأهله منزه عن ذلك .

المعنى الإجمالي للآية :

وصف الرب سبحانه خليله بأنه أمة في الخير لدعوته وتعليمه وعمله والاقتداء به وأنه كثير الصلاة والتقرب إلى الله بأنواع القرب مطيعاً لربه سبحانه مبتعداً عن الشرك وأهله قاصداً للتوحيد ملازماً له فلهذا استحق أن يوصف بهذا الوصف وينعت بهذا النعت ولقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل عن

الأمة ، فقال : الذي يعلم الناس ، والقانت المطيع لله ورسوله . وقال عمر : الأمة الذي يعلم الناس دينهم . وقد تنوعت تعبيرات السلف عن التفسير لهذه الآية وأوردها بألفاظ مختلفة لا يخرج معناها عن ما ذكرناه .

ما يؤخذ من الآية الكريمة :

١ – أن ابراهيم امام يقتدى به في الخير .

٢ – كثرة عبادته عليه السلام وطاعته لربه وخشوعه .

٣ – ابتعاده عن الشرك قليله وكثيره ، وبعده عن المشركين بكونه حنيفاً .

٤ – أنه طالب لأنواع الخير سخيّ جواد في أنواع القرب التي تقربه إلى طاعة ربه يقوم الليل ويطعم ويدعو الناس إلى ربهم .

***

« م » عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير ، فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ، فقلت : أنا . ثم قلت : أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال : فما صنعت . قال : ارتقيت . قال : فما حملك على ذلك . قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم . قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال لا رقية إلا من عين أو حمة . قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال : ادعوا الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم . ثم قام رجل آخر وقال : يا رسول الله ادعو الله أن يجعلني منهم . فقال : سبقك بها عكاشة ، انتهى الحديث .

قال الشارح : هكذا رواه المصنف غير مروي وقد رواه البخاري مختصراً ومطولاً فيه مسائل :–

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقة .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .
السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .
السابعة : عمق علم الصحابة : لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل .
الثامنة : حرصهم على الخير .
التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .
العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .
الحادية عشرة : عرض الأمم عليه الصلاة والسلام
الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .
الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .
الرابعة عشرة : أنَ من لم يجبه أحد يأتي وحده .
الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة .
السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .
السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .
الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان فيما ليس فيه .
التاسعة عشرة : قوله أنت منهم علم من أعلام النبوة .
العشرون : فضيلة عكاشة .
الحادية والعشرون : استعمال المعاريض
الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

« ش » : حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي الهذلي مات سنة مائة وست وثلاثين وله ثلاث وتسعون سنة وسعيد بن جبير الإمام المعروف أخذ العلم عن ابن عباس في عداد أهل الكوفة قتله الحجاج ابن يوسف سنة ٩٥ هجرية والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الهمداني وبريدة بن الحصيب صحابي مشهور وابن عباس هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلّم دعاء له بقوله : «اللهم فقّهْهُ في الدين وعلمه التأويل» ولد في عام موت أبي طالب وتوفي بالطائف عام ٦٨ هجرية .

المفردات :

انقضّ بمعنى سقط البارحة : يطلق على ما بعد الزوال من الليلة الماضية ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة . أما أني لم أكن في صلاة . نفي عن نفسه الصلاة ابعاداً للرياء وعن أن يمدح بما ليس فيه . لدغ مأخوذ من لدغته العقرب أي أصابته بسمها . قوله ارتقيت : الرقية هي النفث بالقراءة مع الريق أي طلبت

من يرقيني أو فعلته بنفسي قوله فما حملك على هذا طلب منه الدليل على عمله ذلك قوله حديث حدثناه الشعبي أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة . العين : إصابة النفس الشريرة يقال أصابه بعينه أو حمة السم من العقرب أو غيرها وهي بضم الحاء وفتح الميم مع التخفيف . قوله قد أحسن من انتهى إلى ما سمع لما ذكر الدليل استحسن فعله ، ثم قال : حدثنا ابن عباس إلى آخره . قوله عرضت عليّ الأمم العرض إظهاره له عرض عليه أراه إياه انتهى قاموس فعرض الأمم عليه إظهارها له وأرى إياها قيل إن ذلك ليلة الإسراء والمعراج ، فرأيت النبي ومعه الرهط : الرهط هم العشرة فما دون ، والنبي وليس معه أحد لقلة أتباعهم إذ رفع لي سواد عظيم أي سواد الأشخاص من بعيد فظننت أنهم أمتي ؛ لأنه رآهم بالأفق فلا يرى إلا كثرتهم وأما الظن فهو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم . فقيل لي : هذا موسى وقومه أي من بني اسرائيل ، فنظرت فإذا سواد عظيم وفي بعض الروايات ولكن أنظر الأفق – فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ففي بعض الروايات ومع كل ألف سبعون ألفاً فهذه الأمة أكثر الأمم دخولاً الجنة ثم نهض فدخل منزله نهض أي قام فخاض الناس في أولئك خاض تحدث من هم الذين يدخلون الجنة وما أعمالهم وما إلى ذلك . فقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام لأنهم نشأوا فيه ولم يشب توحيدهم شائبة شرك . وقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله لأنهم أفضل أمته ، وذكروا أشياء أي غير ما تقدم فخرج عليهم رسول الله أي بعد ذلك مع احتمال أنه سمع حديثهم أو لم يسمعه فأخبروه بما قالوا وتحدثوا به فقال رسول الله هم الذين لا يسترقون أي لا يطلبون من يرقيهم ولا يكتوون أي لا يطلبون من يكويهم وعلى ربهم يتوكلون . تقول توكلت بالشيء إذا قمت به ووكلت أمري إلى فلان إذا طلبت منه ذلك فهم اعتمدوا على ربهم في جميع أمورهم وفيما أصابهم فلا يلتفتون إلى غيره في طلب شيء من ذلك قوله فقام عكاشة بن محصن بضم الميم وتشديد الكاف من أفاضل الصحابة بدري وله سبق في الاسلام من بني أسد ، قتل أثناء قتال أهل الردة – قوله ادعوا الله الدعاء الطلب من الأدنى إلى الأعلى أن يجعلني منهم وفي بعض الروايات أنه قال : اللهم اجعله منهم . فقتل شهيداً . فقام رجل آخر لم يعرف اسمه فقال النبي : سبقك بها عكاشة ، أي بهذا الفضل الكبير والسبق فاستعمل المعاريض ولم يقل لست أهلاً لذلك بل قال القرطبي : لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة وقد سد الباب خشية أن يقوم من ليس أهله .

الحرص على العمل بما جاء به رسول الله في الكتاب والسنة وعندهم رغبة أن تكون أعمالهم خالصة عن أن تشوبها شائبة من شوائب الشرك وسد جميع الذرائع الموصلة إليه وكان سبب الحديث تساؤلهم عن انقضاض الكوكب في الليل حتى ساقهم الحديث إلى الابتعاد عن مظان أن ينسب إلى أحدهم أن يعمل عملاً صالحاً وليس كذلك فنفي حصين ذلك وقال إني كنت ملدوغاً وأنه ارتقى فاستنكر عليه سعيد بن جبير ذلك ثم أجابه حصين بأن الحامل له حديث الشعبي عن بريدة بإباحة الرقية من

أجل إصابة العين أو لدغ ذوات السموم من العقارب وغيرها عند ذلك أقره سعيد واستحسن فعله للدليل ولكن ترقى به إلى ما هو أكمل من ذلك وهو الحديث الطويل المروي عن ابن عباس كما هو ثابت في الصحيح في قصة عرض الأمم عليه صلى الله عليه وسلم وفيه بيان قلة المستجيبين للأنبياء وأن من أكثرهم موسى فإنه رأى أتباع موسى وقد سدوا الأفق إلا أن هذه الأمة أكثر وأفضل وأن فيهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب وعددهم سبعون ألفاً وفي بعض الروايات فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً وهذا تفضل من الله وامتنان على هذه الأمة بسبب فضيلة التوحيد وفضيلة نبيها وشرفه وهو أفضل الأنبياء على الاطلاق فبعد ما أخبرهم بهذا الفضل والثواب قام فبحث أصحابه في من يحصلون على هذا الفضل أهم من ولد في الاسلام ونشأ عليه ومات عليه أو أصحاب محمد لفضلهم وسبقهم للاسلام أو من يكونون فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم وهم على تلك الحال وبين من هم وأنهم أناس اعتمدوا على ربهم في جميع أحوالهم في السراء والضراء والصحة والمرض فلا يرقون أنفسهم ولا يسترقون فيطلبون ذلك من أحد ولا يكتوون فهم متوكلون عليه في جميع أمورهم ولم يكن في هذا دليل على تحريم الرقية بل فيه الأفضل وسيأتي التفصيل في ذلك .

الاحكام :

ما يستفاد من الحديث :--

١ -- جواز الرقية من العين ومن لدغ ذوات السموم أي يفعله بنفسه أو يطلب من يرقيه ورقيه لغيره .

٢ -- عرض الأمم عليه صلى الله عليه وسلم .

٣ -- قلة المستجيبين للأنبياء لأن النبي رآهم ومعهم الرهط والرجل والرجلان .

٤ -- كثرة أتباع موسى عليه السلام من بين سائر الرسل .

٥ -- فضيلة هذه الأمة وأنهم أفضل الأمم وأكثرهم وأولهم دخولاً للجنة وأنهم أكثر من بني اسرائيل وأفضل .

٦ -- دخول عدد من هذه الأمة الجنة بلا حساب ولا عذاب وأنهم سبعون ألفاً ومع كل ألف سبعون ألفاً .

٧ -- خلاف العلماء هل الأفضل فعل الرقية أو تركها ظاهر الحديث أن التوكل لمن صبر واحتسب وترك الرقية أفضل وكذا الكي وأما الطيرة فسيأتي الكلام عليها في محلها أما فضيلة تركها فلأن النبي لما ذكر أن معهم سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون . وقال آخرون : التداوي لا ينافي التوكل لأن النبي رقى ورقي ولا يفعل إلا الأفضل ولبس درعين يوم أحد وهو سيد المتوكلين فاختلف العلماء لهذه الأحاديث على ما يأتي :--

(أ) أحمد بن حنبل يقول : مباح وتركه أفضل أي الكي والتداوي .

(ب) الشافعي يرى الاستحباب .

(ج) أبو حنيفة يداني به وجوب فعل الأسباب .
(د) مذهب مالك يستوي الفعل والترك .
(ه) قال شيخ الاسلام : ليس بواجب عند جماهير الأئمة وإنما أوجبه طائفة من أصحاب الشافعي قليله .

٨ - فضيلة عكاشة بن محصن وأنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب .
٩ - هديه (صلى الله عليه وسلم) استعمال المعاريض لقوله سبقك بها عكاشة ولم يقل لست أهلا لذلك ولا كذا ولا كذا .
١٠ - سد الباب بهذه المقالة وإلا لقام من ليس لذلك أهل

أسئلة :-

١ - اذكر تحقيق التوحيد لما قبله مناسبة وما معنى تحقيق التوحيد ثم بيِّن المفردات الآتية : ما هي الأمة قانتاً حنيفاً ، لم يك من المشركين . ثم بيِّن المعنى الإجمالي وما يؤخذ من ذلك من أحكام .
٢ - أذكر شيئاً من ترجمة حصين بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير والشعبي وابن عباس وبريدة ، ثم اشرح المفردات الآتية :
٣ - انقضّ . البارحة . لماذا قال إني لم أكن في صلاة . عرّف الرقية ، وعرف العين ، وعرف الحمة ، وعرّف العرض على النبي . ومتى كان وكم عدد الرهط وما هو الظن . ومعنى نهض وماذا تحدث فيه الصحابة مع تعريف التوكل وبيان فضيلة عكاشة وعرف الدعاء .
٤ - اشرح الحديث شرحاً مجملاً وما يدل عليه من أحكام مع التفصيل في استحباب الرقية أو عدمها .

* * *

« م » قوله باب الخوف من الشرك قول الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الخليل عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وفي الحديث أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال الرياء وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار رواه البخاري ولمسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار . فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر بقوله رب انهن أضللن كثيراً من الناس .

العاشرة : فيه تفسير لا اله الا الله كما ذكره البخاري

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

« **ش** » : **المناسبة** : لما ذكر الشيخ فضل التوحيد وأن من حققه دخل الجنة بلا حساب ناسب ان يذكر بعده ضد ذلك وهو الشرك فينبغي للعبد أن يخاف منه ويحذر أشد الحذر ولا يغتر .

المفردات : واجنبنى وبني أي أجعلني في جهة وجانب أنا وبني عن عبادة الأصنام قوله أن نعبد الأصنام – الصنم : ما كان منحوتاً على صورة والوثن بخلافة فيشمل الشجر والحجر والبنية وكل ما عبد من دون الله فهو وثن .

المعنى الإجمالي :

أخبر سبحانه أنه لا يغفر لمشرك لقيه مصراً على الشرك قد مات عليه ولا ينظر لعمله ويكون عمله هباء منثوراً كما قال تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً فالمشرك لا يقبل له عمل ولا يغفر له ذنب ويستوي في ذلك في حياته الدنيا أما في صحة في بدنه أو ولده أو تنمية ماله وأما ما دون الشرك من الذنوب والخطايا فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر لصاحبه وإن شاء عذبه فإن الله قادر على أن يغفر الذنوب والسيئات أما باخلاصه أو غير ذلك من الأعمال كالاستغفار والدعاء ولكن لا بد أن يدخل الجنة ولو ارتكب بعض الكبائر خلافاً للخوارج والمعتزلة وبعض الشيعة الذين يخلدون مرتكب الكبير في النار لأن الله يقول ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأثبت غفران بعض الذنوب والخطايا فأما المشرك فهو خالد مخلد في النار ليس له من ينصره ولا من يشفع له قال الشارح رحمه الله ولا فرق بين مشرك العرب وأهل الكتاب ومن ارتد عن الاسلام وقد دعا الخليل عليه السلام بأن الله يجنبه عبادة الأصنام ويجعله في جانب وهي في جانب آخر لعلمه أنه لا ينفع معها عمل فاذا حذرها الخليل وحذر منها ينبغي لك الحذر منها ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم .

ما يؤخذ من الآيتين : من أحكام :

١ – عمل المشرك حابط وهو خالد في النار .

٢ – مغفرة الله للموحدين سائر الذنوب ولكنها تحت مشيئة الله ان شاء غفر لصاحبها وان شاء عذبه عليها .

٣ – تحريم الجنة على سائر الكفار سواء من أهل الكتاب أو مشرك العرب أو من ارتد .

٤ – أن مأواهم النار وليس لهم ناصر ينصرهم أو يتولاهم .

٥ – الرد على الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة .

قوله في الحديث أخوف ما أخاف عليكم الحديث .

المفردات :

أخوف ما أخاف عليكم أي أنه يخاف على أمته من وقوعهم في الشرك ولو كان شركاً أصغر لأنه منقص للأعمال ومحبط للعمل كالرياء والرياء مأخوذ من الرؤيا ويأتي الند الشبيه والمثيل والنظير فمن دعا غير الله أورجاه فقد اتخذه ندا لله فمن مات يدعو لله ندا دخل النار فإن كان أكبر خلد فيها والا عذب على قدر ذلك ومن لقي الله لا بد من ملاقاة الله يوم القيامة براً أو فاجراً لا يشرك به شيئاً أي لا يتخذ لله شريكاً لا قليلاً ولا كثيراً دخل الجنة مصيره اليها أو يكون ثواب توحيده يكفر الذنوب فيدخلها من أول وهلة .

المعنى الإجمالي :

في حديث الرياء أخبر أنه ذو شفقة على أمته من وقوعها في الشرك والرياء لأن الناس يقعون به وهم لا يشعرون وكان يخاف منه أشد مما يخاف من المسيح الدجال لأن في الرياء فتنة ولا يسلم منها الا من سلمه الله وقد يحبط عمل صاحبه والمراؤون أول من تسعر بهم النار يوم القيامة كما في قصة الشهيد والقاري وصاحب المال وفي الحديث الآخر بيان لمكانة الشرك وعظم شأنه وأنه يدخل صاحبه النار وقد يخلد فيها إن كان مشركاً شركاً أكبر ومات على ذلك أو يعذب به في النار ثم ينقص من نور الايمان والتوحيد بحسب ما يقع في قلبه من الرياء أو الرجاء أو الخوف فكل ما يقع في القلب مما يخالف التوحيد الخالص من شوائب الشرك يكون سبباً لدخول الجنة ولا بد من لقاء العبد بربه ان كان صالحاً أو طالحاً فلقاؤه بالصالحين لقاء رحمة ورضى ولقاؤه للكافرين والعصاة لقاء غضب ومقت فيأمر به إلى النار كما يأمر بأوليائه إلى الجنة أما من كان في قلبه شيء من الشرك فإنه يدخل النار بسبب ذلك لكن لا يخلد بل يعذب ما شاء الله ثم يخرج منها .

ما يستفاد مما تقدم :

١ – ان الرياء من الشرك وأنه الشرك الأصغر لأنه أشرك مع ألله في تلك العبادة لأن الظاهر لله والباطن لمرآة الناس وله ثلاث حالات :

(أ) أن يكون الباعث للعمل مراءاة الناس فهذا العمل حابط .

(ب) أن يكون الباعث للعمل هو قصد الله ثم يطرأ عليه الرياء ثم يسترسل معه فهذا كالأول .

(ج) أن يكون العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء ثم يدفعه ولا يبقى له أثر فهذا لا يضر .

٢ – انقسام الند أو الشرك إلى قسمين أكبر وأصغر – الأكبر كدعاء غير الله والذبح لهم فهذا صاحبه خالد في النار – والثاني الأصغر : كيسير الرياء وكقولك أنا بالله وبك ما شاء الله وشئت فهذا موحد لكن لديه شوائب شرك وقد توعده الله بالنار لكن ليس كالأول بل هو مؤمن ناقص الأيمان .

أسئلة :

١ – بين مناسبة باب الخوف لما قبله واشرح الآية شرحاً مجملاً ثم بين المفردات – اجنبي وبني مع تعريف الصنم وبين ما تدل عليه من أحكام ثم بين الرد على الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من الروافض .

٢ – اشرح حديث اخوف ما أخاف عليكم إلى آخره وبين المفردات الآتية : الند – معنى من لقي الله ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما تفيده الأحاديث من أحكام .

❊❊❊

«م» قوله باب الدعاء إلى شهادة ان لا إله إلا الله وقول الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة – الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما بعث معاذا إلى اليمن قال انك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وفي رواية إلى أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب أخرجاه ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلته أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدواً على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال انفذ على

رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم يدوكون أن يخوضون ...

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم .

الثانية : التنبيه على الاخلاص لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله عن المسبه .

الخامسة : إن من قبح الشرك كونه مسبة لله .

السادسة : وهي من أهمها أبعاد المسلم عن المشركين لألاّ يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى أن يوحد الله معنى شهادة أن لا اله إلا الله .

العاشرة : ان الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الأخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله لأعطين الراية إلى آخره — علم من أعلام النبوة .

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامه أيضاً .

الحادية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .

الثانية والعشرون : الايمان بالقدر لحصولها لمن لا يسعى لها ومنعها ممن سعى لها .

الثالثة والعشرون : الأدب في قوله على رسلك .

الرابعة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .

الخامسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السادسة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب .

السابعة والعشرون : المعرفة بحق الله في الإسلام .

الثامنة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

التاسعة والعشرون : الحلف على الفتياء .

ش المناسبة :

أو الربط لما ذكر التوحيد وفضله ذكر ما ينافيه وهو الشرك ذكر هنا الدعوة إلى الله لأنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه بل ينبغي أن يتعدى نفعه إلى غيره فيدعو إلى التوحيد وهو معنى لا اله إلا الله نفياً واثباتاً .

المفردات :

قل يا محمد هذه الاشارة إلى الدعوة سبيلي أي طريقتي وطريقة من اتبعني ممن هو على هديي وسنتي وشريعتي – أدعو إلى الله أي طريقتنا الدعوة إلى الله وإلى دينه على نور من الله ، على بصيرة أي على هدى ومعرفة وبرهان لما ندعو اليه لا تخرصا وظنونا وكذلك أتباعي يدعون إلى الله على ذلك وسبحان الله أن ينزهه عما لا يليق به من الشرك وطرقه وأخلص له العبادة والتوحيد وما أنا من المشركين نفي عن نبيه أن يكون من جملة المشركين بل نزه نفسه ودعوته وبنيه عن الاشراك وطرقه وأهله .

المعنى الإجمالي :

ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن طريقة رسوله وشريعته هي الدعوة إلى الله وتوحيده وهي طريقة أتباعه على دينه من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم الدين وهي الدعوة إلى الله على نور من الله فهم أولياؤه وهم أحبته دعاهم إلى الله فأجابوا دعوته ودعوا اليه على نور منه وبرهان لا مجرد الظن والخرص مستبصراً مبصراً غيره ثم نزهه عن أن يشرك معه أحداً ولا أن يكون متلبساً بالشرك أو من أهله أو مقارباً لهم أو مداهناً في ذلك أو مكثراً لسوادهم .

ما يستفاد من الآية الكريمة :

١– معرفة طريق النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله .

٢ – أن من شرط الداعي أن يكون عالماً بما يدعو اليه عالماً بما ينهى عنه .

٣ – أن الدعوة إلى الله طريقة أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام .

٤ – تنزيه الله عن الشرك .

٥ – بعده صلى الله عليه وسلم عن المشركين وكذا ينبغي لأتباعه .

قوله عن ابن عباس لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن الحديث – تعريف معاذ تقدم ومبعثه قيل سنة عشر من الهجرة وقيل قبل ذلك .

المفردات :

فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة الا اله إلا الله دل على أن أول شيء يبدأ به التوحيد قوله إلى أن يوحدوا الله أي يخلصوا له العبادة دون من سواه قوله فإن أطاعوك لذلك أي انقادوا قولاً وعملاً واعتقاداً قوله فأعلمهم أن الله افترض أي أوجب وكتب خمس صلوات أي أوجب عليهم أداءها على الصيغة المعروفة مستكملاً شروطها وأركانها وواجباتها في يوم وليلة حيث أدى في الأوقات التي وقتت لها فإن هم أطاعوك لذلك أي انقادوا وأدوها على شرعيتها فأعلمهم أن الله افترض عليهم أي أوجب – صدقة أي الزكاة المفروضة من أغنيائهم فترد على فقرائهم – الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد فترد على فقرائه ولا تنقل إلى غيرهم فأعلمهم معاذ بعث مفقهاً وجابياً وأميراً لما تقدم قوله واياك وكرائم أموالهم الكرائم جمع كريمة وهي الأنفس والأغلى ثمناً والأجود فإياك للتحذير من أخذ الأجود بل الوسط ولا يأخذ رديئاً قوله واتق دعوة المظلوم أي اجعل بينك وبينها وقاية من مخافة الله واعدل تنجو من الظلم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب وهو الستر والحاجز فدعوة المظلوم منصورة ولو كان كافراً .

المعنى الإجمالي :

بعث الرسول عليه الصلاة والسلام معاذا إلى اليمن مرشداً ومعلماً وجابياً وقاضياً وأميراً وداعياً لتوفر الشروط فيه فبعثه يدعو أهل اليمن إلى توحيد الله وطاعته وتعليم الصلاة والزكاة وبقية شرائع الاسلام فيجب على الولاة بعث الدعاة والمرشدين لتوجيه الناس وتعليمهم دينهم وعليهم أن يبدأوا بالأهم فالأهم من أمور الدين وأن يتدرج بالدعوة فلا يكلفهم بها دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً حتى إذا رسخ الإسلام ومفاهيمه في القلوب وتلذذت به الأنفس عند ذلك انتقل إلى تعليمهم الصلاة والزكاة وهكذا بقية شرائع الإسلام وبالأخص من نشأ على الكفر وكان بعيداً عن الإسلام كما هي حال أهل اليمن وأما من نشأ على الإسلام فإنه لا يترك الإسلام إلا ارتداداً لكن لا بد من استتابته ثلاثاً فإن تاب والا قتل وليس حكمه حكم من دعي إلى الإسلام وهو لا يعرف الإسلام وكذا الدعاة ينبغي لهم أن يكونوا على بصيرة من الدعوة ويبينوا للناس محاسن الدعوة بالحجة والبيان لأن الرسول أخبر معاذا أنه يأتي قوماً أهل كتاب ليستعد للمناظرة

الحجة بالحجة حتى يعرفوا ذلك من خلال بيانه ودعوته ثم بين في وصاياه أن الدعوة إلى التوحيد أولاً ثم الصلاة ثانياً لأهميتها والزكاة وبيان مصرفها وأنها للفقراء كما بين الله ذلك في كتابه أهلها من الأصناف الثمانية وقد حذره صلى الله عليه وسلم من الظلم لأن الظلم ظلمات يوم القيامة وقد جاء أن الله يرفع دعوة المظلوم فوق الغمام ويقول الله لأنصرنك ولو بعد حين ومن الظلم أخذ أجاود المال وترك الأردى وعدم العدل بين الرعية ومن ولاه الله أمرهم فدعاء المظلوم لا يرده عن الله راد ولا يحجبه عنه حاجب .

ما يفيد الحديث :

١ – أن الدعوة قد شملت أهل الكتاب بل جميع الناس الأسود والأحمر والأبيض بل الجن والأنس .

٢ – أن الداعية يجب عليه أن يتسلح بسلاح العلم للبيان والمناظرة وتبيين أمر الدين للناس ومن ليس كذلك لا يصلح لها .

٣ – أن أعظم أركان الإسلام الشهادتان ثم الصلاة ثم الزكاة .

٤ – طريقة الدعوة في البيان والحجة والتدرج بالدعوة فيبدأ لأهم فالأهم فاذا لم تجد فالقتال كما يأتي في حديث علي .

٥ – أن الزكاة تؤخذ من الغني فتعطى للفقير حق افترضه الله لهم .

٦ – فيه دليل لمن لا يرى نقل الزكاة حيث أمره الرسول بردها على الفقراء فلا تنقل مسافة قصر وهذا مذهب أحمد .

٧ – لا يجوز للعامل أن يأخذ أطيب المال ولا الرديء بل الوسط إلا أن تجود نفس صاحب الجيد بذلك .

٨ – أن الله يستجيب دعوة المظلوم وأن دعاءه لا يرد .

٩ – معرفة الفرق بين الفرض والواجب وأن الفرض ما ثبت بدليل قطعي والواجب ما ثبت بدليل ضمني كما ذكره أهل الأصول .

١٠ – أن الفقير إذا اطلق دخل فيه المسكين وهم أشد حالاً من المساكين وكذا العكس إذا اطلق المسكين دخل فيه الفقير.

قوله عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر الحديث .

« ش » سهل ابن سعد الساعدي أنصارى خزرجي صحابي مشهور مات عام ثمانية وثمانين وقد جاوز المائة .

المفردات :

خيبر أي في غزوة خيبر وقوله رجلاً أبهمه فلم يبينه قوله يحب الله ورسوله فيحبه الله ورسوله

المحبة درجات أولها العلاقة وهي تعلق القلب بالمحبوب وقيل ميل القلب إلى محبوبه وطلبه منه وقد عدت إلى عشر درجات أعلاها الخلة قوله يفتح الله على يديه أخبر أن ذلك الرجل الذي تسلم له الراية أنه يفتح الله له فبات الناس اهتم الصحابة بهذه البشارة فباتوا يدوكون ليلتهم أي يتحدثون ويخوضون أيهم يعطاها أي فيمن تدفع له الراية منهم وينال هذه المرتبة قال عمر ما أحببت الامارة إلا حينئذ .فلما أصبحوا دخلوا في الصباح عدوا على رسول الله أي ذهبوا من أول النهار كلهم يتمنى هذه الفضيلة التي حصلت لعلي ،فقال أين علي : وفي رواية : أدعوا لي علياً ، وفي رواية لمسلم أن الرسول أرسل انسا لعلي فجاء به يقوده أرمد فبصق في عينيه وهو التفل مع الريق ويسمى البزاق فبرئ أي شفي وعوفي من الرمد قال علي ما رمدت ولا صدعت منذ دفع إليّ النبي الراية وقوله أنفذ على رسلك أي أمضِ من وقتك وساعتك على رسلك بتأنٍ وتُؤَدة ورفق بلا طيش ولا عجلة حتى تنزل بساحتهم الساحة فناء الدار كما يقال فناء الدار وهو ما حولها ثم ادعهم إلى الإسلام هذا هو المقصود من الحديث لأن فيه الدعوة إلى الله ويقال ان الرسول قال لعلي امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك وسار على شيئاً ثم وقف ولم يلتفت وصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتلهم فقال قاتلهم حتى يشهدوا الا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأخبرهم أي أعلمهم فيما يجب عليهم من حق الله تعالى أي بما هو واجب عليهم من حقوق الإسلام كالشهادتين والصلاة ، فوالله قسم منه صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً الهداية هنا هي هداية الدلالة والارشاد وتكون سبباً لهداية القلوب التي هي هداية التوفيق والقبول خير لك من حمر النعم : أي أن هذا العمل أفضل من أن تكون لك هذه الأبل فتتصدق بها قال النووي هذا ضرب مثل وتقريب وإلا ذرّة من ذرات الآخرة خير من الدنيا وما فيها . الحديث مخرج للصحيحين .

المعنى الإجمالي :

هذه الأحاديث من أعظم ما يستدل به على فضيلة علي لاثباته صلى الله عليه وسلم محبته لله ورسوله ومحبة الله ورسوله لعلي ومعلوم أن مثل هذه الشهادة لا تنبغي الا لرجل فاضل من كبار المؤمنين سيما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم صفوة الناس وخير الأمة بل خير الأمم لا كان ولا يكون مثلهم ما عدا الأنبياء والمرسلين وعلي من الخلفاء الراشدين ومن العشرة المشهود لهم بالجنة وقد شهد له النبي بالمحبة وأن الله يحبه وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يفتح الله على يديه وأنه ينصره ووقع الأمر كما أخبر وقد قيل ان علياً تخلف في المدينة في تلك الغزية فأبت نفسه المؤمنة التخلف عن غزو مع رسول الله فأتى إلى المعسكر الإسلامي في خيبر أرمد وقد تنافس الصحابة في ليلتهم وتحدثوا في ذلك الفضل فتطاول لها الفاروق لينال هذه الرفعة وهذه الشهادة فأبى الله ذلك إلا لعلي كرم الله وجهه وليس فيه دليل على تفضيله على عمر ولكن هذه الفضيلة ثبتت له دون غيره فدعاه ، الرسول وهو أرمد فبصق في عينيه ودعا له فنالته بركة النبوة والرسالة بالدعاء مع الريق الشريف فصحا وذهب وجعه وقوي بصره فلم ير رمداً بعدها ولا وجع عين عند ذلك سأل علي المرشد والرسول المصطفى عن القتال الذي أراده وكيفيته وعلى أي شيء يقاتلهم فأرشده إلى الدعوة أولاً إلى توحيد الله وتحكيم كتابه والعمل بتعاليم الشريعة وتأدية

أركانها فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا أنفسهم وأموالهم وأهليهم إلا بحق الإسلام فإن لم يفعلوا عند ذلك شرع قتالهم ثم أقسم صلوات الله وسلامه عليه أن من دل الخلق ودعاهم إلى الله وبين لهم شريعته ودينه فانقادوا وهداهم الله به فإن ذلك خيراً من الصدقة بالابل الحمر وهي أكرم وأنفس أموال العرب .

ما يفيده الحديث :

(أ) فضيلة علي رضي الله عنه وأن اثبات محبة الله هذه دليل ايمانه باطناً وظاهراً وأنه سيموت على ذلك كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية .

(ب) فيه الرد على الخوارج والمعتزلة وبعض الرافضة الذين لا يثبتون لعلي هذه المحبة وهذه الولاية .

(ج) الرد على بعض الرافضة الذين يفضلون علياً على النبي أو أنهم يرونه شريكاً في الرسالة والرد على الغالين به لأنه من جملة الصحابة ومن أفاضلهم .

(د) الرد على النواصب الذين يناصبون العداء لأهل البيت ومنهم علي رضي الله عنه .

٢ – فيه دليل على صدق نبوته حيث أخبر بالشيء قبل أن يقع وهو علم من أعلام النبوة .

٣ – جواز الرقية بالدعاء والنفث والبصاق على المريض إذا كان بأدعية معروفة أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية كما يأتي .

٤ – لا يجوز البداءة في القتال قبل الدعوة إلى الله إلا ان كانت بلغتهم الدعوة قبل ذلك لإغارته صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق حيث بلغتهم الدعوة .

٥ – أن الداعي له هذا الفضل إذا استجاب لدعوته ولو شخص ما .

٦ – حرص الصحابة على الخير وأنهم يبادرون اليه ويرغبون فيه .

٧ – اثبات المحبة لله وأن هذه الصفة ثابتة لله تبارك وتعالى ففيه الرد على منكري ذلك .

أسئلة :

١ – بين المناسبة بين باب الدعاء إلى شهادة الا اله إلا الله وما قبله وبين المفردات : ما المشار اليه في قوله هذه سبيلي وبين شروط الداعية وصفة الدعوة مع بيان ومن اتبعني وما هي البصيرة وما معنى سبحان الله ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبين ما تفيده من أحكام .

٢ – اشرح المفردات الآتية : فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة الا اله إلا الله وما معنى فإن هم أطاعوك لذلك وما هي الصلوات المفروضة وما معنى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على

فقرائهم وبين معنى اياك وكرائم أموالهم وما معنى واتق دعوة المظلوم ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام مستقصياً ما مر بك

٣ - اذكر شيئاً من ترجمة سهل الراوي الحديث وما معنى المفردات الآتية : يوم خيبر - رجلاً - عرف المحبة وما يدل عليه قوله يفتح الله على يديه ومعنى يدوكون ومعنى فلما أصبحوا غدوا - بين الرقية الجائزة وما هي الراية ومعنى انفذ على رسلك وما هي الساحة وبين الهداية المذكورة في قوله فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم وما وجه ذكر حمر النعم ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام .

* * *

« م » باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » الآية . وقوله : « وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ من ما تعبدون إلا الذي فطرني » الآية . وقوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » الآية . وقوله : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » الآية . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال لا إله إلا الله وكفر ما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل . وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فيه أكبر المسائل وأهمها وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة منها آية الاسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر ومنها آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في غير المعصية لا دعاؤهم إياهم ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني واستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله فقال : وجعلها كلمة باقية في عقبه ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم وما هم بخارجين من النار ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الاسلام فكيف بمن أحب الند أكثر من حب الله فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الاقرار بذلك بل ولا لكونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفربما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع .

« ش » المناسبة :

أو الربط لما ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضله والدعوة إليه والشرك والخوف منه الذي هو ضد التوحيد فإن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له ناسب أن يذكر بعد هذا الباب الذي حاصله هو البراءة والبراءة عن عبادة كل ما سوى الله والاقبال بالقلب والعمل على الله الذي هو معنى التوحيد وقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة الآية قال الشوكاني : الوسيلة القرب بالطاعة والعبادة أن يتضرعوا إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم أيهم أقرب بالوسيلة إلى الله أن يتقربوا إليه بالعمل الصالح ويرجون رحمته كما يرجوها غيرهم ويخافون عذابه أي كما يخافه غيرهم إن عذاب ربك كان محذوراً تعليل لقوله يخافون عذابه أي أن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة :

يخبر سبحانه أن هؤلاء المدعوّين من دونه كالملائكة وعزير وعيسى لا يملكون للداعي كشف ضر نزل به ولا تحويله عنه وهم يدعون ربهم ويتضرعون إليه سبحانه بأنواع القرب توسلاً بهذه العبادة إلى القرب منه وهم يرجون رحمته كغيرهم من عباده ويحذرون من سطوته وعقابه وحق لهم أن يخافوا عذابه لأن من أمن عذابه وسطوته فهو مغرور ومن أمن عذابه فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب التي ينبغي للعبد أن يحذرها ويبتعد عنها ويكون خائفاً من العذاب راجياً الرحمة وهذه صفات المؤمنين من الأنبياء وغيرهم المدعوّين من دون الله وهو لا يرضون بدعاء من دعاهم ولا يستجيبون له وهم من جملة عباد الله الذين يخافون عذابه ويرجون رحمته .

ما يستفاد من الآية الكريمة :

١ — أن التوحيد ومعنى الشهادة هو ترك ما عليه المشركون من دعوة غير الله .
٢ — أن العبادة لا تتم إلا بالخوف والرجاء .
٣ — أن كثيراً ممن يدعو الآلهة لا تنفعه ولا تدفعه عنه ، ويكفر بها المدعو ويتبرأ إلى الله كعيسى وغيره من الملائكة والصالحين .
٤ — أن النطق بالشهادة لا يكفي بل لا بد من الكفر بالمعبودات من دون الله .
٥ — أن دعاء الصالحين والأنبياء والملائكة بدفع ضر أو جلب نفع ، إن ذلك هو الشرك الأكبر .

وقوله : « وإذ قال إبراهيم لأبيه ..... » الآية .

المفردات :—

ابراهيم الخليل إمام الحنفاء وأبو الأنبياء عليه السلام لأبيه وقومه : نادى أقرب الناس إليه ودعاهم لأن الله قال لنبيه : « وأنذر عشيرتك الأقربين » . وقوله : « إنني براءٌ مما تعبدون » . فيه معنى لا إله .

وقوله : « إلا الذي فطرني » ، فيه معنى إلا الله فتبرأ من الشرك وأهله ، ونفى العبادة عمن سوى الله . ومعنى فطرني : أوجدني . فإنه سيهدين : يوفقني للعمل والصواب ، وجعلها كلمة باقية في عقبه أي في ذريته ، والكلمة هي كلمة الاخلاص . وقوله : « اتخذوا أحبارهم » : الأحبار هم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى . أرباباً : أي آلهة . يعبدون من دون الله : أي بالتحليل والتحريم المخالف لأمر الله . الأنداد : هم الأمثال والأشباه والنظراء . يحبونهم كحب الله : أي شركاً في المحبة ، فمن أحب معبوده كمحبة الخالق فقد اتخذه لله نداً . والذين آمنوا أشد حباً لله : أي من أهل الأوثان لأوثانهم .

المعنى الإجمالي للآيات :-

أخبر الله سبحانه عن خليله ونبيه إبراهيم أن تبرأ من اتخاذهم المعبودات والآلهة من دون الله من الأوثان وغيرها ، وأنه توجه إلى خالقه وفاطره الذي يستحق العبادة ويستحق أن يوحد يرجى ويرغب إليه . وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) وتقدم معناها مستوفى . وفوض الخليل الهداية لله لأنه هو الهادي للحق والصواب ، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعه ، فإذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه . وفي الآية الثانية إكبار منه تبارك وتعالى أن هناك طائفة من الناس اتخذوا العلماء والعباد والمشرعين أرباباً في الطاعة حيث حللوا ما حرم الله فحللوه ، وأحلوا ما أحرم الله فأحلوه فصارت هذه هي عبادتهم ويفسر ذلك حديث عدي بن حاتم الآتي : أنه قال : يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم ، فقال : أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه . قال : فتلك عبادته . وفي الآية الثالثة أن هناك طائفة أخرى اتخذوا لله شركاء في المحبة فأحبوا الأوثان والصالحين الذين يدعونهم من دون الله فمحبة الله تبارك وتعالى فهذا شرك المحبة فعملهم حابط وهم في النار ولذا قال تعالى : « وما هم بخارجين من النار » ، ولو ادعى الاسلام ما دام مصراً على محبة الأصنام والأوثان فهو مشرك . لكن هناك محبة طبيعية كمحبة المال والولد فهذه ليست داخلة في المحبة الشركية التي ذكرها بل هي محبة شفقة ورحمة لا محبة عبادة مضادة لمحبته تبارك وتعالى .

ما تفيده الآيات :-

١ - أن التوحيد لا يحصل إلا بالبراءة من الشرك وأهله .

٢ - أن التوحيد الذي دعا إليه الخليل عليه السلام لا بد فيه من الحب والبغض في سبيل الله وابتغاء طاعته ولو كان مع الأقربين كالآباء والبنين .

٣ - أن من أطاع العلماء والأمراء والمشرعين والعباد في تحريم حلال أو تحليل حرام أنه قد اتخذهم أرباباً من دون الله .

٤ - أن من اتخذ لله نداً أو شبيهاً في المحبة فقد اتخذه رباً من دون الله .

٥ - أن ما جاء به محمد هو ما جاء به الخليل إبراهيم لأنه هو التوحيد الخالص .

٦ - أنه لا بد من القول والعمل والاعتقاد والكفر بجميع ما يعبد من دون الله وإلا لم ينفعه الاسلام .

أسئلة :

١ - بيِّن مناسبة باب تفسير التوحيد لما قبله. اشرح الآية : « أولئك الذين يدعون يبتغون عند ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب . ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه .... » إلى آخر الآية مع بيان المفردات وشرحها شرحاً إجمالياً وما تفيده من أحكام .

٢ - الآية الكريمة « وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه اتخذوا أحبارهم ... » ماذا قال ابراهيم لأبيه وقومه ؟ وما يتضمن قوله انني براءٌ إلى قوله سيهدين ؟ ما هي الكلمة في قوله وجعلها كلمة باقية ومن هم الأحبار والرهبان ؟ مع تعريف المحبة المذكورة في الآية . ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً مع بيان ما فيهما من أحكام قوله في الصحيح الحديث .

المفردات :

قوله في الصحيح أي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي لم يذكر المصنف راوي الحديث قوله من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله هذان شرطان فإنه لا بد مع النطق بها من العمل بها ظاهراً وباطناً ، والثاني الكفر بما يعبد من دون الله وهو معنى الكفر بالطاغوت قوله حرم ماله ودمه أي إذا عمل بما دلت عليه هذه الكلمات من النفي والاثبات والعمل بمدلولها ظاهراً وباطناً فإنه يحرم دمه وماله إذا عمل بذلك وفي بعض الألفاظ إلا بحقها أي حق الاسلام كأن يترك شيئاً من أمور الاسلام الظاهرة كالصلاة أو الزكاة أو الحج أو يقتل مسلماً معصوماً أو يزني وهو محصن أو غير ذلك يستباح دمه ، قوله : « وحسابه على الله » أي توكل سريرته إلى الله فإنه هو الذي يطلع على ما في القلوب من إيمان ونفاق . قوله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من أبواب أي شرح تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو ما يترجم له المصنف في الأبواب الآتية .

المعنى الإجمالي : -

الحديث من أدلة الكتاب على التوحيد وأن من قال لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله لا بد مع ذلك من الكفر بما يعبد من دون الله فإنه لم يجعل التلفظ بها كافياً ولا الاقرار بها بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له فلا بد من إضافة مع ما تقدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والحديث دليل على أن من دخل في الاسلام طوعاً عصم دمه وماله وما تحت يده ومجرد النطق بها يعصم الدم والمال لكن يطالب ببقية شرائع الاسلام وأركانه كالصلاة فمتى حضرت الصلاة ولم يصلِّ ولو نطق بها فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل بعد ثلاثة أيام لقول الرسول في الحديث إلا بحقها والصلاة من حقوق الاسلام ولأنه من ترك الصلاة فقد كفر وكذلك الزكاة فإن أبا بكر قاتل مانع الزكاة وقال : لو منعوني عناقاً أو عقالاً يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على ذلك مستدلاً على هذا بالحديث ووافقه الصحابة على

ذلك وكذا قول عمر لقد هممت أن أكتب إلى هذه الأمصار إلى من كان عنده زاد وراحلة فلم يحجا فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين وكذا من ارتد عن الاسلام لا يكون معصوماً فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وكذا من قتل نفساً معصومة حل دمه والزاني المحصن يرجم والمقصود أن من أتى بالشهادتين وحقوقها فإنه يعصم دمه وماله . قال الشارح رحمه الله : قلت ، وقد أجمع العلماء على معنى ذلك فلا بد من العصمة من الاتيان بالتوحيد والتزام أحكامه وترك الشرك والله الموفق .

ما يستفاد من الحديث :

١ – أن من نطق بالشهادتين دخل في الاسلام ويعصم دمه وماله ويطالب ببقية شرائع الاسلام فإن أتى بها وإلا لم يكن مسلماً .
٢ – أنه مع النطق لا بد من العمل بمدلولها ليصلّ ظاهراً وباطناً مع الكفر بما يعبد من دون الله .
٣ – ان من اتى بما تقدم يطالب بحقوق الاسلام كالصلاة فمن لم يصلّ ليس بمسلم والزكاة وهكذا كما تقدم في الشرح .
٤ – أن من ارتكب محظوراً يبيح دمه ليس معصوماً كقتل النفس بغير حق والزاني المحصن

سؤال :

اشرح حديث أبي مالك من قال لا إله إلا الله إلى آخر الحديث شرحاً وافياً ، مع بيان ألفاظه وذكر ما يدل عليه .

***

« م » باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ، قول الله تعالى : « قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره » الآية . عن عمران بن حسين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر . فقال : ما هذه ؟ قال : من الواهنة . فقال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً رواه أحمد بن بسند ، لا بأس به وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعه فلا ودع الله له . وفي رواية من تعلق تميمة فقد أشرك ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه . وتلا قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

فيه مسائل :–

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .
الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة لقوله لا تزيدك إلا وَهْنا .

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

السابعة : التصريح بأن تعلق شيئاً وكل إليه .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن أصحابه يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع من العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له أي ترك الله له .

« ش » **المناسبة** : لما ذكر المصنف تفسير التوحيد ناسب أن يذكر أنواع الشرك فبدأ بما ينافي كماله وقد ابتدأ بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى كما هي طريقة العلماء وقد يبدأون بالعكس حيث بدأ بالشرك الأصغر ليرتفع إلى الأكبر **قوله لرفع البلاء** أي بعد ما نزل **أو دفعه** قبل أن ينزل .

المفردات :

قل يا محمد **أفرأيتم ما تدعون من دون الله** من الأوثان والأصنام من دون الله أي **تخصونها** وتضرعون اليها هي حال كفار قريش – **أن أرادني الله بضر** أي ببلاء ومرض ونقص في أهل أو مال **هل هن كاشفات ضر** أي هل تستطيع أن تزيل ذلك وترفعه **أو أرادني برحمة** أي بخير ورزق وصحة وغيرها **هل** تستطيع منع ذلك ولا تستطيع شيئاً من ذلك أبداً **قل حسبي الله** أي كافي من دون هذه الأوثان وغيرها .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة .

في الآية توضيح لمن اتخذ الآلهة والمعبودات من دون الله من الأوثان أو غيرها مما ينافي التوحيد أو كمال التوحيد من اتخاذ الحروز والخيوط على الدوام والصبيان وغيرها إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر من دون الله أو مع الله فهذا كله منافٍ للتوحيد أصلاً كمن اتخذ الآلهة أو لكماله وهو الذي يتخذ الحروز والخيوط وما شاكلها لاعتقاد أنها تنفع فلذا أمر نبيه أن يخبر كفار قريش أن هذه المعبودات ليس في استطاعتها نفع أو ضر فلا ترفع بلاء ولا تدفعه والذي يملك ذلك هو الله كاف من توكل عليه وأناب اليه كما في الأثر المعروف .

ما يستفاد من الآية من أحكام :-

١ - دلت الآية على بطلان جميع ما يدعى من دون الله وأنها لا تنفع ولا تضر .
٢ - أن الخير والشر والرحمة وضدها بيد الله سبحانه يسوقها لمن يشاء ويصرفها عن من يشاء .
٣ - أن من توكل على الله كفاه الله كل شيء .
٤ - استدلال السلف بما نزل في الشرك الأكبر على تحريم الشر الأصغر كما هنا .
٥ - استدلال السلف على تحريم تعليق الخيوط والخرز والودع كما تقدم في كلامهم .

قوله عن عمران بن حصين أبو نجيد من خزاعة أسلم عام خيبر .

المفردات :-

رأى رجلاً في رواية أن الداخل عمران حيث أبهم في هذه الرواية . ما هذه استفهام إنكار . فوله في يده : جاء في بعض الروايات أنها عضده . من الواهنة : هي عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها - تأخذ الرجال دون النساء - . قوله انزعها : النزع : هو الجذب بشدة وبقوة وفي رواية انبذها وهو أبلغ من انزعها لا تزيدك إلا وهناً مرضاً على مرضك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً . الفلاح : هو السعادة الأخروية فنفيت عمن تعلق قلبه مثل هذه التمائم والخرز لدفع هذه الأشياء قوله وله عن عقبة بن عامر .

المفردات :-

حديث عقبة له سبب ، وهو أنه جاءه أناس يبايعونه فبايع تسعة وأمسك عن واحد ثم أدخل يده فقطعها ، فقال الحديث قوله من تعلق تميمة : التميمة خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطله الاسلام ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له : الودع هو ما يخرج من البحر ويشبه الصدف ، يتقون بها العين . فلا ودع الله له : أي لا تركه الله في دعة وراحة ، ومن تعلق تميمة فقد أشرك التمائم من أي نوع كانت من خرز أو ودع أو غيرها اذا اعتقد أنها تنفع أو تضر فهو شرك قوله في يده خيط من الحمى أي خيوطاً يرقون بها ويعلوقونها يزعمون أنها تنفع .

المعنى الإجمالي للأحاديث المتقدمة :

هذه الأحاديث في التغليظ في تعليق الخيوط والتمائم والودع وأمثالها مما يرقى فيه ويعلق ويعتقد أنها تنفع أو تضر وأنه من الشرك الذي يجر لصاحبه الهلاك لأن من تعلق شيء وكله الله إليه ويعامل بنقيض قصده في الدنيا بعدم الشفاء وعدم تمام الأمور وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد دعا عليه بأن الله لا يتركه في دعة وسكون بل تنعكس عليه الأمور وليس من عمله إلا ما تعلق من دون الله والوقوع في حبائل الشرك المنافي للتوحيد أو لكماله والذي يستحق صاحبه أن يعذب عليها بما يستحقه من النكال والجزاء وقد وجد في هذه الأزمنة من اتخاذ بعض المشعوذين والدجالين ممن يأكلون أموال الناس بخرافات

ابتدعوها من أدوية تضر أكثر مما تنفع لأنه ليس من الطب المعروف المسلم به وليس البعض منهم معروفاً بالصلاح فيرجى بدعواته أن يستجيب الله له إذا رقى بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية فإن الرقى المباحه تقدم لنا شيء منها ويأتي بعضها ولكن مشعوذة هذه الأزمنة نوع من الدجل أو السحر فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ما يؤخذ من الأحاديث :

١ – تحريم تعليق التمائم من أي نوع كان واختلف في تعليق القرآن ويأتي .
٢ – أن الرقية إذا كانت بقرآن أو أحاديث أو ادعية مباحة .
٣ – أن الرقى إذا كانت بألفاظ غير معروفة ممنوعة .
٤ – أن تعليق الودع والتمائم والخرز ولو كانت لقصد رد العين أنها من هذا النوع المحرم
٥ – تغليظ الرسول في تعليق شيء من ذلك حتى أنه لم يبايع من وجده متعلقاً شيئاً منها
٦ – تغليظ الصحابة وشدة إنكارهم واستدلالهم على ذلك بما نزل في الشرك الأكبر .
٧ – أن الشرك الأصغر قد يتحول إلى أكبر فلذا منع منه وهو أكبر من الكبيرة .

أسئلة :–

ما هي مناسبة باب من الشرك لبس الحلقة والخيط لما قبلها ؟ ولماذا بدأ بذكر الشرك الأصغر ؟ مع بيان مفردات الآية الآتية : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله » وما معنى إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره إلى آخر الآية . ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبين ما فيها من أحكام .

٢ – اشرح المفردات الآتية : رأى رجلاً ، ما هذه من الواهنة ، انزعها ، لا تزيدك إلا وهناً . وما معنى ما أفلحت أبداً ، وما سبب حديث عقبة ، وما هي التميمة والودع ، وما معنى فلا ودع الله له . ثم اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً وبين ما فيها من أحكام .

* * *

قوله باب ما جاء بالرقى والتمائم .

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بعض أسفاره فأرسل رسولاً ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعها وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ان الرقى والتمائم والتوله شرك . رواه أحمد وأبو داود . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعة من تعلق شيئاً وكل إليه . رواه أحمد والترمذي (التمائم شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ولكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ولم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه والرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمى والتوله هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا رويفع لعل الحياه ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه . وعن سعيد بن جبير قال : من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة رواه وكيع وله عن ابراهم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن - فيه مسائل :-

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التوله .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا .

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : أن كلام ابراهم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله .

الشرح :

قوله في الصحيح أي الصحيحين وأبو بشير اسمه قيس بن عبيد شهد الخندق ومات بعد الستين .

المفردات :

قوله في بعض أسفاره قيل لم يوقف على تعيينها قوله فأرسل رسولاً هو زيد بن حارثة لا يبقين قلادة من وتر أي لا تترك قلادة وهو ما يقلد على الدواب لدفع العين وكذا على الصبيان من وتر واحد أوتار القوس . وكانوا اذا اخلولق الوتر جعلوه على الدابة قوله أو قلادة أي ولو كانت مجرد قلادة ولو لم تكن من وتر . قال الشارح : تقييدها بالوتر أصح لثبوت الترخيص في القلادة حديث ابن مسعود له سبب هو ان امرأة عبد الله بن مسعود رأى في عنقها خيطاً ، فقال : ما هذا ؟ فقالت : خيط رقي لي فيه . قالت : فأخذه فقطعه . ثم قال : أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . ثم أورد الحديث . وكانت عينها تقذف وتختلف إلى يهودي فيرقى لها بالخيط فإذا رقاها سكنت فقال عبد الله : ذاك الشيطان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنك ثم أرشدها أن تقول أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي كما يقوله الرسول قوله ان الرقى واحدها رقية وهي العزيمة ثم تنقسم الرقية إلى قسمين رقية شرك وهي الاستغاثة بالملائكة والجن أو الجبال أو قبر أو يطلب منها الشفاء وكذا الأموات والغائبين فهذا نوع من الشرك والقسم الثاني مباح وهي الرقية في القرآن وبالدعاء المأثور المتقدم في قصة ابن مسعود وغيره فهذا لا بأس به وكما رقى الصحابة بالفاتحة على رئيس الحي الذي لدغ ، قال الشيخ : وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فلا بأس به قوله والتمائم قال : شيء يعلق على الأولاد من العين ولكن المعلق إذا كان من القرآن رخص

به بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم أبن مسعود ففي هذا بيان للمنهي عنه والمرخص فيه فالمنهي عنه إذا لم يكن من القرآن ، كتعليق الخرزات والعظام فهذا من القسم الممنوع المتقدم ، وإذا كان المعلق من القرآن فأجازه بعضهم وبعضهم منع كأبن مسعود وسيأتي كلامهم وهنا يحسن نقل كلام سعيد بن جبير وتقديمه مع هذا البحث قال : من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة أي أجره وثوابه كمن أعتق رقبة كما نقل عن ابراهيم أنهم يكرهون التمائم المعلقة ولو كان المعلق من القرآن وغير القرآن ، ففي هذه الروايات عن السلف المنع مطلقاً عن التمائم المعلقة ولو كان المعلق من القرآن.وقال المصنف : التوله شيء يصنعونه إلى آخره وهو نوع من السحر لا يجوز تعاطيه فلذا أدخل مع هذه الأشياء المحرمة فمن اعتمد على ربه كفاه موؤنة الدنيا والآخرة والعوارض والآفات ومن مال قلبه إلى غير الله فإن الله بكله إليه ولنكتف بما تقدم من كلام المصنف وما معه عن المعنى الإجمالي فإن فيه بياناً واضحاً .

مايستفاد مما تقدم من أحكام :

١ - الرقى المحرمة ما كانت تطلب من غير الله وبغير الأدعية من القرآن أو السنة .

٢ - تحريم تعليق الخرز والحروز وكذا الأوتار على الدواب والصبيان لرد العين .

٣ - تقسيم الرقية إلى نوعين :

(أ) مباح وهو ما كان بالآيات والأدعية المعروفة المباحة .

(ب) شرك وهي الرقية بأسماء الجبال والشياطين والأسماء غير المعروفة كالحروف المقطعة وما شاكلها .

٤ - تقسيم التميمة إلى محرمة وهي المعلقة من الأوتار والعظام والودع لرد العين وهي نوع شرك

٥ - كراهة تعليق التميمة ولو كانت من القرآن فيروى عن ابن مسعود وابن عباس علقمة وهي رواية عن أحمد أخذ بها جماعة من أصحابه وحجتهم الأثر المروي عن إبراهيم وابن مسعود كراهتهم التمائم من القرآن وغيره والكراهة هنا للتحريم واستدلوا أيضاً بعمومات الأحاديث قالوا ولأنه لا يؤمن الدخول فيه للمراحيض والأمكنة المستقذرة فسد الباب .

٦ - وقالت طائفة أخرى منهم عمرو بن العاص وعائشة وأحمد في رواية عنه أشار لها بن القيم اذا كان المعلق من القرآن أو أسماء الله أو آياته وصفاته وكذا الأدعية المأثورة عن السلف أن ذلك جائز .

٧ - تحريم التوله وأنها نوع من الشرك لأنها ضرب من السحر .

قوله وروى الامام أحمد عن رويفع - رويفع هو ابن ثابت الأنصاري .

المفردات :-

لعل الحياة ستطول بك ووقع الأمر كما أخبر وقد طال عمره فإنه مات سنة ٥٦ ببرقة من أعمال مصر قوله فأخبر الناس أخبارهم وإعلامهم لمن عنده علم من علوم الدين يختص به واجب وإذا استوى هو وغيره

فهو من فروض الكفاية . قوله من عقد لحيته اللحية جمع لحى وعقدها على ضربين أحدهما ما يفعلونه في الجاهلية تكبراً وعجباً في الحروب وهو من زي الأعاجم والثاني معالجة الشعر لينعقد ويتجعد وهو من التأنيث والكل منهي عنه وقيل يحمل على ما يفعل بالصلاة وهو منهي عنه أيضاً لأنه عبث أو تقلد وتراً جعله قلادة في عنقه أو دابته من أجل العين أو استنجى برجيع أو عظم الاستنجاء قطع النجوة وهو البول أو الغائط فهو محرم ولا يرفع ذلك الحدث إذا كان برجيع أو روث فإن محمداً بريء منه فسره النبوى بأن محمداً بريء من فعله وإجراؤه على ظاهره أبلغ في الزجر لأنه من أحاديث الوعيد التي تجري على ظاهرها .

المعنى الإجمالي : –

أخبر الشارع معلم الأمة ومنقذ الانسانية ومرشدها ومخرجها من دياجير الظلمات إلى نور العلم أن رويفعاً تطول به الحياة ووقع الأمر كما أخبر وأمره أن يعلم الناس أن هذه الأفعال والخرافات المذمومة من أعمال الجاهلية فعلها محرم لا يجوز وهو عقد اللحى تكبراً وعجباً أو تأنيثاً وتكسراً لأن العجب والكبر والتشبه بالنساء كله محرم منهي عنه وكذلك تعليق الأوتار على الدواب أو الصبيان ورد العين لا يرد شيئاً من ذلك العين وغيرها إلا الله وإن كانت حقاً لكن هذه الأوتار لا تنفع ولا تضر كما أن الاستجمار بالرجيع والعظام لا يجوز لأنه زاد الجن ومحرم لأجل هذا وهي رجس أو ركس كما جاء لا تستنجوا بالعظام ولا بالروث فإنها زاد أخوانكم من الجن .

ما يستفاد من الحديث :–

١ – تحريم عقد اللحى كبراً وعجباً وتشبهاً بالنساء .
٢ – تحريم تقلد الأوتار وكذا تقليدها الدواب والصبيان لرد العين .
٣ – تحريم الاستنجاء بالعظام وروث الدواب لما تقدم ولا يرفع الحدث .
٤ – براءته صلى الله عليه وسلم ممن فعل واحدة منها أوكلها .

أسئلة :–

١ – ما هي مناسبة باب ما جاء بالرقى والتمائم لما قبله – ما اسم بشير – ما المراد بالصحيح ومن هو الرسول الذي أرسل – ما هي القلادة وما هو الوتر ما هو سبب حديث ابن مسعود وماذا قال لامرأته – عرف الرقى وبيِّن الجائز والممنوع وعرف التمائم وفصل القول في جواز استعمالها وعدمه من كلام العلماء . عرف التوله وما حكمها بيِّن الأحكام التي مرت بك في هذه الأحاديث .

٢ – ما يدل عليه قوله لعل الحياة ستطول بك وهل طالت به الحياة . متى يجب نشر العلم حتماً ومتى يكون فرض كفاية عرف عقد اللحى وما هو الرجيع ولماذا نهي عن الاستنجاء بالرجيع والعظام . ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيه من أحكام .

« م » قوله باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما وقول الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى الآيات :

عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي وصححه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفته صورة الأمر الذي طلبه .

الثالثةم : لأنهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله الله أكبر انها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم فغلب الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا الاها .

التاسعة : أن في هذا من معنى لا اله الا الله مع دقته وخفائه على اولئك .

العاشرة : أنه خلف على الفتيا وهو لا يحلف الا لمصلحه .

الحادية عشرة : أنِ الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قوله ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله انها السنن .

الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع الأمر كما أخبر .

التاسعة عشرة : ان ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

العشرون : أنه مقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من نبيك فمن اخباره بأنباء الغيب وأما من دينك فمن قولهم اجعل لنا الاها .

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : ان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن ان تكون في قلبه بقية من تلك العادة لقوله ونحن حدثاء عهد .

« **ش** » **مناسبة الباب** لما قبله لما ذكر تعلق القلب في رفع البلاء أو دفعه على التمائم وفيه نوع شرك ناسب أن يذكر هذا الباب بعده وهو التبرك بالأشجار والأحجار الذي هو شرك لله مناف للتوحيد أصلاً ان دعي من دون الله أو مناف لكماله ان تبرك بها مع عبادته لله أما معنى التبرك فهو طلب بركتها بفعله عندها يعتقد أنها تنفعه أو تشفع له عند الله .

المفردات :

اللات مشتقة من الاله وهي صخرة منقوشة بيضاء لها أستار وسدنة يعظمها أهل الطائف فلم تزل كذلك حتى أسلم أهل الطائف فهدمت وقيل كان رجلاً يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ولا منافاة فقد يكون رجلاً يلت السويق على تلك الصخرة وبنى على قبر ذلك الرجل مع صخرته قبة وعظما وأما العزى فهي مشتقة من العزيز كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج قاله ابن كثير قال وللعرب في الجزيرة طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة قوله ألكم الذكر وله الأنثى أي اتجعلون له ولداً وتجعلون ولده انثى وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة ضيزى أي جوراً باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة . ان هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم . أي من تلقاء أنفسكم ما أنزل الله بها من سلطان : أي من حجة . ان تتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس . أي ليس له مستند الا حسن ظنهم بآبائهم . الذين سلكوا هذا المسلك الباطل ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي ولقد أرسل اليهم الرسول بالحق المبين والحجة القاطعة انتهى من كلام ابن كثير رحمه الله باختصار .

المعنى الإجمالي :

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة أن اللات والعزى ومنات اللاتي قد اتخذها بعض

العرب في جاهليتها وغيرها من الأصنام الموجودة آن ذاك وانما ضرب بتلك مثل يقاس عليه بقيتها أنها من القسمة الجائرة فكيف تجعلون لله ولداً وهذا الولد تسمونه بنتاً ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آلهة إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه وتعالى عما يشركون والله منزه عن الولد والوالد وعن الشريك والمعين والوزير فلا ينبغي للعبد أن يتخذ لله شريكاً ولا شفيعاً لأن لله الدنيا والآخرة ولا يملك عنده أحد الشفاعة إلا بعد أن يرضى قوله وعمله ولقد ظلت قريش وغيرها من قبائل العرب الذين اتخذوا الأنداد والأوثان من الأشجار والطواغيت فكفروا بما فعلوا وما اتخذوا من الأوثان .

ما يؤخذ من الآيات من أحكام :

١ – أن من دعا شجراً أو حجراً أو ولياً فقد اتخذه لله ندا .

٢ – أن من نسب إلى الله البنات من الملائكة وغيرهم فهو جائر فيما قال .

٣ – ان الذين نسبوا لله هذه المعبودات واشتقوا لها هذه الأسماء هم كفار قريش ومن والاها من قبائل العرب .

٤ – ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لإبطالها ولمحوها من الوجود .

٥ – أن اتخاذها من اتباع هوى النفس ولم ينزل بذلك من حجة ولا برهان .

قوله عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر الحديث .

« ش » ابو واقد اسمه الحارث بن عوف الليثي – قوله خرجنا مع رسول الله إلى حنين المراد به خروجهم لغزوة حنين وذلك يوم الفتح وهو بين مكة والطائف – قوله ونحن حدثاء عهد بكفر أي قريب دخولنا في الإسلام وأما من تقدم اسلامه فلا يخفاه ذلك يعكفون عندها الاعتكاف هو لزوم الشيء كما يقال للمقيم في المسجد لأجل العبادة معتكف وينوطون بها أسلحتهم أي يرفعون عليها السلاح ويعلقونها عليها والنوط مصدر للمنوط قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر والمعنى أنه كبر ربه لأجل تعظيمه وتقديسه عما قالوا قوله انها السنن أي الطرق – قوله قلتم والذي نفسي بيده خبر بلفظ القسم أن هذا القول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة جعل الأشجار والأحجار لطلب التبرك وأن لم تقصد بالدعاء بأنه شرك بالله مناف لكمال التوحيد قوله انكم قوم تجهلون أن هذا شرك ولو علمتم ما فعلتم – لتركبن سنن من كان قبلكم أي باتباعكم طرق من قبلكم من الأمم .

المعنى الإجمالي :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه يقصدون بذلك رضى ربهم وطاعته وطاعة رسوله باذلين مهجهم في سبيل الله رغبة فيما عنده وكان فيهم طائفة لم يسلموا إلا حديثاً بعد فتح مكة ولم يتوغل

التوحيد في قلوبهم رأوا ما يفعله المشركون من التمسح بالأشجار والطواف حولها فظنوا أن هذا مقصد حسن وطريقة مثلى فرغبوا في ذلك لئلا يسبقهم الكفار فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم شجرة مثلها يطوفون بها ويعلقون بها أسلحتهم عند ذلك سبح وكبر وعظم ربه صلى الله عليه وسلم عما قاله هؤلاء الذين هم حديثوا العهد في الإسلام وأخبرهم أن هذا شرك بالله مناف للتوحيد الذي جاء به وقاتل الناس لأجله ولتخليص الناس عما هم فيه من الشرك وعن هذا العمل واتخاذ مثل هذه الأشجار كطلب بني اسرائيل من موسى الآلهة وقد أجابهم موسى عليه السلام بقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

ما يستفاد من الحديث :

١ – أن اتخاذ الأشجار والأحجار ودعائها من دون الله أن هذا هو الشرك بعينه وهو شرك كفار قريش وكثير من العرب .

٢ – تحريم مشابهة المشركين .

٣ – سرعة قبول النفوس للباطل .

٤ – أن من شب على شيء أحبه ولو كان محرماً ومال بطبعه اليه .

٥ – ارتكاب كثير من الخلق الحرام وهو لا يشعر أنه حرام .

٦ – أنه لا يجوز أن يتخذ مع الله الآلهة .

أسئلة :

١ – ما هي مناسبة باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما لما قبله وما معنى التبرك ثم اشرح الآية الكريمة وبين المفردات الآتية : ما معنى اللات وما معنى العزى وما معنى مناة وما تشتق منه هذه الأسماء ما معنى ضيزى ولمن تكون هذه الأوثان السابقة ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً مع بيان ما فيها من أحكام .

٢ – حديث أبي واقد بين المفردات الآتية : أين موضع حنين وما معنى ونحن حدثاء عهد بكفر وما معنى العكوف وما معنى ينوطون بها أسلحتهم وبين معنى لتتبعن سنن من كان قبلكم وما هي القذة ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام .

* * *

« م » قوله باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الآية .

وقوله فصلّ لربك وانحر عن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن من آوى محدثاً لعن الله من غير منار الأرض رواه مسلم عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شيء أقرب قالوا له قرب ولو ذبابة فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار فقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة رواه أحمد ؛ فيه مسائل :

الأولى : تفسير قل ان صلاتي ونسكي .

الثانية : تفسير فصل لربك وانحر .

الثالثة : البداءة بلعن من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثاً فهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض وهي المراسيم الّتي تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله متخلصاً من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم وأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح الجنة أقرب إلى أحدهم من شراك نعله والنار مثل ذلك .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر الشيخ رحمه الله تحريم التبرك بالأشجار وأنها من الشرك ناسب أن يذكر بعدها ما هو أصرح وأعظم منها وهو الذبح لغير الله فإنه شرك جلي لأنَ الذبح لله عبادة فصرفها لغيره شرك وهو من باب التدرج من الأدنى إلى الأعلى .

المفردات :

قل يا محمد : أمراً لنبيه أن يقول للمشركين ان صلاتي أي أخلص صلاتي لله فلا أعبد فيها غيره ونسكي النسيكة الذبيحة فكأنه أمره أن يقول لهم ان الذبيحة التي يذبحها هي لله فلا أذكر عليها اسماً غير اسمه ومحياي ومماتي أي ما آتيه في حياتي وأموت عليه من الأيمان خالصاً لله رب العالمين وقوله فصلّ لربك وانحر : أي مؤديا له العبادة دون ما سواه وخص هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتين على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته كما قاله شيخ الإسلام .

المعنى الإجمالي :

أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ان صلاتي ونسكي أخلصها لله تقرباً وطاعة وتزلفاً إليه سبحانه دون من سواه وما آتيه وما أموت عليه من الايمان به خالصاً لوجهه وأتبرأ من فعل المشركين الذين يتقربون إلى غيره بالذبح وبأنواع القرب المنافية للتوحيد والتي هي شرك بالله العظيم وقدح في الربوبية العظمى فلا ينبغي لعبد أن يسوي بين المخلوق والخالق في شيء من أنواع العبادة لا ذبح ولا صلاة ولا غيرها مما يختص به تبارك وتعالى .

ما يؤخذ من الآيتين :

١ – الذبح لله عبادة والذبح لغيره شرك وكذلك الصلاة .

٢ – التنبيه على أن جميع ما يأتيه وما يذره صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد الموت أنه لله رب العالمين فلا يميل قلبه إلى غيره لا في صلاة ولا ذبح ولا غيرهما .

٣ – براءته صلى الله عليه وسلم من الشرك وأهله وأنه من المسلمين لا من المشركين بل قائد الإسلام والمسلمين إلى التوحيد والجنة .

* * *

« م » وعن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات الحديث علي بن أبي طالب أبو الحسن وابن عم رسول الله وأحد الخلفاء الراشدين الأربعة ومن المشهود لهم بالجنة ومن كبار أفاضل الصحابة ولم يسجد لصنم ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير وهاجر وزوجه النبي فاطمة الزهراء [illegible] سنة ٤٠ وهو الخليفة قتيلاً بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي .

المفردات :

لعن الله : اللعن من الله هو الطرد والإبعاد عن مظان الرحمة ولذا صار ابليس طريداً بعيداً عن رحمة الله واللعن من الخلق السب والدعاء – من ذبح لغير الله كالذبح للجن والشياطين والأوثان وباسم

المسيح أو غير هؤلاء فهذا من الشرك – لعن الله من لعن والديه المراد سب الآباء والأمهات وهو من الكبائر كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم : يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه . لعن الله من آوى محدثاً ومعناه أنه يحميه ويضمه إليه ويحول دونه ودون صاحب الحق – لعن الله من غير منار الأرض : المنار هي علامات الحدود قال المصنف وهي المراسيم التي تفرق بينك وبين جارك وتغييرها بالتقديم أو التأخير .

المعنى الإجمالي :

الحديث يحذر الأمة من ارتكاب مثل هذا الذنب العظيم وأنه من أبشع الأعمال وأقبحها وأنه من الشرك بالله الذي حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الرسول من فعله أو قرب نوعاً من القرابين لغير الله كما لعن من سب والديه وأساء اليهما ولو كان متسبباً فإنه ينال هذا الجزاء وهو طرده عن مظان رحمة الله ولعن الوالدين كبيرة من الكبائر كما أن ايواء المحدث وهو الجاني على غيره فتحول بينه وبين صاحب الحق الذي يطلبه فإنه يناله هذا اللعن وهو بعده عن الله وعن مواطن رحمته وتعرضه لغضب الله وسخطه فينبغي لك أن تحذر كل الحذر وتبتعد كل البعد وتحترم اموال الغير ولا تظلم منها ولو كان شيئاً يسيراً من الأرض ولو بتغيير المراسيم والحواجز بين الحقوق لعلك أن تسلم من لعن الله وتقترب من رحمته والمعافى من عافاه الله .

ما يستفاد من الحديث :

١ – ان الذبح لغير الله شرك كالذبح للأصنام والأوثان والأشجار وأنه ملعون لا تحل ذبيحته وكذا من قصد تعظيم المسيح أو السادة أو السلامة من شرور الجن فهذا مما ذبح لغير الله .

٢ – أن سباب الوالدين ولعنهم أو التسبب في ذلك كبيرة ملعون من فعلها .

٣ – أن من حال دون جان ظالم وحال دونه ودون استخراج الحق منه أنه ملعون .

٤ – أن تغيير المراسيم كبيرة وأن من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أراضين يوم القيامة وهو متعرض للعن الله والتوبيخ والتهديد .

***

«م» قوله عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخل رجل الجنة في ذباب الحديث .

طارق بن شهاب البجلي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لم يسمع منه شيئاً قوله دخل الجنة رجل في ذباب أي بسبب ذباب ومن أجله قالوا وكيف ذلك يا رسول الله استفسروا لقلة العمل وضعفه وحقارته

قوله فقال مر رجلان على قوم لهم صنم أي في طريق هذين الرجلين والصنم تقدم تعريفه لا يجاوزه أحد أي لا يمر به ولا يتعداه حتى يقرب له شيئاً من أنواع القرابين ولو كان المقرب حقيراً كالذباب - قوله قرب ولو ذباباً المراد بالتقريب هنا التقرب اليه بهذا النوع من العبادة وهو الذبح فخلوا سبيله أي تركوه ولم يتعرضوا له وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة والمراد بالقربان هنا الذبيحة أو ما في معناه مما يتقرب به فضربوا عنقه فدخل الجنة أي قتلوه بسبب اخلاصه العبادة والتوحيد لربه عز وجل .

المعنى الإجمالي :

أخبر الشارع عليه الصلاة والسلام أن رجلين دخل أحدهما الجنة والآخر النار في عمل يسير في أعين الناس ولذا قال الصحابة وكيف ذلك يا رسول الله ولما كان من أنواع الشرك والتقريب للأصنام ولأهلها لما يحبون وصرف ما هو من خصائص رب العالمين إلى جماد لا ينطق بل لا ينفع ولا يضر صار جزاء ذلك أغلظ وهو دخول النار بسبب ذلك التقريب وأما الآخر فإنه لما حقق توحيده وأخلصه لربه ولم يصرف هذه العبادة العظيمة الا له جازاه على ذلك أفضل الجزاء وهو دخول الجنة والنجاة من النار ولكنه لما صبر على ما لقي من القتل في سبيل رضاء الله عز وجل حصل له هذا الفضل العظيم .

ما يستفاد من الحديث :

١ - أن القرب لغير الله شرك من أعمال الجاهلية .

٢ - التغليظ في الشرك حتى ولو كان شيئاً حقيراً أدخله الله النار بسببه .

٣ - أن التقريب ولو قصد به التخلص أنه يكون سبباً لدخول النار .

٤ - أن الذي دخل النار بسبب الذباب كان قبل ذلك مسلماً .

٥ - فضيلة تحقيق التوحيد وكثرة ثوابه وأنه الجنة .

٦ - أن الموحد المخلص يصبر على ما يلاقي في سبيل ذلك من القتل والتعذيب .

٧ - شؤم الشرك وشدة عقابه وادخال صاحبه النار ولو بشيء يسير .

أسئلة :

١ - بين مناسبة باب ما جاء في الذبح لغير الله لما قبله ثم بين معاني المفردات الآتية قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين قوله فصلِّ لربك وانحر بين معنى الصلاة والنحر في الآية الكريمة ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً وبين ما يدلان عليه من الأحكام .

٢ – بين اللعن في قوله لعن الله إلى آخره وبين مثالاً للذبح لغير الله وما معنى لعن الوالدين وهل يشمل المتسبب ما هو منار الأرض بين معنى ايواء المحدث ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما يدل عليه من أحكام .

٣ – حديث طارق بن شهاب دخل الجنة رجل في ذباب إلى آخره ما هو التقريب في قوله فقالوا لأحدهما قرب وأشرح ما تقدم ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام .

* * *

« م » **باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله وقول الله تعالى «لا تقم فيه أبداً» الآية** :

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانه فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم رواه أبو دواد واسناده على شرطهما فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله لا تقم فيه أبداً .

الثانية : ان المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الأشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصد .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر الشيخ شؤم الذبح لغير الله وأنه من الكفر ناسب أن يذكر قبح الأماكن التي يذبح فيها لغير الله «وأن الذبح فيها ولو كان لله حرام لا يجوز ووسيلة لاحيائها .

* * *

«م» قوله وقول الله تعالى لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى أحق أن تقوم فيه .

المفردات :

لا تقم فيه أبداً : المراد به مسجد الضرار الذي اقامته محادة لله ولرسوله فهى عن الصلاة فيه وأمر بالصلاة في مسجد قبا وهو الذي أسس على التقوى لأنه أسسه رسول الله حين قدم المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوره راكباً وماشياً «فيه رجال يحبون أن يتطهروا» من الأنجاس والأدناس : من أنجاس الشرك وأنجاس الحدث والله يحب المطهرين أحبهم الله للقيام بأمره والطهارة الظاهرة والباطنة ومناسبة الآية أنه لما نهى عن الصلاة في هذا المسجد لما كان مؤسساً على الباطل فلأن ينهي عن الذبح بالأماكن التي يذبح فيها لغير الله من باب أولى والأخرى .

المعنى الإجمالي :

نهي الله رسوله أن يقيم الصلاة في مسجد الضرار المعد للتفريق بين المؤمنين والترصد لمن حارب الله وحارب رسوله وهم المنافقون بنوه لهذا الغرض ووصفهم الله بأنهم كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم لأن الجزاء من جنس العمل ومع ذلك هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ينبهك على أن الأعمال على حسب ما يقوم في قلوب أصحابها لا بالمظاهر والزخارف والتمويه ان الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم والا فظاهر هذا العمل جليل وفضل كبير لكن لما لم يقصد به وجه الله وما اعده لعمار المساجد وصار ضرراً يقصد به الفتك بالرسول ومن معه أمر بازالته من الوجود حيث عمر محادة لله ورسوله واضراراً للمسلمين .

ما تفيده الآية من أحكام :

١ – نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار ويقاس عليه البقاع المقصودة بعمل من أعمال الجاهلة .

٢ – أن البقعة إذا كان يقصدها المشركون للذبح وللتعظيم أو للتقرب لأوثانهم ينهى المسلمون عن العبادة فيها صلاة أو غيرها .

٣ – أن مسجد الرسول هو المسجد الذي أسس على التقوى ولا ينافي أن يكون مسجد قبا قد أسس على التقوى لأنه إذا كان مسجد قبا قد أسس على التقوى فلأن يكون مسجد الرسول قد أسس على التقوى من باب أولى ولحديث ورد في ذلك .

٤ – تشبيه العمل إذا قصد به غير الله فهو كمن بنى بيتاً على شفا جرف هار .

٥ – ثناء الله على أهل قبا بالتطهر لجمعهم بين الطهارة الحسية والمعنوية .

٦ – اثبات محبة الله لعباده الصالحين المتطهرين من أدناس الأوثان والأنجاس الظاهرة والباطنة .

٧ – تحريم مشابهة المشركين في تعظيمهم لمعبوداتهم أو التشبه بزيهم وأشكالهم قوله عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل الحديث .

« ش » ثابت بن الضحاك الأشهلي صحابي مات سنة ٦٤ .

المفردات :

نذر : النذر يأتي معرفته – رجل : الرجل هو كردم بن سنان أن ينحر : النحر للابل والذبح لغيرها ببوانة : بوانة اسم موضع أسفل مكة وقيل غير ذلك – هل كان فيها وثن : الوثن : كل ما عبد من دون الله من أوثان الجاهلية : الجاهلية : ما قبل الإسلام وكل عمل خالف الإسلام فهو جاهلي كما قاله شيخ الإسلام هل كان فيها عيد من أعيادهم : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً اما بعود السنة أو الاسبوع أو السنة ونحو ذلك من أعيادهم وكانت في الجاهلية أعياد أبدلها الله بأعياد المسلمين – قوله أَوفِ بنذرك : الوفاء بالنذر لازم إذا انتفت الموانع المتقدمة فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله : كأن يقصد به غير الله من تعظيم أو تقرب لغير الله ولا في ما لا يملك ابن آدم كأن يعتق رقبة معينة لا يملكها أو يتصدق بشيء لا يملكه .

المعنى الإجمالي :

الحديث يدل على اهتمام الصحابة بالسؤال عما يعرض لهم خشية من الوقوع في المحرمات وهم لا يشعرون وقيل ان سبب النذر أنه نذر أن ولد له ولد ذكر أن يذبح مائة ناقة ببوانة موضع قرب رابغ على أحد الأقوال وقيل أسفل مكة فلما أراد أن يفي لمكانه النذر عنده سأل الرسول عن ذلك وهل يباح أو يمنع استفصل منه الرسول عليه الصلاة والسلام عن الشيئين فإن كانت خالية منهما وجب عليه أن يفي بما نذر وهي خلوها من الأوثان أو الأعياد التي تعظمها الجاهلية والرسول يحذر من مشابهة المشركين في الأعياد والاجتماعات وتعظيم الأشجار أو القباب والدعاء عندها والذبح ولو كان يقصد بها وجه الله سداً للذرائع خوفاً من تعظيمها .

ما يستفاد من الحديث :

١ – وجوب الوفاء بنذر الطاعة .

٢ – تحريم تعظيم الأوثان وأعياد المشركين .

٣ – تحريم الذبح عند الأوثان ولو كان الذبح لله .

٤ – تحريم الوفاء بنذر المعصية والتغليظ في ذلك .

٥ – نذر ما لا يملك إذا كان معيناً كعتق رقبة بعينها لا يملكها لا يجب الوفاء به وأما إذا نذر رقبة

في ذمته فتبقى في ذمته . فقرة العلماء في نذر المعصية : هل يكفر إذا لم يَفِ أو يكفي تركه ويكون هو كفارة :

(أ) ذهب أحمد في رواية وأبو حنيفة على أنه يجب فيها كفارة لحديث لانذر في معصية وكفارته كفارة يمين .

(ب) الثاني لا كفارة وهو مذهب الشافعي ومن وافقه مستدلين بالحديث المذكور في الباب أنه لم يذكر فيه كفارة .

* * *

«م» **باب من الشرك النذر لغير الله :**

وقول الله تعالى يوفون بالنذر وقوله وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه – فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

« ش » المناسبة أو الربط : لما كان الذبح عبادة ناسب أن يذكر بعدها ما هو ضده وهو النذر لغير الله لأنه شرك فأتبعه الباب الذي قبله .

المفردات :

تعريف النذر : نذر ينذر نذراً ونذوراً لغة إذا أوجبه على نفسه ونذر لله سبحانه كذا أو النذر ما كان وعداً على شرط فَعَليَّ أن شفى الله مريضي نذر كذا .

المعنى الإجمالي :

دلت الآية الأولى على مدح الله وثنائه على المؤمنين الموفين بالنذر وخوفهم من عقاب الله فإذا كان الوفاء بالنذر طاعة وقربة من أجل العبادات التي يستحقها الله تبارك وتعالى كان صرفها لغيره شركاً والآية الثانية تدل على أن الله عالم بالنفقات التي تنفق وعلى أي وجه تنفق والنذور التي تنذر مطلع عليها فالمنذورات والنفقات التي تصرف للرب عبادة يجازي عليها أفضل الجزاء وما يصرف بأسماء الشياطين والمشاهد أو القبور أو غير ذلك فهذا شرك بالله ويجازي عليه أشد العقاب فمن نذر لميت أو لعبد صالح

أو لملك أو غير ذلك فهو شرك لا يجوز الوفاء به ولا صرفه لهذا الشأن وكذا يحذر من نذر المعصية أنه لا يجوز أن من نذر نذر معصية أن يفي بنذره أما نذر الطاعة فإنه يجب الوفاء به على التفصيل الآتي .

ما يؤخذ مما تقدم مع بيان أحكام النذر :

١ – نذر القربة كأن يقول أن شفى الله مريضي أو رد غائبي فعليّ الصدقة بكذا فهذا يجب الوفاء به إذا حصل المقصود وكقولك وعليّ عتق رقبة أو صوم كذا وهذا يجب الوفاء به أيضاً .

٢ – نذر المعصية كأن ينذر للقباب أو المشاهد أو الأضرحة اطعاماً أو ذبحاً أو نقوداً أو اسراجاً فهذا لا يجوز الوفاء به بحال وهل فيه كفارة أو كفارته ترك فعل المعصية تقدم في الباب قبله .

٣ – النذر المباح كما نذرت امرأة أن تضرب على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالدف قالوا حكمه حكم الحلف إن شاء فعل وإن شاء كفر .

٤ – نذر اللجاج والغضب فهو مخير بين فعله وكفارة يمين كما في حديث لانذر في غضب وكفارته كفارة يمين .

أسئلة :

١ – بين مناسبة باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله للباب قبله وبين معنى الآية لا تقم فيه أبداً ومناسبتها للباب ومعنى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وما هو المسجد الذي أسس على التقوى وهل يشمل مسجد الرسول مع شرح الآية شرحاً مجملاً وما تدل عليه من أحكام مع شرح حديث ثابت بن الضحاك مفردات ومجملاً وبيان أحكامه .

٢ – مناسبة باب من الشرك النذر لغير الله لما نقله مع تعريف النذر وشرح الآية وذكر عدد النذور .

* * *

« م » باب من الشرك الاستعاذة بغير الله وقول الله وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً وعن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يستدلون به أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : ان كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

« ش » **المناسبة** ، أو الربط للباب قبله لما ذكر أن النذر لغير الله شرك لا يجوز فكأن الناذر لا ينذر الا لمن يستعيذ به ناسب أن يعقبه بباب من الاستعاذة بغير الله التي هي نوع من الشرك فهذه الأبواب من تنويع الشرك التي هي من العبادة ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله .

معنى الاستعاذة :

طلب العوذ والالتجاء والاعتصام لمن تعوذ به وهي الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه فالعائذ من الشيء قد هرب منه والعائذ بالشيء قد لجأ اليه فالعائذ بالله قد هرب اليه .

قوله وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً .

المفردات :

رهقاً أى طغياناً وإثماً وتسلطاً .

المعنى الإجمالي :

كان في الجاهلية رجال من الأنس يلجأون إلى الجن وهذا في الجاهلية الأولى كما جاء في تفسير الآية عن غير واحد أنهم كانوا يقولون إذا هبطوا وادياً وارادوا نزوله قالوا نعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهائه فزادوهم رهقاً أي زادوا الكفار ذعراً لما استعاذوا بهم وقيل كانوا إذا أمسوا في وادي قفر في بعض أسفارهم قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه فزادوهم رهقاً أي تسلطاً وخوفاً قوله عن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحديث .

« ش » قوله خولة بنت حكيم السلمية صحابية فاضلة قيل انها هي الواهبة قوله من نزل منزلاً أي حل في تلك البقعة سواء كانت بيتاً أو أرضاً أو فلاة فيعمها ذلك قوله بكلمات الله التامة كلمات الله التامة الكاملة الشافية التي لا يلحقها نقص ولا عيب وهي كافية لمن عاذ بها ولجأ وكلماته منه من شر كل ذي شر جن أو أنس أو انسان أو حيوان لم يضره شيء مما تقدم من الهوام والشياطين وغيرها حتى يرحل من منزله ذلك وقد جرب ذلك فكان كما قال صلى الله عليه وسلم كما سيأتيك .

المعنى الاجمالي للحديث :

وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في العصور الجاهلية يستعيذون بالجن خوفاً منها فأبطل الله ذلك بالإسلام وعلمهم الرسول أن يستعيذوا بكلماته وكلماته منه فمن استعاذ به ولجأ اليه أو بأسمائه أو بصفة من صفاته لأنها منه فإنه سبحانه يؤمنه من الفزع ومن الخوف ومن الحيات والحيوانات المؤذية بالطبع يروي عن القرطبي أنه قال هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا دليله بالتجربة فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً فتفكرت في نفسي فإذا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات فعليك أيها المسلم اتباع السنة ولزومها تنجو من المهلكات العاجلة والآجلة .

ما يستفاد من الباب :

١ - أن الاستعاذة بغير الله شرك .

٢ - الاستعاذة بالله عبادة فلا يجوز صرفها إلى غيره .

٣ - فضيلة هذا الدعاء وأنه من كلام المصطفى .

٤ - أن كلمات الله صفة من صفاته ولو كانت مخلوقة لما جاز الاستعاذة بها .

٥ - الرد على القائلين بخلق القرآن وأنه من كلامه والله يتكلم متى شاء وإذا شاء .

أسئلة :

١ - بين مناسبة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله لما قبله وما معنى الاستعاذة وما معنى قوله فزادوهم رهقاً مع شرح الآية الكريمة شرحاً مجملاً وما تفيده من أحكام .

٢ - حديث خوله المفردات من نزل منزلاً أعوذ بكلمات الله التامة بيان معانيها ، ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما يدل عليه الباب من أحكام .

* * *

« م » **باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره :**

وقول الله تعالى ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو الآية وقوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الآية وقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيتين وقوله أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله في ارضاءً لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : ان طلب الرزق لا ينبغي الا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : انه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : هي سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر الغريب وهو اقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله .

« ش » الأستغاثة : طلب الغوث ، وهي إزالة الشدة بعد نزولها وهي نوع دعاء إلا أن الفرق بينهما أن الاستغاثة من المكروب والدعاء من المكروب وغيره .

الربط : لما ذكر الاستعاذة وهي من العبادة ناسب أن يلحقها بالاستغاثة لأن من استعاذ بأحد فحريّ أن يستغيث به والاستغاثة عبادة فصرفها لله عبادة وصرفها لغيره شرك ومثلها الاستعاذة وسائر أنواع العبادة وهو من تنويع الشرك المتقدم .

* * *

« م » كقوله تعالى ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآيات .

المفردات :

ولا تدعو من دون الله الدعاء لغة الرغبة إلى الله مأخوذ من دعا دعاء ودعوى والدعاء ينقسم

إلى قسمين دعا مسألة ودعاء عبادة فدعاء المسألة أن تدعوه بما ينفعك من جلب خير أو دفع ضر حاجة بعينها ودعاء العبادة كدعاء الصلاة وسائر الدعاء المتضمن للعبادة فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة قوله وان يمسسك الله بضر أي أن ينزل بك ضراً من فقر أو مرض فلا كاشف له إلا هو أي لا قادر على كشفه وزواله سواه وان يردك بخير من رخاء وعافية فلا رادّ لفضله فلا يستطيع أحد أن يدفع عنك يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم أي يصيب به من يشاء من خلقه ويصرفه عن من يشاء وهو الغفور لمن تاب الرحيم بعباده المؤمنين فإن رحمته وسعت كل شيء في الدنيا إلا أنها في الآخرة اختص بها المؤمنون .

قوله فابتغوا عند الله الرزق أى اطلبوه من عند الله لا من عند غيره واعبدوه أي أفردوه بالعبادة ومن ضمنه الاعتماد عليه في طلب الرزق واشكروا على نعمه عليكم الشكر على نعمه وهو أعم من الحمد متعلقاً وأخص منه سبباً لأنه في مقابلة النعمة ويكون باللسان والجنان والأركان واليه ترجعون أي يوم الجزاء والحساب فيجازيكم على ذلك قوله ومن أضل أي لا أحد أضل منه ممن يدعو من دون الله لأنه يدعو من لا يستجيب له إلى يوم القيامة لأنهم لا يسمعون ولو سمعوا ما استجابوا وهم عن دعائهم غافلون وهم مع هذا غافلون عن دعائهم ويوم القيامة يتبرؤون اليه سبحانه ويكونون لهم اعداء ومع ذلك يكفرون بعبادتهم وقوله أم من يجيب المضطر المضطر هو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة لرفع فقره أو مرضه أو غفر ذنبه إذا دعاه أي ألجأه ذلك الاضطرار إلى دعائه فمن يحول بينه وبين إجابة دعائه إلا أنه قد يكون في بعض الداعين مانع يمنعه من اجابة دعائه قوله ويكشف السوء أي الكرب وما يسوء العبد من ذلك الضر ويجعلكم خلفاء الأرض أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله أأله مع الله أي يفعلوا ذلك اله معه الجواب لا .

شرح الآيات المتقدمة موجزاً ومعناها اجمالياً :

أمر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يدعو من دون الله من لا يضره فلا يستطيع أن ينزل به ضر ولا أن يرفعه إذا نزل والذي يستحق أن يدعى ويرجى هو الله سبحانه ومن دعا غيره أو رجاه أو توكل عليه أو رغب اليه فهو من جملة الظالمين والجاحدين لتوحيده البعيدين عن طاعته وان مس العبد ضر من ربه فلا أحد يستطيع كشف ذلك الضر ولا تخفيفه عنه من المعبودات فإن الله هو الذي يستطيع ذلك بتيسيره وارادته وان أراد أحداً بخير من عافية أو صحة ورزق وغير ذلك فلا أحد من الناس يستطيع رد ذلك أو منعه ولو اجتمعوا فهو الرزاق المدبر المحيي المميت والخير وضده بيده فله الكمال المطلق والحمد التام وهو الذي يستحق الشكر المطلق والدعاء المطلق والرجاء والرجوع اليه في السراء والضراء ولا يجوز أن يدعى أو يرجى سواه ولا أن يتوكل إلا عليه وهو الذي يجيب دعاء المضطرين ويكشف بلاء المبتلين وينفّس كرب المكروبين وهو الذي جعل الناس خلفاء في الأرض يخلف بعضهم بعضاً ويعقب من قبله وأنه ليس مع الله مدبر ولا مشير ولا معين ولا وزير فتعالى وتقدس عما يصفه به الجاحدون والملحدون والمشركون الذين جعلوا له أنداداً وشركاء في عبادته تعالى علواً كبيراً .

ما يستفاد من الآيات من الأحكام :

١ - تحريم دعوة غير الله مع الله سواءاً صالحاً أو طالحاً أو شجراً أو حجراً .

٢ - دعوة غير الله مع الله شرك أكبر مع وصف الداعي بالضلال .

٣ - معرفة أنه لا ينفع داعيه ولا يضره ولا يرفع عنه ضر نزل به ولا يدفعه عنه قبل نزوله والذي بيده هذه الأمور هو الله .

٤ - وصفه الداعي من دون الله بالظلم الذي هو الشرك .

٥ - ان الخير كله بيد الله يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء وأنه قد يمنع من اجابة الداعي لمن تاب وأناب أو يدفع عنه شراً أو يدخره له .

٦ - وصفه بالرحمة وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

٧ - طلب الرزق من عند الله لا من عند الأصنام والأوثان مع الأمر بعبادته .

٨ - إن الشكر الذي يستحقه هو الله سبحانه وان شكر النعمة أن تتحدث بها ظاهراً واعتقادها وباطناً وصرفها في طاعة الله مسديها ومبديها .

٩ - اعتقاد رجوع الخلائق إلى الله وهو يوم البعث والنشور والحساب .

١٠ - عدم استجابة المدعو من دون الله مع غفلته عن دعائه وكفره بعبادة عابده .

١١ - وصف الداعي والمدعو بالعداوة لأنه اما لا يرضى بدعوة داعيه كحال عيسى والصالحين والأنبياء والملائكة أو لعداوة تحدث بينهم يوم القيامة فيلعن بعضهم بعضاً كما جاء ذلك في القرآن .

* * *

قوله وروى الطبراني إلى آخره – الطبراني هو الإمام سليمان بن أحمد اللخمي صاحب المعاجم الثلاثة قوله انه كان في زمن النبي منافق المنافق من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ويعبر عنه بعض انعلماء بالزنديق والمنافق المذكور في الحديث هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ويؤذي المؤمنين بالسب واللمز فقال بعضهم جاء تعريفه أنه أبو بكر نستغيث برسول الله الاستغاثة تقدمت وهم يطلبون كفه عنهم وكف أذاه فقال صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله هذا من باب سد الذرائع والا هو موجود قادر على رد أذاه عنهم .

المعنى الإجمالي :

أورد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث في التحذير وسد وسائل الشرك لأن الرسول أخبر الصحابة أن الاستغاثة من خصائص الله مع وجوده وحضوره وقدرته على ذلك مع العلم أن الإنسان إذا استغاث به أحد كأن يستغيث بقول انقذني إذا كان غريق أو حريق أنه لا بأس به إذا كان حاضراً قادراً على اغاثته لكن فيه تنبيه الصحابة على مثل هذا فما ظنك بمن دونهم فحذر منه خشية أن يكون وسيلة إلى الشرك فيستغاث به بعد موته كأن يقول له إنسان اغثني يا رسول الله أو أنا بك يا رسول الله وما شابه ذلك بعد موته وقد أخبر سبحانه وتعالى عن نبيه بأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره كما في آية الأعراف قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله . فالوسيلة لشفاعة النبي هي متابعته والاستقامة على شريعته وسنته ولا يدعى بعد موته ولا يستغاث به وقد سد الذريعة وهو حي فكيف بعد الموت والله الموفق .

ما يستفاد من الحديث :

١ – أن الاستغاثة بغير الله شرك إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله .

٢ – أن الصحابة يلاقون أذى في توحيد الله وطاعته .

٣ – سد الذرائع والوسائل لأن الوسيلة لها حكم الغاية .

٤ – (أ) الاستغاثة المحرمة هي فيما لا يقدر عليه إلا الله كالاستغاثة بالأموات والغائبين من طلب شفاء مريض أو انقاذه من هلكة أو نصر على أعداء (ب) أما إذا استغاث بك شخص في انقاذ من هلكة أو نصر أو اعانة وأنت قادر على ذلك لا بأس به كما في قوله تعالى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه .

أسئلة :

١ – اشرح الحديث الذي رواه الطبراني مع ذكر شيء من ترجمته عرف المنافق ومن هو الذي يؤذي المؤمنين . ومن الذي قال لهم قوموا بنا إلى رسول الله نستغيث من هذا المنافق وبماذا أجابهم الرسول لما سألوه ولأي شيء قال الرسول انه لا يستغاث بي ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً ثم ما بين ما فيه من فوائد .

* * *

« م » قوله باب قول الله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وقوله والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير الآية .

وفي الصحيح عن أنس قال شج النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين فقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغن عنك من الله شيئاً.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين.

الثانية : قصة أحد.

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنوا عمهم.

السادسة : انزل الله عليه في ذلك ليس لك من الأمر شيء.

السابعة : قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فتاب عليهم فآمنوا.

الثانية : القنوت في النوازل.

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة : لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين.

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب لا أغني عنك من الله شيئاً حتى قال يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً فاذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن

الانسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين .

« ش » **المناسبة** : لما ذكر في الباب قبله أن الاستغاثة بغير الله شرك ناسب أن يذكر بعد ذلك أن دعاء غير الله شرك لأن الكل من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله .

المفردات :

أيشركون ما لا يخلق شيئاً . هذا توبيخ وتقريع للمشركين أي أيشركون في عبادته ما لا يخلق شيئاً فالذي لا يخلق لا يستحق أن يعبد ويدعى وهم يخلقون أي وهو مخلوق مربوب مملوك لخالقه فكيف يعبد المخلوق ويترك الخالق الذي يستحق العبادة . ولا يستطيعون لهم نصراً . أي نصر من يدعوهم أو يعبدهم ولا أنفسهم ينصرون . أي الذي دعى من دون الله إذا نزل به بأس أو شدة أو مرض فلا يستطيعون دفع ذلك أنفسهم قوله والذين تدعون من دونه من هذه الأصنام فتعبدونها من دون الله بالدعاء التضرع وصرف القربان وغيره لها ما يملكون من قطمير . أي ولا تملك نفعكم ولا باللفافة التي فوق النواة وهذا من أضعف الأشياء أن تدعوه . لا يسمع دعاءكم لأنهم أما موتى وقد بلوا وشغلوا بأنفسهم أو جمادات لا تسمع ويوم القيامة يكفرون بشرككم لأنهم عباد صالحون لا يرضون بهذا فمن دعا المسيح وأمه أو عزيز أو الملائكة أو غيرهم «ولا ينبئك مثل خبير . أي ولا يخبرك بما تؤول اليه الأمور مثل خبير ببواطنها وظواهرها وهو الله فهو مطلع على الدقيق والجليل .

المعنى الإجمالي للآيات :

اخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين يشركون مع الله بأي نوع من أنواع العبادة أنهم أشركوا مخلوقات ضعيفة لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً لمن دعاها ولجأ إليها ولا تستطيع نصر أحد ولا الدفع عنه ما نزل به والرب هو الذي يملك النفع والضر والحياة والموت والرزق والنصر وغير ذلك ثم هم مع هذا لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم ولا نصرها من الأعداء . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتد الحرب وحمي الوطيس يقول اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أجول وبك أصول وبك أقاتل وكذا الآية الثانية تفيد ما أفادته الآية الأولى أن الداعين مهما بلغوا وبذلوا في سبيل المدعوين من دون الله لا يملكون أدنى شيء ولو هو قطمير مع حقارته وعدم تقويمه لا يملكه لداعيه ولو دعوا ما سمعوا دعاء من دعاهم ومع فرض السماع لا يستجيبون لأن الله لم يأذن لهم بذلك وإذا كان يوم القيامة كفروا بهم وبدعائهم وتبرأوا منهم إلى الله وقد أنبأك الخبير المطلع على سرائر الأمور وظواهرها وأولاها وأخراها وحاضرها وغائبها وهو الله سبحانه .

ما يستفاد من الآيات :

١ — تحريم الشرك ودعوة غير الله قليلاً أو كثيراً .

٢ - التنبيه على غفلة الداعين كيف يدعى من لا يخلق وهو مخلوق ضعيف لا يستطيع نصر نفسه فضلاً عن داعيه .

٣ - التنديد بأحوال الداعين لهذه الأصنام كيف يدعون من لا يملك قطميرا وقد ضرب به المثل لحقارته فكيف لما هو من ذلك .

قوله في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد إلى آخره .

المفردات :

قوله في الصحيح أي صحيح البخاري ومسلم شج النبي الشج هو الضرب بشيء فيجرحه برأسه ويستعمل لغير الرأس لأنهم قالوا الشجة بالرأس يوم أحد أي في وقعة أحد المعروفة وأحد اسم للجبل الذي جرت فيه الوقعة وهو قرب المدينة وقد دفن الشهداء قربه . كسرت رباعيته . الرباعية هي كل سن تلي الثنية كيف يفلح قوم شجوا نبيهم . كيف استفهام انكار والفلاح هوّ السعادة والفوز . قوله ليس لك من الأمرشيء المراد أن الأمر كله بيد الله والايمان لقريش وغيرهم بيده تعالى فامض أنت لما أمرت به من الدعوة ثم آمن بعد ذلك من آمن ومات من مات على كفره .

* * *

قوله وفيه ، أي صحيح البخاري ، بعد ما يرفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر . أي يقول هذا الدعاء والقنوت بعد الشجة والوقعة . اللهم العن فلاناً وفلاناً هم من يأتي بيان أسمائهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرووالحارث بن هشام ومعنى سمع الله أي أجاب وتقبل واستجاب له أي لمن حمده تعالى ربنا ولك الحمد أي استجب ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر والحمد ضد الذم والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له كما قال شيخ الاسلام قوله على صفوان بن أمية إلى آخره هم المعنيون لأنهم المحرضون وهم رؤوس الكفر يوم ذاك .

المعنى الإجمالي : —

لما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد متوكلاً على ربه مظاهراً بين درعين لا يدري ما يصيبه في سبيل الله وقد كانت الدائرة في أول المعركة على المشركين والنصر للمسلمين حتى انهزموا وتبعهم المسلمون لمقصد الغنيمة ثم ان الرماة الذين أمرهم الرسول أن يتمركزوا في الجبل فلا يتخلوا عنه مهما كان الأمر فسرعان ما تركوا أماكنهم وتبعوا المشركين لأخذ الغنيمة لأن نساء المشركين حسرن عن خلاخلهن منهزمات فلم يبق في مركز الرماة إلا أميرهم وقلة معه فأتى خالد ومن معه من المشركين من قبل الجبل وهو إذ ذاك مشرك فهزموا المسلمين وصارت الدائرة على المسلمين منهزمين وقتل من قتل من المؤمنين منهم حمزة عم رسول الله وعبد الله بن حرام وغيرهم ممن استشهد حتى وصل المشركون إلى رسول الله والمسلمون

يدافعون عنه فيسقطون الواحد تلو الواحد فكسر المشركون رباعيته وشجوا رأسه وهو يدافع هو ومن معه من أصحابه عن أنفسهم وأجهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وتبعهم أبي بن خلف فطعنه النبي بالحربة فمات من تلك الطعنة وعلا أبو سفيان على الجبل منتصراً ونادى باسم اللات والعزى والهبل الأكبر حتى قال: أُعلُ هبل. فقال النبي: أجيبوه. فقالوا: ماذا نقول يا رسول الله. فقال: قولوا الله أعلى وأجل. وكان في هذه الوقعة تمحيص للمسلمين واستشهاد من استشهد منهم لحكمة أرادها الله وليعلم أن الأنبياء والصالحين يصيبهم ما يصيب البشر فتبطل دعوى من دعاهم أو التجأ إليهم كما في الآية: «أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون».

ما يؤخذ من الحديث:-

١ - أن الرسول يصيبه ما يصيب البشر من الابتلاء والامتحان.

٢ - معاتبة الله سبحانه لنبيه دل على أن الله استأثر بالهداية حيث آمن من آمن بعد أحد من المشركين.

٣ - أن النبي لا يعلم الغيب وليس له شركة فيما هو من خصائص الله.

٤ - جواز القنوت في الركعة الأخيرة من الفجر إذا نزل بالمسلمين نازلة استدلالاً بهذا الحديث كما هو مذهب أحمد وأما الشافعي رحمه الله فإنه يرى أن القنوت في الركعة الأخيرة من الفجر بعد الركوع مستمراً في جميع السنة مستدلاً بهذا الحديث وبحديث آخر ما زال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقنت حتى فارق الدنيا. فأجاب أحمد ومن معه أن معنى القنوت هو إطالة الصلاة.

٥ - أن الأنبياء والصالحين يصيبهم ما يصيب البشر وأن الأمر بيد الله فلا يطلب منهم ما لا يقدرون عليه من دفع ضر أو كشف كرب.

٦ - جواز الدعاء على رؤوس الكفر في الصلاة ولعنهم وأنه لا يخل بالصلاة.

٧ - أن الإمام يجمع بين التسميع وقول ربنا ولك الحمد كما في هذا الحديث وهو قول الشافعي وأحمد خلافاً للإمام أبي حنيفة والإمام مالك رحمهم الله.

❊ ❊ ❊

قوله وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أنزل عليه. وأنذر عشيرتك الأقربين إلى آخره.

المفردات:-

قوله قام رسول الله وجاء في رواية أخرى فصعد على الصفا حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين. معنى الإنذار هو الاعلام والتخويف والتحذير، فالرسول خوف قومه. وعشيرة الرجل هم بنو أبيه الأدنون

أو القبيلة بأسرها يا معشر المعشر الجماعة أو كلمة نحوها وبنصب الكلمة أي أو نحو يا معشر قوله اشترو أنفسكم الاشتراء هو الابتياع والمشتري هو قريش والمقصود أن يشتروا أنفسهم بالتوحيد والإخلاص . قوله لا أغني عنكم من الله شيئاً أي بسبب قرابتي فلا أدفع عنكم عذابه . قوله يا عباس بن عبد المطلب ويا صفية عمة رسول الله ويافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً هذا تخصيص للأقربين وهم عمه وعمته وبنته التي هي بضعة منه فإذا كان هؤلاء لا يغني عنهم شيئاً مع قرابتهم فغيرهم أولى وأحرى .

المعنى الإجمالي :

لما أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالانذار والبلاغ الخاص والعام فبدأ بانذار عشيرته وهم قرابته الأقربون كأعمامه وعماته وبناته فنادى بقبيلته وعشيرته وبلغها ما أمر به على رؤوس الخلائق أنه لا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً إلا أن يشتروا أنفسهم بالعمل الصالح والتوحيد والاخلاص لله وأفهمهم أنه لا يملك سوى المال وأمور الدنيا ، فقال : يا فاطمة بنت محمد رسول الله مع أنه لا يمنع عنها ما يملك من المال وهو الذي يملكه حقيقة لا غير أما الثواب والعقاب والهداية والفوز بالسعادة بالجنة والنجاة من النار فهو بيد مالك الملك الحي الدائم الذي لا يحول ولا يزول عند ذلك ينقطع التعلق والتوسل به وبغيره من الأنبياء والمرسلين ولم يبق سوى إخلاص العمل لله بالتوحيد واتباع شريعة الرسول والعمل بها ففيه النجاة .

ما يستفاد من الحديث :-

١ - تخصيص عشيرته وقرابته بالدعوة لأنهم أخص الناس ببره وصلته وإحسانه مع العلم أن الدعوة عامة لجميع الناس بل للثقلين الأنس والجن .
٢ - أنه لا ينجي من عذاب الله إلا العمل الصالح وإخلاص ذلك لله .
٣ - أن الرسول لا يملك شيئاً من أمور الآخرة ولا الهداية وإنما عليه الدعوة .
٤ - لا ينفع الرسول أهله وقرابته إلا بالدعوة والبيان أو المال والهداية بيد الله .
٥ - لا ينافي ما تقدم فضيلة أهل بيت الرسول المتبعين له المهتدين بهديه المستنين بسنته فإنهم من أفضل الناس .

أسئلة :-

١ - اشرح الآية الآتية : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير » ، والآية قبلها « أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون » . بيِّن المفردات في الآية كما مر بك واشرحها شرحاً اجمالياً مع التفصيل في ذلك وبيِّن ما فيهما من أحكام .

٢ - بيِّن المفردات الآتية : في حديث أنس المتقدم قوله في الصحيح ما هو الصحيح وما معنى شج النبي وأين تكون الشجة ما هي الرباعية وما هو الفلاح بيِّن معنى قوله ليس لك من الأمر شيء ،

وعرف الاستفهام ولماذا خص من سمي بالحديث باللعن دون غيرهم من الكفار وما معنى سمع الله وماذا يدل عليه ربنا ولك الحمد من المعاني ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً على ما مر بك وبين ما يدل عليه من فوائد .

٣ – حديث أبي هريرة ما اسم أبي هريرة وما هي عشيرة الرجل وما معنى الانذار ولماذا خص عشيرته وبني أبيه الأدنين وبأي شيء يكون الاشتراء ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً مع بيان ما فيه من فوائد .

* * *

« م » باب قول الله تعالى : « حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا : الحق وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال : الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم : مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل .

فيه مسائل :–

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين وهي التي قيل انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله تعالى : « قالوا الحق وهو العلي الكبير » .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله قال كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .
السابعة : أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه .
الثامنة : أن الغشي يعم أهل السموات كلها .
التاسعة : ارتجاف السموات بكلام الله .
العاشرة : أن جبريل هو الذي ينهي الوحي إلى حيث أمره الله .
الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .
الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .
الثالثة عشرة : إرسال شهاب .
الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .
الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الأحيان .
السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .
السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .
الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .
التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .
العشرون : اثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .
الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل .
الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجداً .

ش » المناسبة :-

لما ذكر المصنف حال الرسول وعدم ملكه عن الدفع عنه وعن أهل بيته وقرابته ناسب أن يبوب باباً آخر يبين فيه حالة الملائكة وخوفهم من الله ووجلهم عند نزول الوحي من الله من السماء وفزعهم لتنقطع من القلوب دعوتهم ورجاؤهم والالتجاء إليهم من دون الله فيخلص العبد الدعاء لله .

المفردات :-

قالوا ماذا قال ربكم ، أي يسألون جبريل بعد ما يوحى الله إليه بالأمر . قالوا الحق . فيقولون كلهم مثل ذلك أنه قال الحق . فالله عز وجل حق وكلامه حق وأمره حق وشرعه حق . ولا يقول إلا الحق وهو العلي . فله العلو المطلق من جميع الجهات علو القدر كما في قوله تعالي : « وهو العلي الكبير » وعلو القهر كما في قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده » ، وعلو الذات كما في قوله تعالى : « ثم استوى الرحمن » . قوله الكبير فلا أكبر ولا أعظم منه تعالى وتقدس .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة :-

يخبر تعالى أنه بعد ما يوحى بالأمر ويقضي يسمع لذلك صوت كجر السلسلة على الحجر الأملس ثم تخر الملائكة جميعها سجداً لله تعظيماً وإجلالاً وهيبة حتى يرفع جبريل رأسه فيكلمه الله بما شاء من الأمر والنهي والاحياء والإماتة وغير ذلك ثم يمر جبريل على الملائكة فيخبرها بأن الله قال حقاً ويخبرهم الخبر فتقول الملائكة مثل مقالة جبريل بأن الله تعالى قال الحق وهو العلي على الخلق بالتدبير والقهر والارتفاع فوق سماواته لا إله غيره ولا رب سواه .

ما تفيده الآية :-

١ - أن الله يتكلم كلاماً حقيقياً يسمع بصوت وحرف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .
٢ - الرد على من أنكر كلامه تبارك وتعالى .
٣ - أن الملائكة تخر صعوقاً تعظيماً لله وهيبة وإجلالاً .
٤ - اثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه كما ورد في الآية وغيرها مما ورد ذكره في القرآن كثيراً . قال شيخ الاسلام : « الرحمن على العرش استوى في سبع مواضع من القرآن » ، ثم ساق أولها سورة الأعراف ثم سورة يونس، وهكذا حتى عد سبعاً .
٥ - أن الله كبير وعظيم لا يقدر أحد قدر عظمته وكبريائه .

قوله في الصحيح أي صحيح البخاري إذا قضى الله الأمر في السماء أي إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده وقضاه ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله أي تضرب الملائكة مع خضوع وخوف قوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك أي الصوت المسموع كأنه سلسلة على صفوان أي الحجر الأملس فينفذ إلى جميع الملائكة ذلك الصوت حتى إذا فزع عن قلوبهم أي زال عنها الفزع قالوا : ماذا قال ربنا أي يسألون ماذا قال ربنا فيجابون بأنه قال الحق وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترق السمع وهم الشياطين .

ومسترق السمع هكذا . أي يركب بعضهم بعضاً إما في الهواء او العنان وهو السحاب وقيل عند السماء الدنيا . وصفه سفيان . أي ابن عيينه بكفه فحرفها أي فرق بين أصابع كفه وبددها فيسمع الكلمة التي قضى الله وتكلم بها الملائكة فيلقيها إلى من تحته أي من يليه حتى تصل إلى الأسفل منهم وربما أدركه الشهاب أي أصابه وهو القطعة من النجم ترمى بها الشياطين قبل أن يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة أي مع الكلمة أي يزيد فيها هذه الزيادة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا أي يقول أولياؤهم قد قال اليوم الفلاني من أيام الأسبوع أو السنة أنه سيكون كذا فيصدق بتلك الكلمة . أي الكلمة المسترقة من السماء عند وقوعها ونزولها .

المفردات :-

إذا أراد الله أن يوحى بالأمر . أي أراد أن يقضي فيوحي بكلام يسمع بأمر ونهي وإحياء وإماتة

رجفة أو رعدة . أي سمع لذلك صوت كصوت الرعد خوفاً من الله . أي أن أهل السموات تخافه . صعقوا أي خروا صعوقاً وهو الغشي مع السجود فيكون أول من يرفع رأسه جبريل أشرف الملائكة وهو السفير بين الله وخلقه وهو أفضل الملائكة . كلما مر على أهل السماء سأله ملائكتها فالملائكة إذا أفاقت سألت جبريل عليه السلام عما أوحاه الله فيخبرها جبريل .

المعنى الإجمالي للحديثين :-

هذان الحديثان يدلان على عظمة الله تبارك وتعالى وعلى شدة خوف السماوات وسكانها من الملائكة والأرض والجبال وأن الجميع يصعق اشفاقاً وخوفاً من عذاب الله وإجلالاً ومهابة للرب وعلى أن الله يتكلم بحرف وصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن ذلك الصوت ينفذ إلى جميع أهل السماوات وهذا رد على منكري ذلك من الجهمية وغيرهم ويدل أن جبريل أفضل الملائكة يكلمه الله بما يشاء من وحيه وهو السفير بين الله وبين الخلق فينزل بالوحي مع قوته وأمانته على وحي الله ورسالته فتسأله الملائكة إذا رفعت رؤوسها وأفاقت من غشيها أخبرها بما قضاه الله وقدره وأوحاه وأمر به من جميع الأمور كما قال تعالى كل يوم هو في شأن . وقولهم ان الله عز وجل قال الحق فهو حق وكلامه حق وقوله حق ووعده صدق وهو العلي الكبير فله العلو المطلق بكل وجه واعتبار علو الذات وعلو القدر وعلو القهر فلا أكبر منه ولا أعظم وأن الشياطين تسترق السمع لما تتكلم به الملائكة فيما بينها إما عند سماء الدنيا وإما في العنان . ولربما أدركتهم الشهب ، وأحرقوا قبل أن يلقوها إلى من تحتهم كما أن الشياطين يكذبون مع ما سمعوا من السماء مائة كذبة وأن تلك الكلمة التي اختطفت من السماء يصدقون بها مع ما أتوا به من الكذب لوقوعها في الوقت الذي سمعوه من السماء ثم تقع به لا تتقدم ولا تتأخر فيغتر بها كثير من ضعاف العقول والعقيدة .

ما يؤخذ من الحديثين من فوائد :-

١ - سماع الملائكة لكلام الله .
٢ - خوفهم منه هيبة وتعظيماً وإجلالاً فيحصل لهم السجود والصعوق .
٣ - فضيلة جبريل وتكليم الله وأمانته كما في قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » .
٤ - الرد على الجهمية المنكرين أن القرآن كلام الله وكما في قوله : « إنه لقرآن كريم تنزيل من رب العالمين » .
٥ - استراق الشياطين للسمع من السماء أو السحاب وأنهم يركب بعضهم بعضاً في الهواء . فيسمعون حديث الملائكة .
٦ - إحراق الشياطين بالشهب في بعض الأحيان وربما سلموا من ذلك فيلقون ما استرقوا على لسان وليهم من السحرة والكهنة .

٧ – ازدياد حراسة السماء والشهب بعد مبعث الرسول .
٨ – كذبهم مع ما استرقوا من الكذب .
٩ – وفيه قبول النفوس للباطل ويصدقون بكلمة ولا يعتبرون مائة كذبة قاله المصنف .

أسئلة :–

١ – باب قوله الله تعالى : « حتى إذا فزع عن قلوبهم ..... » الآية . أذكر المناسبة لهذا الباب لما قبله . بيِّن المفردات الآتية : حتى إذا فزع عن قلوبهم . قالوا ماذا قالوا الحق . وهو العلي الكبير . ما هو العلو المراد ، وما معنى الكبير . اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيها من أحكام .

٢ – حديث أبي هريرة ما هو الصحيح ومعنى قضى الله الأمر في السماء وما معنى ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ما معنى كأنه سلسلة وما معنى ينفذهم واشرح قوله إذا أراد الله أن يوحي بالأمر وما معنى صعقوا وبيِّن ما يدل عليه قوله فيكون أول من يرفع رأسه جبريل واشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيِّن ما يدلان عليه من أحكام .

* * *

« م » باب الشفاعة وقول الله عز وجل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقوله : « قل لله الشفاعة جميعاً » وقوله : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقوله : « وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاءويرضى » وقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض » الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع وقال أبو هريرة له (صلى الله عليه وسلم) من أسعد الناس بشفاعتك قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبتت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، انتهى .

فيه مسائل :—

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد فإذا أُذن له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

« ش » المناسبة : لما ذكر المؤلف وجل الملائكة وخوفهم وصعوقهم عند سماع كلامه تعالى ناسب أن يردف بذكر الشفاعة لأن الانسان إذا عرف خوف الملائكة فينقطع من قلبه التعلق بهم ودعاؤهم فلم يبق إلا الشفاعة ناسب أن يبينها بما يجوز وما لا يجوز لتطلب بالطريقة الشرعية الآتي تفصيلها .

الشفاعة : تعريف شفعت بالأمر شفاعة طالبت بوسيلة أو ذمام وهو شفيع والجمع شفعاء والشفاعة عند الله ليست كالشفاعة في الدنيا بل لا بد من الرضى والاذن والصفة الآتي بيانها .

المفردات :

وأنذر الإنذار الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها الذين يخافون أن يحشروا وهم المؤمنون . ليس لهم من دونه أي الله ولا شفيع فيشفع لهم قوله : لله الشفاعة جميعاً : فهي ملكاً له فلا أحد يشفع إلا بأذنه منذ الذي يشفع عنده إلا بأذنه أي لا يشفع في أحد إلا بعد إذن ورضاه عن المشفوع .

قوله وكم من ملك في السماوات : كم خبرية دل أن الملائكة موجودون في السماوات ولا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى فلا بد من وجود هذين الشرطين الإذن للشافع ورضاه عن المشفوع له وقوله قل ادعوا الذين زعمتهم أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين زعمتم من المعبودات من دون الله ثم نفى أولاً الملك بل أدنى ملك وهو مثقال ذرة ثانياً الشركة وما لهم فيهما من شرك ثالثاً الاعانة أو أن يكون ظهيراً لله وما له منهم من ظهير رابعاً بين عدم الانتفاع بالشفاعة لأن هذا أدنى شيء يرجى منهم .

المعنى الإجمالي :-

أمر الرب سبحانه رسوله بإنذار الذين يخافون وهو المؤمنون من الحشر وما فيه من الأهوال . أنه ليس هناك ولي يتولاهم ولا ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم إذاً فلا بد من الاستعداد بإخلاص التوحيد والعمل الصالح كما أخبر في الآية الأخرى أن الشفاعة جميعها خاصة لله ملكاً واستحقاقاً وليس لأحد أن يشركه فيها وأخبر في الآية الثالثة أنه لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بعد إذنه ورضاه فعند ذلك ينقطع الذين يدعون الأولياء ويطلبون منهم الشفاعة والشفاعة لا تطلب إلا برضى الرب وطاعته وتجريد التوحيد والعبادة له دون ما سواه وأولى الناس بشفاعته (صلى الله عليه وسلم) هم الموحدون كما أخبر أن الملائكة في السماوات والأرض أنها لو طلبت لا تغني ولا تنفع إلا بعد إذن من الله سبحانه لمن يشاء منه ويرضى عن المشفوع كما وبخ الذين يدعون الأصنام ويزعمون أنها تنفع بل لا تملك شيئاً وليست شريكة ولا معينة ولا ظهيرة ولا شافعة فمن كان كذلك فجدير أن لا يدعى من دون الله بل قد يتبرأون منهم يوم القيامة كما في قوله إ« تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » فعليك بإخلاص العمل لله وطلب الشفاعة بالعمل الصالح ومتابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ما يستفاد من الآيات :-

١ - الإنذار العام وخص بذلك المؤمنين لمخافتهم من عذاب الله يوم الحشر والنشر .
٢ - نفي الشفاعة عمن سوى الله من الملائكة والصالحين وغيرهم وإثباتها لله .
٣ - طلب الشفاعة من الله بالعمل الصالح وإخلاص التوحيد .
٤ - أن الشفاعة ملك لله .
٥ - الشفاعة لا تكون إلا يوم القيامة بالشرطين الآتيين :-
الأول : أذن الرب للشافع أن يشفع ليكرمه بالشفاعة .
ثانياً : رضاه عن المشفوع له لأنه قد رضي قوله وعمله لكن له ذنوب فأذن للشافع .
٦ - نفي كل ما يتعلق به المشركون كما قاله الشيخ من الملك أو الشركة أو أن يكون عوناً أو ظهيراً ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا بإذنه .

قوله قال أبو العباس : تعريف : أبو العباس هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية وهو شيخ الاسلام المشهور وإذا أطلق هذا اللقب في فتح المجيد شيخ الاسلام فالمراد به المذكور وكذا إذا قلت قاله الشيخ فالمراد به هو غالباً .

المفردات والمعنى :-

« ش » من أسعد الناس - سعد كنفع وهو اليمن والسعادة ضد الشقاوة . وتعريف الاخلاص : قال في فتح المجيد . الاخلاص محبة الله وحده وإرادة وجهه فأهل الاخلاص هم أهل التوحيد الخالص

لرب العالمين الذي لا تشوبه شائبة شرك . عكس ما عليه أهل الاشراك من طلب الشفاعة من الأموات والغائبين والملائكة فيما لا يقدر عليه إلا الله فهؤلاء من أبعد الناس عن شفاعة رسول الله لاتخاذهم الأنداد وزاد ابن القيم رحمه الله شرطاً ثالثاً للشفاعة ، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسول (صلى الله عليه وسلم) فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها انتهى . وأما شفاعة الرجل عند سلطان أو غيره لاستنقاذ مظلوم من يده فهذا مرغوب فيه وليس من الشفاعة المحرمة فليتنبه .

فائدة :-

في تنويع الشفاعة وما كان خاصاً للرسول وما كان مشتركاً له ولغيره :-

١ - الشفاعة العظمى وهو أنه إذا كان يوم القيامة قام الناس على صعيد واحد وألجمهم العرق واشتد بهم الكرب كما في حديث الشفاعة الطويل أنهم يأتون آدم عليه السلام فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته فاشفع لنا إلى ربك فيذكر خطيئته فيحيلهم إلى نوح فيقول : اذهبوا إلى أبيكم من بعد أبيكم اذهبوا إلى نوح . ثم يحيلهم نوح إلى ابراهيم ثم يحيلهم ابراهيم إلى موسى ثم يحيلهم موسى إلى عيسى عليه السلام مع أن كل واحد يذكر خطيئته إلا عيسى عليه السلام فلا يذكر خطيئة ثم يقول : اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتون إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقول أنا لها بعد ما يعتذر من قبله من أولي العزم فيأتي إلى العرش فيسجد تحت العرش ثم يحمد الله ويهلله ويفتح الله عليه من الدعاء فيقال له يا محمد قل يسمع وسلْ تعط واشفع تشفع فيقول يا ربي أمتي أمتي فهذه الشفاعة الكبرى وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون لأنه يسأل الله لأمته ولسائر الخلائق ويتكرر منه ذلك مراراً وهذه خاصة به (صلى الله عليه وسلم) .

٢ - شفاعته في أناس قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم في دخول الجنة .

٣ - شفاعته في أناس قد أمر بهم في دخول النار فيشفع لهم في دخول الجنة .

٤ - شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب كما في قصة عكاشة بن محصن .

٥ - شفاعته في رفع درجات من يدخلون الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم .

٦ - شفاعته في التخفيف في العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب .

٧ - شفاعته في أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة وورد أنه قال : أنا أول شفيع في الجنة وأنا أول من يحرك حلق باب الجنة ومعي فقراء أمتي وهذه الشفاعات المتقدمة خاصة به (صلى الله عليه وسلم) .

٨ - شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها وقد تواترت به الأحاديث فهذه الشفاعة يشركه فيها الأنبياء والمرسلون والملائكة والمؤمنون والافراط من ابناء المسلمين وأنكرت الخوارج

والمعتزلة وبعض فرق الرافضة الذين يخلدون أهل الكبائر في النار وهذه الشفاعة تتكرر منه أربع مرات وللناس في ذلك ثلاثة أقوال المشركون والنصارى والمبتدعة من الغلاة في المشائخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمون عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا .

ثانياً : المعتزلة والخوارج وبعض فرق الرافضة أنكروا شفاعة نبينا (صلى الله عليه وسلم) وغيره في أهل الكبائر .

ثالثاً : أهل السنة والجماعة يعترفون بشفاعته وما اختص به دون غيره ويعتقدون ذلك من شفاعته وشفاعة غيره في أهل الكبائر .

أسئلة :-

السؤال الأول : ما هي مناسبة باب الشفاعة لما قبله مع تعريف الشفاعة وما معنى قوله « وأنذر به الذين يخافون » مع تعريف الإنذار ولماذا خص الإنذار بأهل الخوف وما معنى ليس لهم من دونه من ولي مع بيان قوله قل لله الشفاعة جميعاً وما معنى كم في قوله وكم من ملك وما معنى لا تغني شفاعتهم شيئاً واذكر شروط الشفاعة .

السؤال الثاني : ما هو المنفي في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه إلى آخره مفصلاً حسب ما مر بك ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيهما من أحكام واذكر ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية .

السؤال الثالث : ما معنى السعادة في قوله من أسعد الناس في شفاعته . عرف الإخلاص مع ما زاد ابن القيم وبيِّن الشفاعة عند السلطان ليتميز الفارق بينهما واذكر أنواع الشفاعة مع تبيين ما هو خاص بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وما هو مشترك له ولغيره واذكر أقوال الناس في ذلك .

* * *

« م » باب قول الله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت » الآية .

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل وقال له : يا عمي قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فأعادا فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وأنزل الله في أبي طالب « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

فيه مسائل :-

الأولى : تفسير « إنك لا تهدي من أحببت » الآية .

الثانية : تفسير قوله « ما كان للنبي » الآية .

الثالثة : وهي المسألة الكبيرة تفسير قوله قل لا إله إلا الله بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا قال للرجل قل لا إله إلا الله فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة : جده (صلى الله عليه وسلم) ومبالغته في اسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه (صلى الله عليه وسلم) استغفر له فلم يغفر له بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة أصحاب السوء على الانسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : استدلال الجاهلية بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد بكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته (صلى الله عليه وسلم) وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

« ش » المناسبة :-

لماذا ذكر الشفاعة وشروطها المتقدمة أنها لا تنفع إلا الموحدين وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يشفع في أحد إلا من رضي الله قوله وعمله مع إذنه تبارك وتعالى ولما كان عم النبي (صلى الله عليه وسلم) أحق الناس بالشفاعة لو كانت بيد الرسول أو الهداية لكنه قيدت بشروط لا تنطبق على أبي طالب لتظهر حكمة الله جل وعلا وأن بيده هداية القلوب وليعلم الناس أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يملكها فلذا منع منها أبو طالب لخروجه عن أهلها ولكنه خفف عنه العذاب بسبب شفاعته ولم يخرج من النار لقوله تعالى : « وما هم بخارجين من النار » .

معنى الآية : أنك يا محمد لا تملك الهداية والمالك لها هو الله فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويوفق من يشاء فبيده أزمة الأمور وهو أعلم بالمهتدين أي من يستحق الهداية ممن لا يستحقها فإذا الهداية تنقسم إلى أقسام كثيرة ذكرها ابن القيم ونذكر منها :-

١ - هداية دلالة وبيان وارشاد وهي المذكورة في قوله « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » صراط الله أي تبين للناس طريق الحق وطريق الرشاد .

٢ – هداية توفيق وقبول وإلهام وهي المذكورة في قوله « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » فنفى عن نبيه هذه الهداية وأثبتها لنفسه تبارك وتعالى .

قوله في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه إلى آخره .

المفردات :–

الصحيح هما الصحيحان ابن المسيب هو سعيد ابن المسيب تابعي جليل قرشي مخزومي أحد الفقهاء السبعة ومن علماء التابعين ومن أبرزهم علماً وتقى وورعاً وعبادة لما حضرت أبا طالب الوفاة أي المقدمات والعلامات الدالة على ذلك جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا عمي منادى مضاف في حذف اثبات الياء – قل لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وقد دلت على نفي العبادة عمن سوى الله واثباتها لله كلمة أي هذه الكلمة لا إله إلا الله وقوله أحاج لك بها عند الله أي أجادل وأدافع فقالا له أي جليساه عبد الله بن أمية وأبو جهل أترغب عن ملة عبد المطلب وهي دينه الذي مات عليه وهو الشرك فأعاد عليه أي النبي قول لا إله إلا الله فاعادا عليه أي التحريض على البقاء على دين آبائه فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب أي مات على الشرك قال في فتح المجيد الظاهر أنه قال : أنا على ملة عبد المطلب فغيره الراوي استقباحاً وهو من التغيير الحسن قوله وأبى أن يقول لا إله إلا الله ومن التأكيد على أنه مات على الكفر قوله فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأستغفرن لك أي سأطلب لك المغفرة من الله بالدعاء . ما لم أُنْهَ عنك : ما لم ينهني الله عن الاستغفار لك فنهي عن ذلك بقوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى » وأنزل في أبي طالب « إنك لا تهدي من أحببت » .

المعنى الإجمالي : –

كان أبو طالب حدباً على النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان يحوطه ويحميه من أذى قومه ويصبر على ما يلاقي في سبيل ذلك واعترف بكثير من أشعاره بصدق رسالته (صلى الله عليه وسلم) إلا أنه لم يتابع الرسول على دينه خشية المسبة من قومه والملامة منهم عليه فمات على الكفر ومتابعة الآباء ولما حضرته مقدمات الموت وعلاماته حضره الرسول ودعاه للاسلام لعله يموت عليه ولكن جلساء السوء حضروه في المجلس ولقنوه الحجة الملعونة إنا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنا على آثارهم مقتدون فرغب في ملة آبائه وأجداده ومات على الكفر لسبق قضاء الله وقدره ولو كان الرسول يملك هداية القلوب لهداه ولكن الهداية بيد الله من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وهذا من أعظم الدلائل والبراهين على فساد دعوة الصالحين والأنبياء إذا كان الرسول لم يملكها لعمه فغيره أولى وأحرى مع حرصه (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ولو أراد الله الهداية لقال هذه الكلمة ومات على الاسلام ودخل الجنة وقد رغب الرسول في الاستغفار لعمه فنهاه الله عن ذلك وأخبره تبارك وتعالى أن هداية القلوب بيد الله أما هداية الدلالة والبيان والارشاد فهي ثابتة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولمن دل على دينه ودعا إليه وأرشد الخليقة بذلك .

ما يستفاد مما تقدم :-

١ - سبب نزول الآية الكريمة هو موت أبي طالب على الكفر ورغبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في هدايته فأنزل الله عز وجل «إنك لا تهدي من أحببت».

٢ - انقسام الهداية إلى أقسام منها هداية الدلالة والإرشاد وهذه هي المعنية في قوله تعالى «وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم» أي تدل عليه بالدعوة الثانية هداية توفيق وقبول وهذه من خصائص الله تبارك وتعالى للآية الكريمة.

٣ - عظم مكانة التوحيد وأن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى ومن مات عليها مات على الاسلام مع الاعتقاد بمعناها وما دلت عليه والعمل بمقتضاها.

٤ - مضرة جلساء السوء حيث صرفوا أبا طالب عن التوحيد ومات على ضده.

٥ - حرصه (صلى الله عليه وسلم) على هداية عمه وحكمة الله في ذلك ليتبين أن الهداية بيده.

٦ - لو قال أبو طالب هذه الكلمة ومات عليها لنفعته.

٧ - منع النبي (صلى الله عليه وسلم) من الاستغفار له فغيره من باب أولى وأحرى.

٨ - لا يجوز الدعاء للمشركين بعد موتهم.

أسئلة :-

١ - ما مناسبة الباب لما قبله وهو قوله تعالى: «إنك لا تهدي من أحببت» اذكر نوعي الهداية المتقدمة.

٢ - بيِّن ما معنى لا إله إلا الله، وما معنى كلمة احاج لك بها عند الله، وما هي ملة عبد المطلب.

٣ - ما معنى فأعاد عليه النبي وأعادا عليه مع بيان قوله لأستغفرن لك وهل أقر أو نهي عن الاستغفار.

٤ - اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيِّن ما يدل عليه من أحكام.

* * *

«م» باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين وقول الله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً قال هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى

إذا هلك أؤلئك ونسي العلم عبدت وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله أخرجاه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلك المتنطعون قالها ثلاثاً .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين .

الثالثة : أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : ان سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل فالأول محبة الصالحين والثاني فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان لما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه .

الحادية عشرة : مضرة الوقوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشرة : معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة : وهي أعجب وأعجب قراءتهم أياها في التفسير والحديث ومعرفتهم لمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا الا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان لله سبحانه الكمال المطلق والغنى المطلق والتصرف كذلك وأنه لا يستحق أحد من التأله والتأليه سواه فمن غلا في مخلوق حتى أنزله في منزلة الله في قضاء الحوائج أو شيئاً من هذه الأشياء فقد نازع الله فيما هو من خصائصه ناسب ذكر هذا الباب وهو الغلو معناه الاطراء ومجاوزة الحد في تعظيم شخص بقول أو اعتقاد في رجل صالح أو نبي ولهذا ترجم المصنف لهذا الباب بهذه الترجمة ليدلك على منع الغلو في الصالحين أو غيرهم .

المعنى الاجمالي :

وجه اللوم تبارك وتعالى لأهل الكتاب لغلوهم في أنبياء الله ورفعهم فوق مقام النبوة والرسالة في قولهم في عيسى انه ابن الله وجعله إلهاً مع الله تعالى الله عن ذلك وأخبر سبحانه أن المسيح بن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل وأن أمه صديقة وأنهما من جملة البشر يأكلان الطعام وأمر أن يعبد وحده دون ما سواه وأنه لا اله إلا هو لا في الأرض ولا في السماء ومنزه عن الشريك والمعين والمشير والوزير والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو موجه تحذير لهذه الأمة لئلا تفعل مثل فعلهم وتغلو في نبيها أو بقية الصالحين كما غلت النصارى في عيسى فكل من غلا في نبي أو ولي فعليه وعيد شديد من الله عز وجل .

ما تفيده الآية :

١ – النهي عن الغلو في الصالحين ورفع منزلتهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله عليها .

٢ – أمر أهل الكتاب بأن لا يغلوا في دينهم فيدعوا المسيح من دون الله .

٣ – من أعظم البهت والكذب أن يجعلوه ابن الله أو ثالث ثلاثة أو إلهاً مع الله .

٤ – تحذير هذه الأمة أن لا يغلوا في دينهم وتفعل كما فعلت اليهود أو النصارى في أنبيائها .

٥ – أن سبب تغيير دين الإسلام هو الغلو في الصالحين .

قوله في الصحيح أي صحيح البخاري .

المفردات :

لا تذرن : لا تتركوا . آلهتكم : معبوداتكم . ومعرفة الاله تقدم في أول الكتاب – قوله وداً . هذه أسماء رجال صالحين . ثم صارت هذه الأوثان تعبد في العرب . أما ود فكانت بدومة الجندل وسواع لهزيل ويغوث لمراد ثم لغطيف عند سبأ ونسر لحمير ذي الكلاع فلما هلكوا أي ماتوا أوحى الشيطان إلى أوليائهم أن انصبوا وهو التسوية أنصاباً جمع نصب وهي الأصنام المصورة على صورهم حتى إذا هلك اولئك أي الذين صوروا صورهم ونسي العلم وذلك بذهاب العلماء بالموت . عبدت . أي زين لهم الشيطان عبادتهم ومعنى الأمد طول الزمن . قوله : عكفوا أي أطالوا المكث عندها بالدعاء قال تعالى ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .

المعنى الإجمالي :

ذكر الله سبحانه وتعالى قصة حدوث الشرك في الأرض بعد آدم وذلك أن أناساً صالحين من قوم نوح أهل عبادة وزهد فلما ماتوا جاءهم الشيطان وأوحى اليهم أن صوروا صورهم في مجالسهم التي يجلسون عليها حتى تتذكروا أعمالهم وعبادتهم وتفعلوا كفعلهم وتزدادوا بذلك عبادة وصلاحاً فلما مات من فعل ذلك لأجل الذكرى والاقتداء بهم أتاهم الشيطان وقال ما فعل ذلك أوائلكم الا لأنهم يعبدونهم فغرر بهم فعبدوهم وهم الأصنام المذكورون في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم . الآية .

وقد أضلوا كثيراً بعبادتهم لهم من دون الله . وقد نسفت تلك الأصنام على ساحل جدة وأتى الشيطان إلى عمرو بن احدث الخزاعي وهو سيد خزاعة وكان أول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم وكانت العرب قبله على دين ابراهيم حتى احدث الشرك عمرو فيهم ولما جاءه الشيطان قال له ائت جدة تجد فيها أصناماً معدة عند ذلك وزعها في قبائل العرب المتقدم ذكرهم حتى قال فيه الرسول عليه السلام أني رأيته يجر قصبة في النار لأنه أول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم ولهذا وأمثاله نهي عن تعظيم الصالحين والدعاء عند قبورهم لئلا يحدث ما حدث في الأمم السابقة .

ما يؤخذ من الحديث :

١ – معرفة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وأنها أسماء صالحين .

٢ – استدارج الشيطان بالخلق وإتيانهم من باب التعظيم والافتداء حتى أوقعهم في الشرك الأكبر .

٣ – نبذ كثير من هذه الأمة تحذير الرسول من تعظيم القبور والصالحين حتى وقعوا بالشرك كما يفعل عند كثير من قبور الصالحين بل والطالحين من طلب الحاجات ورفع الكربات وذبح القرابين .

٤ - أن سبب ذهاب العلم موت العلماء وقد قيل ان معنى قوله أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها قيل المراد موت العلماء .

٥ - أن العباد ولو كثروا أهون على الشيطان من عالم واحد مخلص قوله/عن عمر بن الخطاب الحديث :

المفردات :

الإطراء هو مجاوزة الحد بالتعظيم والمدح قوله كما أطرت النصارى ابن مريم بالغلو المتقدم صفته . قوله إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . هذا من أشرف مقامات النبي . العبودية الخاصة كما في قوله أليس الله بكاف عبده وكذا الرسالة فالله اصطفاه وأرسله وشرفه على سائر الأنبياء والمرسلين والغلو هو رفع الشخص فوق منزلته بالتعظيم وتقدم . قوله هلك المتنطعون أن المتعمقون لطلب أطايب الكلم ويشمل المتنطع في علم الكلام وغيره مما يتقعر فيه كما أن الغلو في الدين مذموم وهذه قطعة من حديث رواه أحمد وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال غداة جمع هلمّ فالتقط لي فلقطت له حصى هن حصى الخذف فلما وضعهن بيده قال نعم بمثل هذه وأياكم والغلو في الدين .

المعنى الإجمالي للحديث :

هذه الأحاديث تدل على اهتمام الشارع وانكاره لمبدأ الشرك ووسائله وما يقرب منه ولهذا أخبر أن النصارى غلت في المسيح حتى جعلوه الهاً مع الله فنهى أمته عن اطرائه ورفع درجته فوق منزلته لئلا يقعوا فيما وقعت فيه بنوا اسرائيل من دعائه وجعله الهاً مع الله وكما فعلوا في عزير .

قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب موجه لأهل الكتاب وعنيت فيه هذه الأمة كما في هذه الأحاديث لا تطروني بالغلو ورفع منزلتي وقد غلوا فيه ونبذوا تعليمه وما أمر به وارتكبوا ما نهى عنه واعتقد البعض منهم انه يعلم الغيب وأن الدنيا بيده فقال شاعرهم :

فـإن من جودك الـدنـيـا وضرتـهـا ومن عـلـومك عـلـم الـلـوح والـقـلـم

إن لم تـكـن في معـادي آخـذا بـيـدي فضلاً وإلاّ فـقـل يـا زلـة الـقـدم

وعلم الغيب والخير بيد الله وايجاد الدنيا وزوالها كله بيد الله وإذا قال تعالى قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .

إذا عرفت هذا عرفت ما وقع به كثير من هذه الأمة من الوقوع في الشرك والغلو فمن غلا في نبي أو غلا في التشديد وترك المباحات من أكل المأكولات الطيبة الحلال أو ترك النكاح أو ترك الملابس الحسنة التي لم تخرج إلى حد السرف واستعمل الخشن وقصدهم بذلك الزهد فإن كل هذا نوع غلو في

الدين هذا معنى ما ذكره الشيخ قال هو جاهل ضال إذا قصد الزهد وكذا التعمق في الكلام كما جاء عن رسول الله أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل أطايب الكلم كما تتخلل البقر بلسانها ومما يدل على التحذير والانكار أنه قال ذلك ثلاث مرات مبالغة منه صلى الله عليه وسلم وزجراً عن هذا العمل .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث :

١ – النهي عن الغلو في الرسول ورفع منزلته فوق المنزلة التي أنزله الله عليها .

٢ – تحذير هذه الأمة عما وقعت فيه النصارى من جعلها الهاً مع الله .

٣ – أشرف مقامات الرسول العبودية والرسالة .

٤ – تحريم الغلو في الدين والمبالغة وخير الأمور الوسط لا غالياً ولا جافياً .

٥ – أن التعمق والتقعر في الكلام أو غيره إذا لم يقصد به تبين حق أو دحض باطل فهو محرم

أسئلة :

١ – بين مناسبة باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لما قبله مع بيان الغلو وشرح قوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وما تدل عليه من أحكام .

٢ – حديث الصحيح ما هو الصحيح وما معنى قوله لا تذرن آلهتكم وبين الأصنام الآتية ومكانها في أرض العرب ود – سواع – يغوث – يعوق – نسر ولمن تكون هذه الأصنام من قبائل العرب مع توضيح ما يأتي : أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون اليها أنصاباً وما هو سبب نسيان العلم واشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين أحكامه .

٣ – ما هو الإطراء وما هو إطراء النصارى لعيسى وما هي العبودية وما هو التنطع واشرح الحديث شرحاً مجملاً وما يفيده من أحكام .

* * *

« م » قوله باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده .

في الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً أخرجاه ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي قبل أن يموت بخمس وهو يقول اني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك فقد نهى عنه في آخر حياته ثم انه لعن وهو في السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك وأن لم يبن مسجد وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجداً فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد رواه أبو حاتم في صحيحه .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك .

الثالثة : العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك كيف بين لهم هذا أولاً ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى هي قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة في عدم ابراز قبره .

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليهم الساعة وذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع بل

أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور .

الثانية عشرة : ما بلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

الخامسة عشرة : الاشارة إلى خلافته .

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر الشيخ الغلو في الصالحين وبيان تحريمه ناسب أن يذكر بعده العبادة عند القبور وأنها من أسباب الغلو .

المفردات :

قوله التغليظ أي من الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله أولئك من شرار الخلق ولما كانت العبادة عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتها والوسيلة لها حكم الغاية حرمت لأجل ذلك وأما إذا عبدها فهذا الشرك الأكبر قوله في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة إلى آخره . ويروى أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله والصحيح المراد به صحيح البخاري ومسلم وأم حبيبة وأم سلمة هما أما المؤمنين وذلك في مهاجرهما إلى الحبشة وهما بالتثنية والكنيسة معبد النصارى أولئك الأولى بالكسر للمرأة بنوا على قبره مسجداً هذا هو الشاهد من الحديث حيث نهى عن اتخاذ القبور مساجد قوله وصوروا فيه تلك الصور أي صور الصالحين أولئك شرار الخلق عند الله لأن الرسول لعنهم لارتكاب هذا الفعل المحرم ولأنهم يسجدون على القبور وقد نهوا عن ذلك قال شيخ الإسلام فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور لأن الفتنة بها تصيرها أوثاناً تعبد من دون الله وفتنة التصاوير لأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون قوله لما نزل برسول أي الموت ومقدماته وهو ملك الموت وأعوانه – طفق أي جعل خميصه والخميصة الكساء له أعلام . قوله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تحذيراً للأمة خشية الفتنة بها ولولا ذلك أي خوف اتخاذه مسجداً لأبرز قبره مع سائر الصحابة غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً يحتمل أنه هو الخائف ويحتمل أنهم الصحابة خافوا ذلك .

المعنى الإجمالي :

تحدثت أم سلمة أم المؤمنين وأم حبيبة أم المؤمنين أيضاً للرسول الكريم بما رأتا من عجائب فعل النصارى عند قبور الصالحين منهم من بناء المساجد عليها وتصوير التماثيل أيضاً والصلاة عندها فأخبرهما صلى الله عليه وسلم أنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة لما ارتكبوا من عظيم الاجرام وسيئ الأفعال بسجودهم عند قبور أنبيائهم وباستقبال القبور للصلاة وكل هذا غير جائز ومحرم عند جماهير العلماء المعتد

بقولهم أما السجود فشرك كما ذكر ذلك شيخ الإسلام أن جميع أتباع الأئمة الأربعة قد أجمعوا على تحريم ذلك الا ما يروى عن النزر اليسير من القول بالكراهة قال والكراهة هنا تحمل على التحريم لأنه لا يليق بهم إلا ذلك وقد جمعوا في فعلهم هذا بين فتنتين عظيمتين محرمتين : فتنة تعظيم القبور وفتنة التصاوير لأن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورين والذي يعظم القبور كما سيأتي وهذا الذي نقلته مختصر من كلام الشيخ رحمه الله .

ما يستفاد مما تقدم :

١ – تحريم اتخاذ القبور مساجد .

٢ – ان التصاوير على القبور وتعظيم القبور من فعل النصارى وأن النبي نهى وغلظ القول في ذلك تحذيراً للأمة .

٣ – اخباره صلى الله عليه وسلم من فعله أنه من شرار الخلق .

٤ – أن من عبد الله عند القبر فهو فعل محرم وأما إن عبد القبر فهو شرك جلي فهو عبر عن الأول بالشرك الخفي .

٥ – أن التصاوير على القبور والنقوش عليها وارخاء الستور من هذا القبيل المحرم .

قوله في حديث جندب بن سفيان البجلي صحابي مشهور .

المفردات :

قوله إني أبرأ إلى الله برئت من الشيء أبرأ براءة وأنا منه بريء إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه قوله أن يكون منكم خليل أي ليس لي من هذه الأمة خليل والخلة هي أعلى درجات المحبة قوله فإن الله قد اتخذني خليلاً إلى آخره فيه الرد على من زعم أن محمداً حبيب الله وابراهيم خليله والحديث الوارد في ذلك ضعيف قوله ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً فيه فضيلة أبي بكر وأنه أفضل الأمة على الاطلاق بل لم تطلع الشمس ولم تغرب على أفضل منه ما خلا الأنبياء والمرسلين قوله ألا وان من كان قبلكم أي من الأمم كما تقدم في فعل اليهود والنصارى قوله ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إلى آخره هذا تغليظ منه صلى الله عليه وسلم وتحذير لهذه الأمة لئلا تفعل كفعل الأمم وقد خالفوا أمره وارتكبوا نهيه قوله فقد نهى عنه وهو في السياق أي سياق الموت وهذا الكلام من كلام شيخ الإسلام قوله والصلاة عندها من ذلك أي مما نهي عنه قوله وأن لم يبن مسجد فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً لأنه ليس من شرط المساجد أي تبنى على هيئة مسجد بل ما تقصد فيه الصلاة فهو مسجد قوله وكل موضع قصدت الصلاة فيه يسمى مسجداً أي ولو لم يبن على هيئته قوله بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً أي ولو لم يقصد على أنه مسجد كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي

الأرض مسجداً وطهوراً وهذا ما استدل به الشيخ على ما تقدم قوله ان من شرار الناس أي أن أشرار الخلق عند الله من تقوم عليهم الساعة وهم أحياء أو من تدركهم مقدماتها والذين يتخذون القبور مساجد أي أن من اتخذ القبور مساجد يصلَّى فيها أو يسجد عليها أو يدعوها من دون الله أو مع الله ومن دعاها مع الله أو من دون الله فإنه شرك بالله .

فائدة :

الفرق بين المحبة والخلة المحبة هي تعلق القلب بالمحبوب والخلة هي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

ومحبة الله لعباده وخلته كما يليق به سبحانه والخلة تخلل المحبة فلذا امتزجت في دمه ولحمه ولذا قال صلى الله عليه وسلم إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه فكانت الخلة أعلى درجات المحبة ولذا ثبتت محبته لأشخاص كأبي بكر وابنته عائشة وقد قال لمعاذ والله اني لأحبك ولما قال عمرو بن العاص أي الناس أحب اليك ؟ قال : عائشة ! فمن الرجال ؟ قال : أبوها ، وقد أنكرت الجهمية كمال المحبة كما أنكرت حقيقة المحبة من الجانبين زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة وكذلك أنكروا حقيقة التكليم وكان أول من ابتدع هذا القول هو الجعد بن درهم في أوائل المئة الثانية وضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الأضحى فقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم (من شرح الطحاوية) .

وقال بن القيم في ذلك :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

المعنى الإجمالي للآثار المتقدمة مختصراً :

. تبرأ الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الدار لارتفاع منزلته إلى خلة الأبرار ولما انقطع بمحبة محبوبة وصدق بقصده اصطفاه بالخلة بعد الرسالة كما اصطفى ابراهيم بالخلة والكرامة لما تخللت محبته رسوله في دمه ولحمه صار بريئاً من كل خليل الا خلة رب العالمين ان أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله

قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً . إبراهيم ليثبت أن هذه أعلى درجات المحبة ولو كانت المحبة أفضل لما تبرأ من خلة أحب الناس إليه أبو بكر مع أنه أثبت أنه أحب الناس إليه وكذلك عائشة ومعاذ وغيرهم .

ثم حذر من شيء يخافه على أمته وهو اتخاذ القبور مساجد تشبه بعبادها هذا إذا لم تعبد مع أنه وسيلة إلى عبادته فلهذا حذر من ذلك أشد التحذير وخاصة قبره كما في قوله اللهم لا تجعل قبري .وثناً يعبد ولهذا نهى عنه في آخر حياته قبل موته بخمس ثم انه قد لعن وهو في سياق الموت من فعل مثل هذا الفعل كل هذا خوفاً على الأمة لئلا تقع بما وقعت به الأمم قبلها كما وضح ذلك الشيخ رحمه الله ثم ان اتخاذ القبور مساجد لا يلزم منه أنه بني على هيئة مسجد أو يقصد من بعد بل إذا صليت إلى قبر عالماً بهذا القبر فقد اتخذته مسجداً أما الذي يقصده ويشد الرحل إليه فهذا أعظم اثما لأن شد الرحل لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة ثم انه أخبر أن أشرار الناس من تقوم عليهم الساعة لأنها تأتي ريح من قبل الشام فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فيبقى شرار الخلق فتقوم عليهم الساعة ولا تقوم الساعة ويقال في الأرض الله الله كما أن من شرار الخلق الذين يتخذون عليها المساجد كما هو واقع من هذه الأمة منذ أزمنة بعيدة وكأن الرسول لم يَعْنِهم بهذا فبنوا المساجد وأسرجوا السرج بأنواع القناديل والمصابيح والثريات فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ما يستفاد من الأحاديث :

١ – الفرق بين المحبة والخلة وأن محمداً خليل الله كابراهيم خلافاً لمن زعم أن محمداً حبيب الله وابراهيم خليل الله .

٢ – معرفة أن الخلة أعلى درجات المحبة .

٣ – براءته من اتخاذ الخليل لأمته .

٤ – فضيلة أبي بكر وأنه أفضل الأمة وأنه خليفة رسول الله لهذا الحديث ولغيره من الأدلة الأخرى .

٥ – تحذيره من اتخاذ القبور مساجد وبالأخص قبره صلى الله عليه وسلم .

٦ – أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق .

٧ – إن من اتخذ القبور مساجد ونورها بالمصابيح والسرج من شرار الخلق عند الله .

أسئلة :

١ – ما مناسبة باب ما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح إلى آخره لما قبله ولماذا

غلط الرسول في ذلك وبين الكنيسة ومن رآها في أرض الحبشة ولماذا كسرت الكاف في أولئك الأولى وما هو الشاهد من الحديث للباب .

٢ – لماذا جمع من صور الصور على القبور بين فتنتين وما هو الذي نزل برسول الله وما معنى طفق وما هي الخميصة ومن الذي خشي أن يتخذ مسجداً ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام .

٣ – حديث جندب بين المفردات الآتية : عرف الخلة وما الفرق بين الخلة والمحبة واذكر دليل فضل أبي بكر ثم اشرح قوله ألا وان من كان قبلكم كان إذا مات فيهم الرجل الصالح إلى آخر الحديث – هل تجوز الصلاة إلى القبر وهل حكم المقبرة كالقبر الواحد من قبل الصلاة وهل يشترط في تحريم الصلاة عند القبر كونه مبنياً على هيئة مسجد ومن هم شرار الناس الوارد ذكرهم في الحديث وما المراد بالساعة ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً مع بيان أحكامه .

***

« م » **قوله باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله .**

روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد أفرأيتم اللات والعزى قال كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس قال كان يلت السويق للحاج وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه أهل السنن .

فيه مسائل :

الأولى تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها صفة معرفة اللات التي هي أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنة زوارات القبور .

العاشرة : لعنة من أسرجها .

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر تحريم العبادة عند القبر الصالح الذي هو سبب الغلو ناسب أن يذكر الغلو الذي هو سبب العبادة وتصييرها وثنا يعبد ولهذا منع منه .

المفردات :

تعريف الإمام مالك : راوي الحديث هو امام دار الهجرة ما لك بن أنس الأصبحي من شيوخ الشافعي قرأ عليه الموطأ واحد الأئمة الأربعة المشهورين قوله اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد الوثن كل ما عبد من دون الله ونسأل الله أن لا يجعل قبره كقبر غيره من الأنبياءباتخاذه مسجداً قوله اشتد غضب الله تغليظ في ذنب من فعل هذا الذنب قوله اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وذلك لأنه وسيلة إلى عبادتها وربما كانت تعبد من دون الله لهذا السبب كما فعلته النصارى .

قوله ولابن جرير بسنده : وهو الإمام الكبير محمد بن جرير الطبري المفسر المجتهد وكل المفسرين عيال عليه – قوله عن سفيان : هو ابن سعيد الثوري كان من المعروفين بالعلم والعبادة والزهد ومن ائمة الدين المشهورين عن منصور هو ابن المعتمر السلمي ومجاهد أبو الحجاج بن جبير من بني مخزوم .

قوله كان يلت لهم السويق : فمات فعكفوا على قبره . أي أنهم غلوا فيه لشهامته وكرمه وإحسانه – قوله فعبدوه من دون الله وهذا هو الشاهد وتقدم معناه وكذا تقدم معرفة اللات والعزى وأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي أي قال مثل ما قال مجاهد من سبب الغلو فيه قوله لعن الله زائرات القبور – زائرات القبور من النساء لا يجوز لهن الزيارة وسيأتي بيان ذلك : وقوله والمتخذين عليها المساجد والسرج فهذا يدل على تغليظ المبالغة في تعظيم القبور وانارتها لأنه تعظيم لها ووسيلة إلى عبادتها كسائر تعظيم القبور .

المعنى الإجمالي للباب :

الرسول عليه الصلاة والسلام دعا وسأل ربه أن لا يجعل قبره من جملة القبور الّتي تعبد من دون الله بالصلاة لها أو عندها فيكون سبباً لهلاك أمته وزجر عنها إلى الشرك الذي حذر منه غاية التحذير وبالغ في ذلك في آخر حياته . وأخبر أن الله اشتد غضبه على من اتخذ القبور مساجد يصلي اليها ويعبدها من دون الله كما سد باب تعظيمه لئلا يغلى فيه فيدعى من دون الله ويسجد له وذكر ابن القيم رحمه الله أن الله أجاب دعاءه بقوله :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران :

وقال القرطبي : بالغت الأمة في تعمية قبره عن اتخاذه مصلى يصلى اليه فكأن الجدار جاء على صفة مثلث لئلا يكون في قبلة المصلي انتهى بالمعنى ثم ساق المصنف حديث سبب عبادة اللات وأنه كان رجلاً صالحاً ذا كرم وسخاء فافتتن الناس فيه فعظموه وغلوا فيه حتى عبدوه من دون الله لما عرف عنه من إكرام لحاج ولت السويق لهم كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من اتخذ القبور مساجد يصلي لها ويعبدها من دون الله فهو ملعون على لسانه وكذا زائرات القبور من النساء وقد علل ذلك بعض العلماء بأنهن ضعيفات عقل ودين فلا يؤمن عليهن الجزع عند زيارة القبور بخلاف الرجال فإنه قد رغب في زيارتهم للقبور وسيأتي الفرق بين النساء والرجال في الزيارة .

ما يؤخذ من الباب :

١ - النهي عن الغلو في الصالحين وأن الغلو سبب لعبادتها كما جرى لقوم نوح ومن بعده .

٢ - دعاؤه وسؤاله ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد وقد استجيب له .

٣ - أن الله يشتد غضبه على من عبد قبر نبي فكيف بمن دونه .

٤ -

٥ - نهي النساء عن زيارة القبور والتغليظ فيه حيث انه لعن زوارات القبور مع اختلاف العلماء في ذلك . فذهب البعض إلى جوازه مستدلين بفعل عائشة من زيارتها لقبر أخيها عبد الرحمن مع قولها لو كنت حضرت وفاتك ما زرتك وقد أنكر عليها ذلك فاستدلت رضي الله عنها بالرخصة العامة اني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وهذا عام للرجال وتدخل فيه النساء كما هو معروف في كتب الأصول لكن خصص هذا بلعنه زائرات القبور وبقوله لفاطمة لو بلغت معها الكدي لم تدخلي الجنة وكذا نهيه النساء عن اتباع الجنائز وهذا هو القول الثاني قال العلماء هذا الذي عليه العمل من عدم جواز زيارة النساء للقبور ويقول شيخ الإسلام هذا آخر الأمر منه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته وأما الرجال فقد رغب عليه الصلاة والسلام في ذلك وقال من صلى على الجنازة فله قيراط من الأجر ومن شيعها حتى تدفن فله قيراطان والقيراط مثل الجبل العظيم والعلة في تحريم الزيارة على النساء هو ضعفهن وعدم صبرهن وربما أظهرن الجزع بخلاف الرجال والله أعلم .

٦ - إن شرارهم الذين يسرجون السرج على القبور .

٧ - لا يجوز صرف ما نذر لإسراج القبور بل يصرف في الخير .

أسئلة :

١ - ما مناسبة باب ما جاء أن الغلو في الصالحين يصيرها أوثاناً إلى آخره لما قبله واذكر شيئاً من ترجمة الامام مالك وابن جرير الطبري وسفيان الثوري وأبي الجوزاء واشرح قوله صلى الله عليه وسلم أللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد مع بيان صيانة الله لقبره ولماذا حذر من اتخاذ قبره مسجداً .

٢ - بين الزيارة المشروعة للرجال والزيارة الممنوعة للنساء واذكر الخلاف في ذلك وهل يجوز للنساء تشييع الجنازة .

٣ - بين حكم الصلاة على الجنازة للنساء واذكر فضيلة المصلي والتابع لها حتى تدفن واشرح الحديث شرحاً مجملاً واذكر ما يستنبط منه من أحكام .

* * *

« م » **قوله باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك .**

وقول الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيىء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم ليبلغني أينما كنتم رواه في المختارة .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

السابعة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

« ش » **المناسبة** : لما ذكر أسباب الشرك ووسائله من اتخاذ القبور مساجد وتعظيم الصالحين ناسب أن يذكر بعده حماية النبي للتوحيد لئلا يقع أحد في الشرك فسد الطرق الموصلة إليه قوله المصطفى وهو المختار من الصفوة وطاؤه منقلبة عن تاء وجناب التوحيد أي جانب التوحيد وجهاته وسده كل طريق يوصل إليه لبيانه لتلك الطرق .

المفردات :

لقد جاءكم : أي المسلمون . رسول منكم : أي من جنسكم . عزيز عليه ما عنتم : أي يعز عليه كل ما يشق عليكم . حريص عليكم : أي على هدايتكم بالمؤمنين . رؤوف رحيم : الرأفة والرحمة من أسماء الله وقد حياهما الله لنبيه . فإن تولوا عن دين الإسلام ومتابعته فقل حسبي الله أي كافي الله لا اله إلا هو فلا أعتمد على غيره عليه توكلت أي فوضت أمري واعتمادي عليه وهو رب العرش العظيم . ذكر هنا أنه رب العرش العظيم فوصفه بالعظيم ووصفه مرة أخرى بالمجيد وهو الواسع فهو عظيم فوق كل شيء من المخلوقات وهو أيضاً كريم والله جل وعلا مستوٍ عليه فاذا كان الكرسي موضع القدمين وسع كرسيه السموات والأرض فما بالك بالعرش الذي لا يقدر قدره إلا هو .

المعنى الإجمالي :

وصف الرب تبارك وتعالى نبيه بالرأفة والرحمة وأنه رسول إلى الناس كافة أسودهم وأبيضهم وأحمرهم وبين ذلك وهو حريص على هداية أمته وهو منهم يعرفون حسبه ونسبه ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وعفافته وطهارته ونزاهته ومع ذلك فهو ذو شفقة على الأمة يشق ويعز عليه كل ما فيه حرج وتعب وعنت على الناس وقد جاء بالحنيفية السمحة وهي ملة ابراهيم فأمره الله بتبيينها للناس ودلهم عليها وأما هداية القلوب فهي بيد الله ولذا قال فإن تولوا عما جئت به فقل حسبي الله الذي يكفي من توكل عليه ورغب في ما عنده فهو المتفرد بالعظمة والعزة والقهر فوق عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

ما تفيده الآية :

١ – ان الله بعث نبياً عربياً من جنس العرب يعرفون منه كل شيء وله مكانة عظيمة عندهم قبل الوحي من الأمانة والصدق والعفاف فحري أن يتابع .

٢ – إن كل ما يشق على الأمة يعز على هذا الرسول .

٣ – حرصه على هدايتهم ودخولهم في الإسلام .

٤ – وصفه الله بالرأفة والرحمة مع أن الله عز وجل وصف نفسه بأنه رؤوف رحيم .

٥ – أن من أعرض عما جاء به الرسول من الحق فإن الله مطلع وحسيب عليه وسيجازيه على ذلك .

٦ – عظمة العرش وأنه فوق ما تتصوره الأذهان .

٧ – من اتصف بهذه الصفات المتقدمة حريّ أن يستجاب لدعوته . قوله لا تجعلوا بيوتكم قبوراً

قوله لا تجعلوا بيوتكم قبوراً يحتمل أن المراد هجرها عن الصلاة فيها فتكون كالمقبرة ويحتمل النهي عن الدفن فيها فحينئذ لا تجوز فيها الصلاة قوله فرجة هي الكوة بالجدار وصلوا عليّ الصلاة لغة الدعاء والصلاة وصفتها على النبي تقدم في أول الكتاب قوله فإن تسليمكن يبلغني حيث كنتم أي سواء عند قبر النبي وفي المدينة أو في المشرق أو المغرب أو في أي جهة ما لأنه موكل ملائكة تبلغه السلام من أمته .

المعنى الإجمالي :

حديث أبي هريرة وحديث علي بن حسين زين العابدين اتفق هذان الحديثان على تحريم قصد الزيارة وجعل ذلك قربة أما بشد الرحل لأن فيه تعظماً وعلواً نهى عنه الرسول وعلي بن الحسين لما رأى فاعل ذلك استدعاه وأخبره بالحديث وصار سبباً لايراد الحديث وقال في آخره ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء لأن الله وكل ملائكه طوافة سيارة تطلب من يصلي عليه وتبلغه بذلك وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقصدون القبر بزيارة خاصة بل أول ما يدخل الرجل المسجد يصلي ركعتين ثم ان كان قدم من سفر بعد تحية المسجد يأتي فيسلم على النبي ثم على أبي بكر ثم عمر ولا يقف ولا يدعو عند قبر النبي ولا قبر صاحبيه كما يفعل الآن كما أنهم لم يقصدوا القبر بزيارة أو تعظيم يجعله كالعيد إما بذبح أو اقامة مهرجانات أو اجتماعات كما يفعل أيضاً عند عيد المولد الذي يقام في هذه الأزمنة والذي عم القرى والأمصار من اقامة الخطب وتقديم الأطعمة وانشاد الأشعار وكان الأجدر بالمسلمين بدل ذلك أن يحسنوا عملهم بمتابعته والعمل بسنته وإحياء ما أحيته واماتة ما أماتته من سائر البدع والخرافات واقامة مجتمعات اسلامية صافية عن كل ما يخالف تعاليم الرسول الأعظم الذي لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر الا حذرها منه صلوات الله وسلامه عليه .

ما يؤخذ من الأحاديث :

١ – النهي عن اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم عيدا أو اقامة الحفلات والمهرجانات أو دعائه والاستغاثة به .

٢ – ان من صلى على النبي ولو كان بعيداً شرقاً أو غرباً تبلغ الرسول هذه الصلاة .

٣ – تحريم اتخاذ القبور مساجد وهجر البيوت عن الصلاة فيها فتكون كالمقبرة وكذا الدفن في البيوت فتهجر عن الصلاة .

أسئلة :

١ – ما هي مناسبة باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد إلى آخره لما قبله وما هو جناب التوحيد وما هي الطرق الموصلة إليه وعرف المصطفى .

٢ – يقول الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ما معنى الكلمات الآتية :حريص عليه ما عنتم وما معنى من أنفسكم واشرح معنى قوله وهو رب العرش العظيم والعرش المجيد ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبين ما فيها من أحكام .

٣ – حديث لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ما معنى لا تجعلوا بيوتكم قبوراً وما هي الفرجة وما هو سبب ايراد حديث علي بن الحسين ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبين ما فيهما من أحكام .

* * *

« م » قوله باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان .

وقوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت وقوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً .

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن أخرجاه ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وأني اعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ورواه البرقاني في صحيحه وزاده وانما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم بزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهي أهمها ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الخامسة : قولهم ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

السادسة : وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام من الناس .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : إن ذلك الشرط إلى يوم قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيهن من الآيات العظيمة منها أخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبره بمعنى ذلك ووقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال واخباره بأنه أعطي الكنزين واخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين وأخباره بأنه منع الثالثة وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع واخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة وأخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الائمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

« ش » هذه الترجمة تبين الرد على من زعم أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب وتأويل الحديث في ذلك بالحديث الآخر لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة

أو كما قال وقوع الأمر كما أخبر أما المناسبة فإن الشيخ لما ذكر تحريم اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ناسب أن يذكر بعدها أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان فاذا اتخذوا القبور مساجد لا سيما قبر النبي فهو وسيلة لاتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله لأن كل ما عبد من دون الله فهو داخل في ذلك .

المفردات :

قوله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً أي جزءاً من علم والكتاب المراد به التوراة ويؤمنون معناه يصدقون بأخبارهم ويعبدونهم ومعنى الجبت هو الشيء الفاشل الذي لا خير فيه فكل شيء لا خير فيه يسمى جبتاً سواء كان حيي بن أخطب أو كعب بن الأشرف أو غيرهما على قول أن الجبت حيي إلى آخره فهو يعم الجميع والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد وقد عرفه ابن القيم بأنه ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع وعدد رؤوسهم بأنهم خمسة وقوله قل يا محمد هل أنبئكم أي أخبركم بشر من ذلك أي أقل حظاً ونصيباً مما ذكرتم أنه ليس هناك أهل دين شر من دينكم مثوبة أي ثواباً وجزاء من لعنة الله وغضب عليه . أي شر الناس من غضب الله عليه ولعنه ومع ذلك جعل منهم قردة وخنازير أي من المغضوب عليهم من اليهود ومن مسخ قردة وخنازير أي هؤلاء شر وأضل سبيلاً من محمد وأصحابه وعبد الطاغوت أي أطاعه واتبع أمره وعبده وهو معطوف على ما قبله فهو من شر الناس وقوله قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً فإن أصحاب الكهف وهم الفتية لما ظفر بهم قومهم جعلوا على باب الكهف مسجداً وهذه الأمة ستتبعها باتخاذ المساجد على القبور .

المعنى الإجمالي :

في الآية الأولى ذكر الله سبحانه وتعالى كعب بن الأشرف وحيي بن الأخطب مقالتهما لما سألهما كفار قريش عن محمد مع علمهما بصدق محمد فزكت قريشا على محمد قالا أنتم أهدى سبيلاً من محمد لأن قريشا قالت نحن ننحر الكوم ونسقي الحجيج ونفعل ونفعل قالا أنتم خير من محمد فذمهم الله شر ذم وسماهم الله طاغوتاً وأنهم يؤمنون بالجبت وكل من تحاكم إلى الطاغوت أو حكم به وعدل عما أنزل الله فإن اعتقد حل ذلك وأنه خير من شريعة الإسلام فهو كفر لا شك فيه وان فعله مع اعتقاد تحريمه فإنه حكم بغير ما أنزل الله وهو حرام كما في قوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون وفي الآية الثانية يخبر سبحانه أنه لا أحد شر ولا أضل ممن لعنه الله وغضب عليه فهو أشر الخليقة وحقيق بذلك وهو بعيد عن الخير بخلاف ما يرى أعداء الاسلام أن المسلمين شر فهذه من الله لهم براءة وتزكية للمسلمين فالمسلمون أهل خير وبركة لاتباعهم لدينه ورسله وجديرون بذلك بخلاف من مسخ قرداً وخنزيراً وعبد الشيطان بطاعته له فهو شر الناس وقد ضل عن سبيل الحق والرشاد إلى سبيل الزيغ والضلال الذي هو سبيل اليهود والنصارى كما أخبر سبحانه أن قبور أصحاب الكهف قد اتخذه أتباعهم مسجداً أقاموه على باب الغار الذي أقاموا فيه المدة الطويلة وأخيراً كان مثواهم وأن هذه الأمة سيكون فيها

من يفعل مثل فعلهم وقد وقع في هذه الأمة ما قد جرى من بناء المساجد على قبور الصالحين وعظموها وعبدوها من دون الله .

ما يؤخذ من الآيات من الأحكام :

١ - تحريم التحاكم إلى غير ما أنزل الله كما فعلت قريش بتحاكمها إلى كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب .

٢ - إن من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت على ما يأتي :

(أ) أنه ينقل من الملة إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه .

(ب) ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه يستحق العقوبة فهذا عاص يسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر .

(ج) وان جهل وحكم فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأ فهو مخطئ له اجر على اجتهاده وخطؤه مغفور إذا كان من أهل الاجتهاد وقال بعضهم ومثل هذا ما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها الذين أشربوا حبها والشغف بها والذب عنها وحكموا بها وإذا اعوها بما ربوامن تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين أعداء الإسلام ومنهم من يصرح ومنهم من يتوارى ويكادون يكونون سواء فإنا لله وإنا اليه راجعون انتهى من شرح الطحاوية وتعليق المحشي عليها .

المفردات :

قوله سنن . السنن بالضم ويجوز الفتح أي طرق وقوله القذة . تجمع على قذذ وهي ريش السهم . حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه أي أن هذه الأمة ستتابع الأمم السالفة قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى أي هم اليهود والنصارى المعنيون قال فمن أي ليس المراد غيرهم أخرجاه أي البخاري ومسلم .

المعنى الإجمالي :

في الحديث المشار اليه أن هذه الأمة ستتبع طريق الأمم السالفة وتماثلها وتساويها في جميع ما عملته وتقلدها حتى لو كانت الأمم السابقة من يفعل الفاحشة بأمه لكان في هذه الأمة من يفعل ذلك لمحاذاتها لها حذو الشيء بالشيء وحذو النعل بالنعل فتشبه النصارى في غلوها وكذا اليهود وقد فعلت ذلك من التعظيم والغلو بل وعبادة القبور واتخاذها مساجد فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ما يدل عليه الحديث :

١ - إن هذه الأمة ستعمل عمل الأمم السالفة في كل شيء .

٢ – وقوع الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فتعاقبت اليهود والنصارى وما ثلثها في الغلو وعبادة الصالحين .

المفردات :

قوله عن ثوبان هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله زوى لي الأرض . زويت الشيء جمعته أي قربها له وجمعها . فرأيت مشارقها ومغاربها أي عند ما جمعها لي رأيت المشارق والمغارب جمع مشرق ومغرب وهي جهات الشروق والغروب . قوله وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وقد وقع الأمر كما أخبر فملكت البلاد شرقاً وغرباً خلاف الجنوب والشمال .

قوله وأعطيت الكنزين : أي كنز كسرى وقيصر الأحمر كنز قيصر لأن الغالب عليهم الذهب والأبيض كنز كيسرى لأن الغالب عليهم الفضة واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة السنة الجدب والقحط بعامة الباء زائدة على اثبات الباء وقد ورد حذفها في بعض الروايات من سوى أنفسهم أي من غيرهم فيستبيح بيضتهم البيضة حوزة كل شيء وساحته حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وقد وقع الأمر كما أخبر من وقوع الفتن بين المسلمين وان ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد القصاء هو الحكم والارادة فإنه لا راد لما قضاه قوله البرقاني إمام حافظ اسمه أحمد بن محمد الخوارزمي الشافعي له مصنفات كثيرة منها المسند ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان قوله الأئمة جمع إمام وهو من يقتدى به والغالب أنه من يقتدى به في الخير والمراد هنا أئمة الضلال المضلين عن الحق من العلماء والسلاطين والعباد والأمراء وغيرهم وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة أي إذا وقعت الفتن فإنها تستمر إلى قيام القيامة وقد وقع الأمر من حين قتل عثمان إلى عصرنا الحاضر والفتن مستمرة .

قوله وحتى يلحق حي من أمتي بالمشركين . الحي واحد أحياء من قبائل العرب والفئام الجماعات وقد وقع ما في الحديث .

قوله وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وقد خرج ذلك العدد كما جاء عن القاضي عياض أنهم أحصوا من لهم أتباع وشوكة فوجد العدد المذكور وقد جاء عددهم في حديث آخر أن الرجال سبعة وعشرون وأربع نسوة قيل ان آخرهم الدجال قوله وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي فالرسول هو الآخر من الأنبياء وأمته آخر الأمم وهم الأولون يوم القيامة قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين قوله لا نبي بعدي فمن أدعى النبوة فهو من جملة الكاذبين الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم ولا تزال طائفة ، الطائفة : الجماعة من الناس من أمتي على الحق منصورة وهم أهل السنة والجماعة الذين اهتدو بهديه واستنوا بسنته من أهل الحديث والفقة فهم قائمون على الحق منصورون إلى يوم القيامة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . خذله أي تركه ولم ينصره وتخلف عن اللحاق به والمخالفة مأخوذة

الخلاف والمخالفة والمتخلف عن النصرة وهم منصورون مؤيدون بتأييد الله لهم حتى يأتي أمر الله وهي الساعة أو مقدماتها أو الريح التي تقبض أرواح المؤمنين وهو الظاهر تبارك أي كمال البركة وعظمتها وسعتها هو سبحانه وتعالى المتبارك وعبده ورسوله المبارك قال تعالى واجعلني مباركاً أين ما كنت فمن يبارك الله فيه وعليه فهو المبارك تعالى أي تقدس وتنزه .

المعنى الإجمالي :

هذا حديث عظيم رواه مسلم فيه أخبار بمغيبات لا يمكن أن يطلع عليها إلا نبي أطلعه الله عليها من علوم الغيب وبما هو واقع من ظهور أمته وملكها من المشرق إلى المغرب ووقوع الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم والاستيلاء على كنز كسرى وقيصر وانفاقهم أموالهم التي من الذهب والفضة في سبيل الله كما وقع الأمر في زمن عمر رضي الله عنه وقد دعا ربه أن لا يهلكها بسنة واحدة من جدب أو قحط وأن لا يسلط عليها عدواً من غيرهم ويستبيح النساء ويسترق الأطفال وقد أجاب الله دعوته ولكن يقع بينهم فتن من القتل وكثرة الهرج فمنذ قتل عثمان والفتن مستمرة إلى عهدنا ولكن تقل مرة وتكثر أخرى وتكثر في جهة وتقل في أخرى فتارة هنا وتارة هناك وتارة تهدأ الأحوال وتارة تكثر الفتن والقتال وسلب الأموال وكما ذكر في الرواية الأخرى من وجود أئمة ضلال ودعاة شقاء من مبتدعة متزندقة ملحدة تغطي الحادها بما تدعو اليه بشعارات مختلفة على حسب الزمان والملابسات فمثل هؤلاء يفسدون الدين والدنيايحلّون بأهوائهم ويحرمون بأهوائهم ليسوا من الدين في شيء همهم المناصب والجاة ولو في سبيل اتلاف الأمة وابادتها ومهما دنسوا من الدين أو أفسدوا من دين الآخرين وعقيدتهم إذا توصلوا إلى أغراضهم وكذا الدنيا فهم أئمة ضلال وأصنام الطغيان وبسبب أمثال هؤلاء يقع السّفك للدماء والقتل الذريع ولا ترفع السيوف حتى تقوم الساعة .

كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن طوائف وجماعات وأحياء بأسرها من هذه الأمة تلحق بالمشركين وكذا بعض القبائل وكما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة الصنم الذي هدم على عهده صلى الله عليه وسلم فلا يخبر عن هذا الغيب إلا نبي أطلعه الله عليه كإخباره بخروج الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة والرسالة مع أن الله ختم الرسالة بمحمد بن عبد الله وقد خرجوا وبلغوا هذا المبلغ من المتنبئين وهم كل من كان له أتباع وشوكة لكن سرعان ما تنكشف أحوالهم بدعواهم الفاجرة الكاذبة كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة بن خويلد وسجاح والمختار بن عبيد وأمثال هؤلاء لكن طليحة تاب وخرج للجهاد في سبيل الله مع البشارة النبوية بعدم انقراض الحق بل تبقى عليه طائفة ظاهرة منصورة مستمرة إلى يوم الدين بإذن الله إلى قيام الساعة لا يضرهم كيد كائد ولا تخذيل مخذل ولا تنقص متنقص إلا أنه لا يلزم أن تكون هذه الطائفة في بلد واحد ولا في حي واحد بل يجوز أن تكون في بلد أو بلدان مجتمعين أو متفرقين وهذه الطائفة هم أتباع الرسول المتمسكين بسنته وشريعته واهتدوا بهديه .

ما يؤخذ من الحديث من أحكام :

١ – الأخبار باتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً خلاف الجنوب والشمال .

٢ – فيه علم من أعلام النبوة حيث أخبر بالشيء قبل أن يقع ووقوعه كما أخبر .

٣ – الإخبار بأن الصحابة سيستولون على كنوز كسرى وقيصر من الذهب والفضة .

٤ – البشارة بأن الله لا يهلك هذه الأمة بشيئين الجدب والقحط .

٥ – بشارته بأن الله لا يسلط على المسلمين أحداً فيهلك حوزة المسلمين .

٦ – إخباره بوقوع في الفتن بينهم وسبي بعضهم بعضاً وقد وقع الأمر كما أخبر من عهد قتل عثمان رضي الله عنه .

٧ – الإخبار بأن جماعات من هذه الأمة ستعبد الأوثان وحتى تلحق بعض قبائل العرب بالمشركين وهو شاهد الحديث للباب .

٨ – الإخبار بخروج الكذابين يدعون النبوة وأن عددهم ثلاثون .

٩ – ان الله ختم الأنبياء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده فمن أدعى النبوة فهو كاذب .

١٠ – البشارة بوجود طائفة قائمة على الحق إلى يوم القيامة وهم أهل السنة والجماعة .

١١ – ان هذه الطائفة لا تزال موجودة حتى تقوم الساعة أو تأتي مقدماتها .

أسئلة :

١ – اذكر مناسبة باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان لما قبله – اشرح الآيات الآتية : ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً الآية . ماذا تفيده الهمزة . ما هو النصيب وما هو الكتاب المذكور في الآية . وعرف الجبت ومن هم الذين كفروا . ومن القائل ذلك . ومن المقول فيه .

٢ – هل أنبئكم بِشَرٍّ من ذلكم الآية . ما معنى مثوبة . من هم الذين جعل منهم القردة والخنازير . ما المراد بقوله – قال الذين غلبوا على أمرهم . ثم اشرح الآيات المتقدمة شرحاً مجملاً وما تدل عليه من أحكام .

٣ – حديث أبي سعيد بين المفردات فيه . السنن . من هم الذين من قبلنا . ما هي القذة . ما الذي يفيد قوله حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه مع شرح الحديث شرحاً مجملاً وبيان أحكامه .

٤ – حديث ثوبان . بين معنى زوى لي الأرض لغة ومعنى . ولماذا خص المشارق والمغارب دون غيرها ؟ وهل ملكت الأمة ما أخبر به الرسول ؟ وما المراد بالكنزين الأحمر والأبيض وبين معنى قوله بسنة

بعامة ومن المراد بسوى أنفسهم ؟ . وما هي البيضة ؟ وهل وقع اهلاك بعضهم بعضاً واذكر معنى قضاء الله ثم ترجم للبرقاني ترجمة مختصرة وعرف الأئمة وما المراد بهم في الحديث الأئمة المضلين ؟ متى وقع السيف في هذه الأمة وما هو الحي والفئام وماذا يستدل بقوله : حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، هل خرج الكذابون ؟ أذكر بعضهم . وما هو الدليل على أن النبي خاتم النبيين ؟ وما هي الطائفة التي على الحق منصورة ؟ هل يلزم اجتماع هذه الفئة أو كونها في جهة واحدة أو معينة ؟ وما المراد بأمر الله واشرح معنى قوله تبارك وتعالى ثم اشرح الحديثين شرحاً موجزاً على ما مر بك وبين الأحكام فيهما .

* * *

م قوله : باب ما جاء في السحر

وقوله : «يؤمنون بالجبت والطاغوت» . قال عمر : «الجبت . السحر . والطاغوت : الشيطان» وقال جابر الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وعن جندب مرفوعاً حد الساحر ضربه بالسيف رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبده قال كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت وكذا صح عن جندب قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الانس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة : أن الساحر يكفر .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده .

« **ش** » **المناسبة** : ادخال باب السحر في التوحيد لأنه لما كان غالباً الساحر يستعمل أموراً شركية

ولا يتأتى الا بالأرواح الشيطانية والاستخدام لها وتقريب ما تحبه والساحر غالباً يستعمل الأمور الشركية وحكمه عند العلماء أنا كافر فلما كان السحر من الكفر والشرك ناسب أن يذكره المصنف في هذا الكتاب لأنه ينافي التوحيد .

تعريف السحر : هو ما لطف وخفي سببه ولذا سمي السحر لوقوعه آخر الليل خفياً فلذا كان السحر من هذا القبيل وحكم تعلمه وتعليمه وتعاطيه أنه يكفر على التفصيل الآتي :

المفردات :

يؤمنون بالجبت . يطلق الجبت ويراد به معان ويراد به هنا السحر كما في تعريف عمر وكما يطلق أيضاً على الشيطان . قولهم خلاف أي من حظ ونصيب .

المعنى الإجمالي للآيات والآثار :

ذكر الله سبحانه أن استبدال ما تلقيه الشياطين على أوليائها من السحرة وغيرهم على كتاب الله أنه ليس له حظ ولا نصيب من الخير يوم القيامة لأنه استبدال عن وحي الرحمن إلى وحي الشيطان واستبدال تحكيم الكتاب والسنة بتحكيم أعمال الكهنة والسحرة وكان هو حظهم ونصيبهم في الدنيا والآخرة كما آمنوا بالسحرة وأعمالهم وصدقوهم بما قالوا مع أن هذا كفر بالقرآن وايمان بالطاغوت والله يقول فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وهؤلاء عكسوا وكفروا بالله وآمنوا بالجبت والطاغوت كان هو حظهم ونصيبهم ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون .

ما يؤخذ من الآيتين :

١ – من استبدال أقوال الرسول وما جاء به في أعمال السحرة فهو حظه ونصيبه من العلم والدين .

٢ – ان الجبت هو السحر والطاغوت هو الشيطان ويدخل في ذلك الكهان من أولياء الشيطان وغيرهم .

٣ – ان السحر لا خير فيه وأنه من أعمال الشياطين .

المفردات :

قوله اجتنبوا هو طلب البعد عنها وهو أبلغ من اتركوا أو لا تفعلوا . وله السبع الموبقات حصرت بالسبع هنا قيل لمناسبة المقام فإنه يقتضي ايراد هذه السبع . أو لغلظهن فخصص بذلك الموبقات المهلكات – قوله الشرك بالله تقدم تعريفه في أول الكتاب وأما الثانية السحر . وهو الشاهد . فإنه من أكبر الكبائر وهو محرم تعلمه وتعليمه إجماعاً بين العلماء . والثالثة : قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

فمن قتل معصوماً فإنه ارتكب كبيرة عليه وعيدشديد ،مع الخلاف هل تقبل له توبة أم لا والصحيح قبولها والرابعة : أكل الربا والمراد به تعاطي الربا والمعاملة به وعبر بالأكل لأنه أغلب أحواله والا فيحرم سائر تعاطي الربا . والخامسة : أكل مال اليتيم وهو من لا والد له فيتصرف الولي بماله لمصلحته الخاصة دون مصلحة اليتيم فنهى عن ذلك وعبر بالأكل كالربا .السادسة : التولي يوم الزحف والمراد به عند ملاقاة الكفار فينهزم فهذه كبيرة لا يجوز له التولي يوم الزحف إلا أن أراد الكر أو التحيز إلى فئة وإلا فهي كبيرة ،عليه غضب من الله . والسابعة : قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقذفها بالزنا المحصنة لنفسها بالكسر وبالفتح المحصن لها غيرها والمراد حفظ فرجها عن الزنا – قوله الغافلات عما قذفن به المؤمنات جمع مؤمنة وهي المصدقة بأمر الله وأمر رسوله العاملات به الناطقات بذلك .

المعنى الإجمالي للحديث :

امر الرسول عليه الصلاة والسلام بالابتعاد عن هذه السبع المهلكات الموبقات لمن وقع فيهن لأنهن من أكبر الكبائر فمن أشرك بالله حبط عمله وخسر دنياه وآخرته ومن سحر فقد باع دينه بدنياه لأنه لا يسحر إلا بعد أن يخرج منه الايمان فيكفر بمجرد ذلك على القول في مذهب أحمد ومن قتل نفساً معصومة وهو المسلم الذي لا يستحق القتل لا حداً ولا قوداً فإن من قتله عليه هذا الوعيد الشديد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه . وابن عباس يغلظ في ذلك فلا يرى أن له توبة والصحيح أن له توبة عند جماهير أهل العلم وقد رجع ابن عباس فيما يقال عن تكفير للقاتل ومن الموبقات أيضاً تناول الربا وتعاطيه بيعاً وشراء وأكلاً ومساعدة في كتابة أو شهادة أو غير ذلك من سائر التصرفات والأعمال فقد ارتكب اثماً عظيماً وحوباً كبيراً .

يقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله . فلا أعظم حرباً ممن حارب الله ورسوله فقد خاب وخسر وغلب فأكل مال اليتيم والتصرف فيه بغير مصالح اليتيم من الكبائر .

قال تعالى أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماإنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً . ومن الكبائر إذا لقيت عدوك من المشركين بعد التحام القتال ثم وليت هارباً غير كار ولا متحيز إلى فئة أخرى من المسلمين لتكون لهم ردءاً أو يكون لك قوة فتبوء بغضب من الله عليك كما قال تعالى يا أيها الذين امنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . ومن الكبائر أيضاً قذف المحصنات المؤمنات الغافلات بزنا وهي بريئة منه فإن عليه لعنة الله وغضبه وارتكب هذا الذنب الشنيع الذي عده الرسول صلى الله عليه وسلم موبقاً .

ما يفيده الحديث :

١ - الأمر بالابتعاد عن هذه الكبائر السبع وانهن يوبقن العمل أي يحبطنه .

٢ - الشرك بالله هو أكبرها .

٣ - السحر تعلماً وتعليماً واعتقاداً والتفصيل كالآتي :

(أ) أحمد في المقدم من المذهب ومالك وأبو حنيفة يرون أن الساحر يكفر بمجرد تعلم السحر وتعليمه . ونقل في المغني لابن قدامة إلى أنه ان كان بأدوية وما شابهها لا تقتل أنه لا يكفر بذلك وأما الشافعي رحمه الله فإنه يقول لا بد من طلب وصف السحر فإن كان من جنس سحر أهل بابل وما يكفر بتعلمه كفر والا فلا .

(ب) ولا خلاف في تحريم تعلمه وتعليمه .

(ج) وهل تقبل توبته ذهب أحمد والشافعي إلى أنها تقبل توبته قالوا ان الكافر تقبل توبته والسحر ليس أعظم من الكفر فعلى هذا تقبل وهو الذي يظهر وقال مالك رواية عن أحمد أنها لا تقبل توبته قالوا لأن السحر باق في قلبه لا يزول .

حديث جندب : المفردات : حد الساحر . الحد الحاجز بين شيئين وهو تأديب المذنب بما يمنعه وغيره عن الذنب . قوله ضربة بالسيف . أي أنه يقتل بالسيف ضربة بالتنوين وبالهاء والتخفيف .

المعنى الإجمالي للآثار :

في الأحاديث دلالة على أن السحر مرض فساد مؤذ ينبغي أن يؤخذ من يتعاطاه بالتعليم أو التعلم أو العمل والسحر يؤخذ بالشدة والقوة ولو بإزهاق نفسه حفاظاً على اصلاح المجتمع لأن افساد الساحر عاماً للرجل والمرأة والولد والبنت بل الأسر كلها والمجتمعات التي يعيش فيها إذا فشا فيها السحر يفسدها ويفسد بعضهم على بعض ويفرق بينهم ويورث العداوة والبغضاء والقطيعة وربما قتل بسحره وربما أمرض وربما أذهب عقله . لذا أوجبت الشريعة تغليظ العقوبة ليردعه وأمثاله ومعلوم أن القتل من أعظم الذنوب لكنه هنا ليكون أعظم زجراً وأقرب إلى التقليل من شيوع السحر والسحرة والقضاء عليهم وورد القتل عن الصحابة ولم ينكر عليهم كما قاله أحمد بن حنبل عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

ما تفيده الأحاديث :

١ - أن الساحر يقتل بالسيف حداً مع الخلاف المتقدم في ذلك والتفصيل في هذا الباب .

٢ - ثبوت ذلك عن كبار الصحابة كعمر وابنته حفصة وجندب .

٣ - استدلال أحمد على قتله لثبوته عن ثلاثة من الصحابة قتل الساحر .

أسئلة :

١ – ما مناسبة باب السحر لما قبله ولكتاب التوحيد ثم اذكر تعريف السحر واشرح المفردات التالية : يؤمنون بالجبت والطاغوت . قوله من خلاق . ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً مع بيان أحكامها .

٢ – حديث ابي هريرة بين مفرداته : اجتنبوا معنى السبع الموبقات ما هو أكبر الكبائر وما هو الشاهد من الحديث للباب وما هي النفس المحرم قتلها ولماذا خص الأكل للربا دون غيره وكذا مال اليتيم وما المراد بالتولي يوم الزحف وعرف المحصنة وبأي شيء يكون القذف ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام مع ذكر خلاف العلماء .

٣ – حديث جندب عرف الحد لغة وحد الساحر أيضاً ثم اشرح الحديث حديث جندب وحديث بجالة وحديث حفصة شرحاً مجملاً وبين الأحكام التي تؤخذ منها .

* * *

«م» باب بيان شيء من أنواع السحر :

قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ابن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض والجبت قال الحسن رنة الشيطان أسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حيان في صحيحه المسند منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس شعلة شعبه من النجوم فقد اقتبس شعبه من السحر زاد ما زاد رواه أبو داود واسناده صحيح وللنسائي من حديث أبي هريرة من عقد عقدة ثم نفث فيها سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال ألا هل أنبئكم ما العضة هي النميمة القالة بين الناس رواه مسلم ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان لسحرا .

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النميمة من ذلك.

السادسة : ان من ذلك بعض الفصاحة.

«**ش**» **المناسبة** : لما ذكر السحر وأحكامه وتحريمه والتغليظ في ذلك ناسب أن يعقب ذلك بذكر شيء من أنواعه التي تدخل في مسمى السحر الذي هو طرف من الشرك الأنواع ا أنواعه أي ما يدخل تحت اسم السحر وان لم يكن بأدوية أو عقد ومنها أدخل ضرب الحصا وزجر الطير والضرب بالودع والخط وما شاكل ذلك فكل هذا داخل في مسمى السحر قوله قال أحمد حدثنا إلى آخره.

المفردات :

قوله العيافة زجر الطير وذلك بالتشاؤم بأصواتها أو ممرها أو التفاؤل بذلك. قوله والطرق. الخط يخط بالأرض، وهي الطريقة المستطيلة في الشيء أو الطريق الخفيف في السهل والمراد به تخطيط السحرة والمشعوذين ويدخل فيه ضرب الحصى. والجبت تقدم بيانه ويدخل فيه مسمى السحر. قوله رنة الشيطان، الرنين التصويت وقد ورد أن الشيطان رن أربع رنات رن حين لعن ورن حين أهبط ورن حين ولد الرسول ورن حين أنزلت عليه سورة الفاتحة. قوله من الجبت. أي الجميع داخل في مسمى الجبت. قوله ولأبي داود إلى آخره. أي نحو ما تقدم من تفسير الأشياء المذكورة.

المعنى الإجمالي.

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زجر الطير والتشاؤم أو التفاؤل بها أو بغيرها مما تعتقده العرب في جاهليتها أن لهذه الطيور أثراً في سفر الشخص أو زواجه أو شقائه أو سعادته أو مرضه أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا داخل في السحر مع أنه خرافات شيطانية لصد الناس عن توحيد الناس وتجريده عن شوائب الشرك فعملوا لتدنيسه بهذه الأشياء من الخطوط في الأرض مما يستدلون به على الأشياء الغائبة عنهم وكذا أصوات الشياطين وإجلابه على الناس كل هذا داخل في السحر المحرم فعله وتعليمه واعتقاده لأنه مناف للتوحيد أصلاً أو كمالاً على حسب جرم المرتكب فإن اعتقد أنها تؤثر أو تنفع أو تضر من دون الله فهذا شرك أكبر وان اعتقد أن المؤثر هو الله ولكن وقع في قلبه شيء منه فهذا مناف لكمال التوحيد الواجب في الاعتقاد في هذه الأمور وطرد ذلك واعتمد على ربه فلا يضره لا

ما يستفاد مما تقدم :

١ – تحريم استعمال العيافة والطرق والطيرة المتقدم معرفتها.

٢ – ان هذه الأشياء داخلة في السحر.

٣ - أن الشيطان لما لعن وأبلس وأهبط وبعث رسول الله وأنزلت سورة الفاتحة سمع له رنين وعويل في كل واحدة.

قوله من اقتبس شعبة من النجوم إلى آخره.

المفردات:

من اقتبس: قبس العلم إذا تعلمه وأقبسته إذا علمته والشعبة الطائفة والجزء من الشيء فقد اقتبس تعلم شعبة من السحر أي تعلم جزءاً من السحر. قوله زاد ما زاد أي كلما زاد في التعلم زاد في الإثم. قوله: من عقد عقدة أي عقد السواحر لقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد. والنفث هي القراءة مع الريق والنفخ - قوله فقد سحر، أي أن هذه من أعمال أهل السحر ومن سحر فقد أشرك أي أن أعمال الساحر من الشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه، أي من تعلق قلبه بالله كفاه الله ومن تعلق على غيره وكّله الله إليه.

المعنى الإجمالي:

أخبر عليه الصلاة والسلام أن تعلم النجوم وهو علم التأثير لا علم التسيير كما سيأتي تفسيره. أن هذه الأشياء علم النجوم من السحر وهو حرام تعلمه وتعليمه كقولهم إذا طلع نجم كذا، ولد مولود أو مات شخص أو ولد عظيم أو زال ملك وما شاكل ذلك من الإخبار بالمغيبات كنزول المطر أو كون السنة خصباً أو جدباً أو يكون قحط في المكان الفلاني أو رخاء أو غير ذلك مما هو من علم الغيب الذي لا يقدر عليه إلا الله وهو نوع سحر وأنه كلما زاد في تعلم النجوم والاعتقاد فيها زاد في الاثم كما أخبر عليه الصلاة والسلام. أن عقد العقد في الخيوط والنفث فيها أنه نوع سحر وقد أمر الله نبيه أن يستعيذ من ذلك وهذا العمل يدخل صاحبه في الشرك كذلك من تعلق قلبه بالسحر والعقد والنفث وكّله الله إلى ذلك وبرئ الله منه ورسوله ومن اعتمد على ربه وتوكا عليه حفظه ووقاه من شر الأشرار بقدرته ومشيئته.

ما يفيده الحديثان:

١ - أن علم النجوم والاعتقاد فيها التأثير في الأشياء أنه محرم ونوع من أنواع السحر.

٢ - أنه كلما زاد في تعلم ذلك وتوسع في علم النجوم والاعتقاد فيه أنه يزداد اثماً وعذاباً.

٣ - أن العقد التي يستعملها السحرة أنها من هذا النوع المحرم الممنوع وأنها نوع شرك.

٤ - أن تعلق القلب على الله عبادة مع كفايته لمن توكل عليه وتعلقه على غيره شرك يكله الله عليه

قوله: ألا هل أنبئكم ما العضه إلى آخره..

المفردات:

العضه: عضه الرجل جمع عضهة أي كذب وسحر ونم قال في القاموس عضا عضاه يعضوه:

ساءه أو اغتاله فسقاه سما وصرفه عن الخير واغتابه أو تناوله بلسانه هي النميمة النم والنميمة التوريش والاغراء ورفع الحديث على جهة الاشاعة والافساد ورجل نم ونمام ينقل الحديث.

قوله القالة بين الناس. قال في فتح المجيد أي كثرة القول وإيقاع الخصوم بين الناس. قوله البيان. هو البلاغة في الشيء والفصاحة فيه وإظهاره ويأتي للمدح ويأتي للذم.

المعنى الإجمالي:

الحديث الأول فيه ذم للنمام الساعي بين الناس بالافساد وإيقاع المشاجرة والنزاع وربما تقاطع ذوي الرحم بسببه وربما وقع قتال وسفك دماء لأن النمام يزيد في الكلام ويموه على السامع وكثيراً ما تقع النميمة من الكذاب فلذا قال الرسول يفسد النمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة وقد قال بعض العلماء ومن السحر السعي بين الناس بالنميمة ووجه المناسبة أن الساحر يفسد بأدويته ويفرق بين الأحبة والنمام يفسد بلسانهويفرق ،الغرض الذي وصلا إليه واحد وهو الافساد والتفرقة وإيقاع العداوة والبغضاء فلذا صارت النميمة من السحر أما أن النمام يقتل أو يكفر فلا فهنا يظهر الفرق بين الساحر والنمام.

وفي الحديث الثاني أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن من البيان لسحراً والبيان تارة يكون مذموماً وهو إذا كان فيه نصر للباطل وادحاض للحق فهو مذموم لأنه تمويه وتزويق للباطل وطليه على السامع حتى يخرج في صورة الحق ويقبله ضعاف العقول والسذج فيعمل فيهم عمل السحر فكان محرماً مذموماً وكان نوعاً من السحر، وأما المحمود فهو الذي في نصر الحق وإظهاره وتبيينه للناس كالخطب التي في نصر الحق والرسائل والشعر المحمود كما جرى في عهد الرسول ومن بعده وقد تكلم رجل في مسألة بين يدي عمر بن عبد العزيز فأحسن قال والله ان هذا هو السحر الحلال أو كما قال وقد ذم العلماء الذي يطلب غريب اللغة وشواذ الكلم ويسهب في ذلك لأن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها بل ينبغي أن يكون الكلام سهلاً مفهوماً فهذا هو المحمود كما هو معروف من السهل الممتنع الذي إذا سمعه الجاهل يظن أنه يحسن مثله. والله أعلم.

ما يفيد الحديثان:

١ – ذم النميمة والغيبة والفرق بينهما أن النميمة هي نقل الحديث والغيبة هي ذكر الرجل بما ليس فيه. أما تقسيم البيان إلى ممدوح ومذموم:

(أ) الممدوح ما كان في بيان الحق ونصره وإظهاره لتقبله النفوس وإزالة اللبس عنه حتى يتبين لعامة الناس.

(ب) المذموم ما كان في بيان الباطل واظهاره على الحق وإيراده في صورة الحق بالتلبيس والتمويه على السذج والجهال ليقبلوه.

٢ – يجب على الانسان أن لا يغتر بكل ما سمع حتى ينقحه ويعرف مصدره لئلا يكون هذا الكلام من المذموم.

سئلة :

١ – ما معنى اقتبس شعبة من النجوم صرف ذلك لغة ولماذا كان التنجيم من السحر مع بيان معنى قوله زاد ما زاد وما معنى من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر وبين معنى من تعلق شيئاً وكل إليه مع شرح ما تقدم شرحاً مجملاً.

٢ – ما هو العضه وما هو البيان مفصلاً وفرق بين الغيبة والنميمة ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبين ما يدلان عليه من أحكام.

* * *

«م» قوله باب ما جاء في الكهان ونحوهم :

روي مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي قال من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود . وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن أبي هريرة من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم – ولأبي يعلي بسند جيد عن أبي مسعود مثله موقوفاً.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه البزار بإسناد جيه ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله ومن أتى إلى آخره. قال البغوي العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق . وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم – ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية : التصريح بأنه كفر.

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .
الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعرّاف .

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر الشيخ السحر وأنواعه ناسب أن يذكر بعده ما هو داخل فيه وضرب منه لأن الساحر قد يكون كاهناً أو يأخذ عن الكاهن – جمعه كهنة وكهان والكاهن اسم فاعل والكاهن عند لنصارى واليهود وعبدة الأوثان الذي يقدم الذبائح والقرابين وربما كان مأخوذاً في الأصل من معنى لقضاء بالغيب كما كانت تفعله الجاهلية والكاهن وهو الذي يخبر عن الكرائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة الغيب ويخبر بالأموال الغائبة وقد يأخذ عن مسترق السمع من الشياطين وهذا الأخير هو تعريف الكاهن .

قوله روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود . وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

المفردات :

العرّاف : فعّال للمبالغة قيل هو الذي يخبر عن الماضي والمستقبل وقال بعضهم العرّاف دون الكاهن وسيأتي في كلام الشيخ تعريفه أيضاً والكاهن تقدم تعريفه . قوله عن من أتى عرّافاً إلى آخره ، لم يذكر راوي الحديث وقد بيض له المصنف وهو مروي عن أبي هريرة كما رواه أحمد والبيهقي .

المعنى الإجمالي :

أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن من أتى كاهناً أو عرّافاً وصدقه وفي بعض الألفاظ فسأله بدون ذكر التصديق أن صلاته لا تقبل أربعين يوماً دل على جرمه وذنبه وأنه مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب وموبقة لمرتكبها لأنه من باب تصديق بالسحر مع العلم أنه لا يؤمر بإعادة الصلاة في هذه المدة لكن ليس له ثواب فيها كما أن من مات كاهناً فقد كفر بالكتاب والسنة لأنهما هما اللذان أنزلا على محمد وهذا تحذير من ارتكاب مثل هذا العمل لأنه يحبط الصلاة وثوابها مع الكفر بالكتاب والسنة ولكنه كفر دون كفر فعلى هذا لا يخرج من ملة الإسلام بل مرتكب لكبيرة قد تؤول بصاحبها من الخروج عن الإسلام فيما إذا أصر وتمادى واعتقد فيها وأهلها علم الغيب أو الاطلاع على شيء منه والله أعلم .

ما تفيده الأحاديث :

١ – عظم ذنب الكاهن والعراف والمنجم ومن في معناهم .

٢ – أن من أتى واحداً من هؤلاء وسأله لم تقبل صلاته أربعين يوماً .

٣ – أن سؤال الكاهن والعرّاف مع التصديق كفر بالكتاب والسنة وفي بعض الألفاظ مجرد السؤال .

٤ – أنه لا يؤمر بإعادة الصلاة لهذه الأيام .

٥ – أن صلاته لا ثواب لها .

المفردات :

قوله ليس منا أي ليس من هدي الرسول ولا سنته وهو وعيد شديد على مرتكب ذلك قوله من تطير أو تطير له فعل الطيرة بنفسه أو طلب من يفعل ذلك . قوله أو تكهن أو تكهن له أي تكهن بنفسه أو طلب من يتكهن له بذلك وكذا معنى قوله من سحر أو سحر له ويقول الشارح فيما تقدم وصدقه وتابعه على ذلك .

المعنى الإجمالي للأحاديث :

حذر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الأحاديث وبالغ في ذلك أن من طلب من يسحر له أو سحر بنفسه أو طلب من الكهان شيئاً من أنواع الكهانة فكل من عمل ذلك العمل فهو مخالف لهدي الرسول وطريقته بل خالف أمره وارتكب نهيه وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بالكفر بالكتاب والسنة ولا شك أنه أقل ما يقال فيه أنه كفر دون كفر أي لا يخرج من الملة وتقدم أن الشرك الأصغر أكبر من الكبيرة وقد تلقى علماء السنة هذه الأحاديث بالقبول وشرحوا معانيها وفرقوا بين أنواعها من الأشياء كما نقل عن أحمد رحمه الله أن العرّافة طرف من السحر والساحر أخبث وشيخ الإسلام أدخل في تعريفه العرّاف أن الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم داخل في اسم العرّاف والذي يظهر أن الكاهن أخبث الأصناف لتلقيه عن الشياطين مباشرة واستخدامهم له والعكس والله الموفق .

ما تفيده الآثار :

١ – أن الرسول بريء ممن يتعاطى السحر بنفسه أو يطلب من يعمل له ذلك وكذا الكهانة والطيرة

٢ – تصديق العرّاف مع سؤاله كفر بالكتاب والسنة .

٣ – دخول الكهانة والتنجيم والضرب بالحصى والرمل باسم العرافة .

٤ – ان العرافة طرف من السحر والجميع خبيث من أعمال الشيطان .

٥ – اختلاف العلماء في كفر من أتى الكاهن أو العراف مع التصديق هل هو كفر مخرج من الملة أو كفر دون الكفر.

(أ) يرى الامام أحمد التوقف وأنه لا يقال يخرج من الملة ولا لا يخرج من الملة.

(ب) يرى بعض العلماء التفصيل وهو من تلقى هذه الأمور وتعاطاها وتابع عليها وصدق فهو كافر كالساحر والكاهن لادعائهم علم الغيب وتصديقه بذلك.

(ج) مجرد التعاطي أو السؤال مع عدم التصديق يكون من باب كفر دون كفر والله أعلم. قوله في حديث ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد هو ما يسمى علم الحرف وذلك بأن يركب حروف أبي جاد على النجوم ثم يستدل بها على الحوادث هذا هو المقصود من هذا العلم وهي المعروفة بحروف التهجي أبجد هوز إلى آخره لأن كل حرف يأخذ رقماً قوله وينظرون في النجوم هو علم التأثير يعني تركيب هذه الحروف مع النجوم واعتقاد أن لها أثراً في الحوادث فهذا هو المحرم. قوله ما أرى أي ما أظن بضم الهمزة وفتحها من خلاق، من نصيب وحظ.

المعنى الإجمالي للأثر:

هذا الأثر عن ابن عباس ذكره الشيخ رحمه الله هنا إلحاقاً لهذا النوع بهذا الباب وأن هذا العلم علم حروف أبجد هوز إذا ركبها على النجوم ثم استدل بتلك على الحوادث أنه محرم وأنه نوع من السحر لاحق فيه وأنه قد فقد حظه ونصيبه في الآخرة بسبب اعتقاده أن من النجوم مع تلك الحروف أثراً في الحوادث الغيبية التي استأثر الله بعلمها ونسب الحوادث الحاضرة والغائبة إلى النجوم ولا شك في كفر من اعتقد هذا الاعتقاد وهو من علم الغيب ثم قال ابن عباس ليس له عند الله من خلاق فهو فاقد الخير والحظ لادعائه أشياء قد استأثر الله بها من نزول الأمطار وهبوب الرياح وموت وحياة.

ما يفيده الأثر:

١ – تحريم تعلم حروف أبجد للاستدلال بها على الحوادث والنوازل مع تركيبها مع النجوم.

٢ – تعلم حروف أبجد إلى آخره للتهجي لا بأس به.

٣ – تحريم تعلم النجوم وتركيب الحروف عليها مع ادعاء شيء من علم الغيب.

٤ – أن من فعل هذا الفعل ليس له حظ ولا نصيب في الآخرة.

٥ – كفر من ادعى بها شيئاً من علم الغيب وتقدم.

أسئلة:

١ – ما هي العضه والنميمة وبين البيان في قوله ان من البيان لسحرا محموده ومذمومه ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبين ما يستفاد منهما من أحكام.

٢ - عرف الكهان والعرّاف وما هو الذي أنزل على محمد وهل الكفر المراد به المخرج من الملة أم ، التفصيل في ذلك وأشرح الحديث شرحاً مجملاً مع بيان أحكامه.

٣ - اشرح حديث ليس منا من تكهن أو تكهن له مفرداته ومجملاً وبيان أحكامه على ما مر بك.

٤ - ما المراد بقوله أبا جاد اشرح الحديث المروي عن ابن عباس مفرداته ومجملاً مفصلاً القول في ذلك مع بيان أحكامه.

* * *

«م» **قوله باب ما جاء في النشرة:**

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان رواه أحمد بسند جيد وأبو داود وقال سأل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو من ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الاصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه، انتهى.

وروي عن الحسن أنه قال لا يحل السحر إلا ساحر قال ابن القيم النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن ويتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز فيه مسائل: الأولى النهي عن النشرة، الثانية الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

« ش » **المناسبة**: لما ذكر الشيخ رحمه الله السحر وأنواعه وما يدخل فيه من المحرمات ناسب أن يعقب ذلك بما يفعل بالمسحور من الأدوية والرقاء وما يجوز وما لا يجوز في حل السحر عن المسحور في الباب هنا.

تعريف النشرة: نشرت عن العليل نشراً ونشّرت عنه تنشيراً إذا رقيته بالنشرة كأنك تفرق عنه العلة وكذا نشرت عن المريض والمجنون عوده بالنشرة وكذلك إذا كتب له النشرة وعرفت النشرة بأنها حل السحر عن المسحور فهذا تعريف النشرة لغة واصطلاحاً.

المفردات:

قوله سئل عن النشرة أي المعهودة. في الجاهلية قوله طب، أي سحر. قوله يؤخذ عن امرأته، عن الوصول إليها.

المعنى الإجمالي :

في الأحاديث والآثار الواردة في الباب أن النشرة من عمل الشيطان ومن تزيينه ولأن الناشر والمنتشر يتقربان إلى الشيطان بما يحب ويبطل عمله الأول عن المسحور فهذا عمل سحر محرم لأنه تقرب إلى الشيطان بما يحب وابن مسعود رضي الله عنه يكره هذا العمل وغيره من سائر الأدوية استدلالاً بقول الرسول المشار إليه وهو ما ذهب إليه الحسن لأنه لا يحل السحر إلا ساحر فهو محرم عندهما ولا يجوز عمل شيء من ذلك مطلقاً أما ابن المسيب رحمه الله فإنه يرى الجواز في إصلاح المريض ومعالجته بالرقي والأدوية والدخنة المباحات ويمنع مما سوى ذلك من الأشياء المحرمة وقد أحسن ابن القيم وفصل القول في ذلك فإنه ان كان بسحر مثله فهو محرم وعليه حمل قول ابن مسعود والحسن وأما بالأدوية والدخنة والدعوات والرقية المباحة فهذا مباح وعليه حمل قول ابن المسيب وما أحسن ما قال رحمه الله.

ما يستفاد من الباب :

١ – معرفة النشرة وأنها حل السحر عن المسحور.

٢ – انقسام النشرة إلى قسمين ممنوع ومباح :

(أ) الممنوع : ما يحل بأنواع السحر والطلسمات فهو محرم.

(ب) المباح ما كان بالأدوية والدعوات والرقي المعروفة من الكتاب والسنة فهذا مباح.

أسئلة :

١ – ذكر الشيخ النشرة هنا وما مناسبتها عرف النشرة ومعنى نشر وطب ثم أشرح ما تقدم في الباب شرحاً مجملاً مع بيان أحكامه ثم قسم النشرة واذكر الجائز والممنوع.

* * *

« م » **قوله باب ما جاء في التطير وقول الله تعالى ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقوله قالوا طائركم معكم ، الآية.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أخرجاه زاد مسلم ولا نوء ولا غول ولهما عن أنس قال : قال رسول الله لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الطيبة ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل ولا تردوا مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي الحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك . وعن

ابن مسعود مرفوعاً الطِيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمر من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا فما كفارة ذلك قال أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك. وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله ألا انما طائرهم عند الله مع قوله طائركم معكم.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

« ش » المناسبة: لما ذكر السحر وأنواعه وما يدخل فيه ناسب أن يذكر بعده الطيرة التي هي شبيهة به لأن الأول يمنعه أو يرده قول الكاهن أو فعل الساحر أو غيرها وهذا يرده التشاؤم بالطيور بأصواتها أو ممرها أو الظباء أو غير ذلك فناسب أن يذكره بعده.

تعريف الطيرة: لغة والطيرة ما يتشاؤم به من الفأل الرديء وتطير به ومنه وهو اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال تخير ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة غيرهما وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطيور والظباء وغيرها وقد سئل رؤبة بن العجاج عنها فقيل ما السانح فقال ما ولاك ميامنه فقيل ما البارح فقال ما ولاك مياسره وما أتى من أمامك فهو الناطح والنطيح والذي من خلفك فهو القاعد والقعيد.

المفردات:

قوله طائرهم ما قضي وقدر عليهم وهو ما يتشاءمون به من موسى وقومه ولكن أكثرهم لا يعلمون.

أي ضلالاً وجهالاً لا يدرون ولا يفهمون. طائركم أي حظكم فما أصابكم من شر بسبب مخالفتكم لرسل الله. أئن ذكرتم أي من أجل أنا ذكرناكم ورددتم علينا ذلك بل أنتم قوم مسرفون. أي عادون عن الحق إلى الضلال.

المعنى الإجمالي للآية:

ذكر الله عز وجل أن قوم فرعون كانوا يتشاءمون بموسى ومن معه من بني إسرائيل ويتطيرون بهم فأخبر تباركَ تعالى أن ما أصابهم هو بسبب ذنوبهم وهو مقدر من عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق ولا يعرفون الباطل الذي هم مرتكبوه فأصابهم ما أصابهم على ذنوبهم وإجرامهم كما أخبر سبحانه أن بعضاً من أمم الأنبياء كانوا يتشاءمون بأنبيائهم وصالحيهم فأعلمهم أن ما أصابهم بسبب ردهم الحق وعدم تذكرهم لنعم الله وآلائه وقبول ما جاءت به أنبياؤه وإسرافهم في ذلك فطائرهم ملازم لهم وفي أعناقهم ما داموا على ذلك مصرين.

ما يؤخذ من الآيتين:

١ – أن الجاحدين لآيات الله المكذبين لرسله يتشاءمون من أهل طاعة الله.

٢ – اخباره بأن هؤلاء مشؤومون بأنفسهم بجهلهم وعنادهم وتكذيبهم.

٣ – أن كثيراً من المسرفين يردون الحق على من قال ويرمونه بما هو من خصائصهم وهو في أعناقهم لازم لهم وهو موجود في كل زمان ومكان.

وقوله عن أبي هريرة الحديث.

المفردات:

قوله لا عدوى. معناها لغة أعداه اعداءاً إذا أكسبه من خلقه أو علة به أو جرب ان أكسبه مثلما به. قوله الهامة، هي البومة وهي من طيور الليل يتشاءمون بها، ولا صفر، هي حية تكون في بطن البعير أعدى عند العرب من الجرب وقيل شهر صفر ولا نوء هو واحد الأنواء، ولا غول، الغول بالضم واحد الغيلان جنس من الجن يتراءى بأشكال وصور مختلفة. قوله الفأل الفأل يستعمل فيما يسر غالباً وهو ضد الطيرة كأن يسمع كلاماً طيباً فيتيامن به والفأل يعجب الرسول كقولك للمريض يا سالم ولمن قصد سفراً يا راشد أو غير ذلك مما يسر.

المعنى الإجمالي للحديثين:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا عدوى حيث كانت العرب يبتعدون عن المريض خشية من

إعدائه بمرضه كجرب أو جدري أو غيره فرد هذا الاعتقاد كما رد الطيرة وهو التشاؤم بالطيور وأصواتها وممرها والظباء وصياح البومة في الليل على البيوت والأمراض الأخرى التي تصيب الدواب فيعتقدون أنها تنقل بنفسها أو تنعي الشخص إلى نفسه كصياح الطير بالليل أو أحداً من أهل البيت فهذا أبطله الشارع وكذا أبطل الاعتقاد أن بعض الأزمنة مشؤومة كشهر صفر فكانوا لا يتزوجون ولا يزوجون إلى غير ذلك مما ينافي التوحيد أو كماله ولما كان المقدر والمدبر هو الله والناقل للمرض هو الله ومن توكل عليه كفاه نهى عن التشاؤم والتطير بهذا وقد أكل مع مجذوم وقال كل باسم الله توكلاً على الله وأرشد أن الطيرة لا خير فيها ولكن الفأل هو أحسنها لأن فيه زيادة تعلق القلب بالله ورجائه بخلاف الطيرة وكان يعجبه اسم الرجل الحسن إذا أراد أن يبعثه ويتفاءل بالاسم الحسن ولكن لا يرده عن عمل أراده.

فائدة:

ما الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة إلى آخره. وقوله لا يورد ممرض على مصح وبين قوله فر من المجذوم فرارك من الأسد وقوله الشؤم في ثلاث في المرأة والدابة والدار أما نفي العدوى فهو اعتقاد أن المرض يتعدى بنفسه وطبعه كما تعتقده الجاهلية فنفي ذلك وهو معنى لا عدوى ولا طيرة ولا مانع أن الله ينقله إذا أراد من المريض إلى الصحيح كما في قوله لا يورد ممرض على مصح والحديث الآخر فر من المجذوم فرارك من الأسد وكما يجعل في بعض الأشخاص شؤم كالمرأة والدابة والدار فيكون شؤم على من قاربها وقد يجعل في بعضها بركة على من قاربها فلا منافاة فالطيرة والعدوى هو اعتقاد جاهلي يعتقدون أن هذه الأمراض تنتقل بطبعها بخلاف اعتقاد المسلمين أن الله قادر على نقله إلى الصحيح وجعله بعض الأعيان شؤماً وبعضها بركة كما يجعل ذلك على من قاربها والله أعلم.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ - لا يجوز اعتقاد أن العدوى تنتقل بنفسها.

٢ - أصوات الظباء والطيور لا يجوز أن ترد عن حاجة أو تمضي لها لأن اعتماد القلب على غير الله وانجذابه إليها فهو منافٍ لكمال التوحيد.

٣ - اعتقاد أن الله قادر على نقل المرض إلى الصحيح بقدرته وتدبيره.

٤ - اعتقاد البركة أو الشؤم في بعض الأعيان لا ينافي التوحيد والتوكل لقدرته في جعل الشؤم والبركة فيها ومن قاربها.

قوله في الحديث ذكرت الطيرة عند رسول الله فقال أحسنها الفأل الحديث.

المفردات:

فإذا رأى أحدكم ما يكره. أي من الطيور وأصواتها المتقدم فليقل أي فليدع بالدعاء الآتي. قوله

اللهم منادى حذفت منه ياء النداء والميم عوض عن يا والتقدير ياء اللهم. قوله لا يأتي بالحسنات وهي الخير والسعادة فالذي يأتي بها هو الله ولا يدفع السيئات وهي المصائب لا يدفعها قبل نزولها أو يرفعها بعد نزولها أحد إلا الله وقوله لا حول أي لا تحول من حال إلى حال ولا قوة عليه إلا بالله ولا قدرة لي على ذلك إلا بإعانتك وتوفيقك وقوله الطيرة شرك، أي هي من الشرك الذي لا يخرج من الملة والتكرير للتأكيد وما منا إلا التقدير إلا ويقع في قلبه شيء ولكن الله يذهبه بالتوكل، أي عليه والتفويض والاعتماد ومعنى قوله ما أمضاك أو ردك أي الطيرة المحرمة التي تمضيك لحاجتك أو تردك عنها.

المعنى الإجمالي:

في الأحاديث زجر عن الطيرة وارتكابها وأن الانسان إذا كان لا بد فاعلاً فأحسنها الفأل وهو الكلام الطيب الباعث على تعلق القلب على ربه أما من وقع في قلبه شيء من الطيرة المذمومة فعليه ما أرشد إليه الرسول من الأدعية المذكورة في الأحاديث المتقدمة ولا ينبغي أن تصرفه الطيرة عن حاجته ولا تمضيه لها لأن هذا شرك كما قال الرسول الطيرة شرك وإذا وقع في القلب شيء منها فعليه باللجوء إلى الله والمضي في حاجته والدعاء بما علمه أصحابه فإن ذلك لا يضر بمجرد خطوره بقلبه وإنما الشرك هو ميل القلب عن الله إلى هذه الأصوات والخوف منها والفزع والانذعار والارتباك فيما عزم عليه فهذا المذموم المحرم المنهي عنه فتنبه لذلك والله الموفق.

ما يؤخذ من الأحاديث:

١ - أن الفأل من الطيرة ولكنه أحسنها.

٢ - إذا وقع في قلب العبد شيء ينبغي أن يدعو بما أرشد إليه الرسول في الحديث.

٣ - لا يضر إذا وقع في القلب شيء من الطيرة ولم يرد عن حاجته ولم يمضه لها.

٤ - التوكل مطلوب مرغوب فيه وهو من العبادة وضده بضده.

أسئلة:

١ - بين مناسبة باب ما جاء في التطير هنا ثم عرف الطيرة لغة واصطلاحاً - عرف السانح والبارح والقاعد والقعيد والناطح والنطيح واشرح الآية الكريمة ألا انما طائرهم عند الله والآية الثانية قالوا طائركم معكم بين معنى طائركم معكم ومعنى ولكن أكثرهم يجهلون ومعني أئن ذكرتم ومعنى بل أنتم قوم مسرفون ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً وبين ما فيهما من أحكام.

٢ - الحديث لا عدوى ولا طيرة إلى آخره. بين معنى لا عدوى واجمع بينه وبين حديث فر من المجذوم فرارك من الأسد ولا يورد ممرض على مصح وكذا قوله الشؤم في ثلاث مع بيان معنى لا طيرة.

ومعنى لا هامة ولا صفر ولا غول وما هو الفأل وما ذا يستعمل له غالباً ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبين ما فيهما من أحكام.

٣- ما هو أحسن الطيرة وهل ينسب الفعل للطيرة وماذا يقول من رأى ما يكره ومعنى اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت مع بيان الحسنات والسيئات في الحديث مع معنى لا حول ولا قوة إلا بك وما معنى الطيرة شرك الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام.

* * *

« م » **باب ما جاء في التنجيم:**

قال البخاري في صحيحه قال **قتادة** خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به انتهى. وكره **قتادة** تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينه فيه ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل أحمد واسحق وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر ومصدق بالسحر وقاطع الرحم رواه أحمد وابن حبان في صحيحه فيه مسائل: الأولى الحكمة في خلق النجوم. الثانية الرد على من زعم غير ذلك. الثالثة ذكر الخلاف في تعلم المنازل. الرابعة الوعيد في من صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

« ش » **المناسبة**: لما كان علم التنجيم فيه اخبار بالمغيبات التي لا يطلع عليها غالباً إلا الله وهذا محرم تعاطيه والتصديق به وهو نوع شرك ناسب أن يذكره الشيخ هنا لأن هذا كله وما قبله يوقع العبد في عدم إكمال التوحيد.

تعريف التنجيم: علم التنجيم علم يبحث فيه عن أحوال الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب وموضوعه النجوم من حيث يمكن أن تعرف بها أحوال العالم وعرف بأنه هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهو ما يستدل به أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في المستقبل كهبوب الرياح ونزول المطر.

المفردات:

قوله خلق الله هذه النجوم: النجوم خلق من خلق الله مدبرة مسخرة. قوله لثلاث هذه هي ما ذكرها الله في كتابه أن هذه هي وظائفها زينة للسماء أي جمالاً وبهاء لها لقوله تعالى ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح والثاني رجوماً للشياطين كما قال تعالى وجعلناها رجوماً للشياطين والثالث الاهتداء والاستدلال في البر والبحر لقوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون فمن تأول فيها غير ذلك من سائر

الاستدلالات على حدوث حادث أو نزول أمر أو ولادة أو موت فقد أخطأ في تأويله وأضاع نصيبه من العلم والتأويل الصحيح وتكلف ما لا علم له به لأن الله ما كلفنا بذلك.

قوله كره قتادة إلى آخره: الكراهة تطلق في عرف السلف على كراهة التحريم ولا يعرفون كراهة التنزيه أما المنازل فهي الثمان والعشرون المنزلة التي كل ليلة يحل القمر في منزلة منها مسامتاً لها أو قريباً منها فقتادة يكره تعلم المنازل مطلقاً وأما أحمد فإنه رخص في تعلم المنازل والمراد به علم التسيير لا علم التأثير وكذا اسحق بن راهويه وقتاده هو ابن دعامة وسفيان هو ابن عيينة وحرب هو الكرماني من كبار أصحاب أحمد بن حنبل وقوله ثلاثة لا يدخلون الجنة إلى آخر الحديث. هذا من أحاديث الوعيد تجرى على ظاهرها أبلغ في الزجر ولا تؤل أما قطع الرحم فالمراد بهم القرابة فمن قطع رحمه فعليه وعيد شديد ومدمن الخمر أي المداوم على شربها والمصدق بالسحر هو الثالث لأن التصديق به كفر ويدخل فيه علم التنجيم وهو الشاهد من الحديث للباب.

المعنى الإجمالي:

في الأثر المروي عن قتادة أن وظائف النجوم ثلاث وهي ما جاء في كتاب الله وتقدم ذكره والسلف يتوقفون على حدود الكتاب والسنة ولا يتجاوزون ذلك لا في علم النجوم والأنواء ولا في غير ذلك لأن البحث في تلك الأشياء لا يترتب عليها أمر شرعي إلا ما ذكر من تزيين السماء بها واكتسابها بذلك رونقاً وجمالاً وبهاء فإذا كسا الليل الكون بظلامه أضاءت تلك الكواكب على اختلاف أشكالها من كبر وصغر وقوة ضوء وضعف ضوء وأعداد متقاربة وأفراد متباعدة فسبحان من خلق كل شيء فقدره تقديراً ثم الوظيفة الثانية لهذه النجوم رجمها للشياطين التي تسترق السمع في السماء وقد كثر الظن الرمي بها بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) ثم الوظيفة الثالثة وهي كونها دلالة وعلامة يستدل بها على جهة القبلة وعلى الطريق في ظلمات البر والبحر ومن أعظم ما يستدل به النجم القطبي لأنه أكثر من غيره ثباتاً تدور حوله فراشته وهو نجم خفي لا يكاد يبصره إلا دقيق البصر ولذا رخص أحمد في تعلم المنازل لهذه الأغراض لأن المنازل من أعظم ما يستدل بها على جهة القبلة والطريق ويقسمونها إلى شاميات أربعة عشر وأربعة عشر يمانيات فكل مكان تحت السماء الأعزل إلى جهة الشام فهو شامي وما كان لجهة اليمن فهو يماني وأما المانعون من تعلمها فإنهم يرون أنه يدرك معرفة القبلة وغيرها بدون تعلم المنازل بل يكفي معرفة بعض النجوم ولربما دخل في علم التنجيم المذموم والله أعلم.

كما أخبر في الحديث الآخر أن ثلاثة لا يدخلون الجنة تهديد ووعيد شديد على مرتكب تلك المحرمات وهو ادمان الخمر على اختلاف أسمائه وكل ما أسكر فهو خمر فإذا عاود شربه ولو في السنة مرة

فهو مدمن ما لم يتب وكذا قاطع رحمه وعدم صلتهم والتسبب في قطيعتهم قد قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فهذه الآية الكريمة من أبلغ الزواجر عن قطيعة الرحم وأما مصدق بالسحر ويدخل فيه التنجيم فهو شاهد الحديث للباب فهؤلاء عليهم الوعيد الشديد إذا لم يتوبوا إلى ربهم وينيبوا فلا شك أن عليهم هذا المكان من الله من تعذيبهم بالنار ولكن لا يقال إنه كفر مخرج من الملة بل يجري على ظاهره أبلغ والله أعلم.

ما يؤخذ من الباب من أحكام:

١ – وظائف النجوم ثلاث: زينة للسماء ورجوم للشياطين وعلامات يهتدى بها.

٢ – لا يجوز تعلم النجوم للاعتقاد أن لها تأثيراً في الكائنات من نزول مطر أو هبوب ريح أو موت وحياة.

٣ – أن من تأوّل بها شيئاً من ذلك فقد خالف سلف الأمة وارتكب محرماً.

٤ – ذكر اختلاف العلماء في جواز تعلم المنازل وعدمها.

(أ) أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يجوزانه لأنه من أدلة القبلة ومعرفة الطريق ويستدلون بالآيات.

(ب) قتادة وسفيان بن عيينة يمنعان من ذلك سداً للذريعة ويقولان من الممكن ادراك معرفة القبلة بدون ذلك ويمكن يكون وسيلة لتعلم المحرم والذي يظهر لي أن مذهب أحمد أقرب للصواب ولأن ابن حبان وغيره من كبار العلماء كان لهم يد طولى في هذا الفن ويرى بعضهم أن من شرط الفقيه معرفة علامات القبلة بالنجوم والله أعلم بالصواب.

٥ – تحريم دخول الجنة على مدمن الخمر ومصدق بالسحر وقاطع الرحم كما جاء في الحديث.

٦ – لا يجوز تأويل الحديث بتخليد من فعل شيئاً من هذه الثلاث في النار لأن هذا مذهب المعتزلة والخوارج وبعض فرق الشيعة الذين يكفرون بالذنوب ويجري الحديث على ظاهره أبلغ في زجر السامع.

أسئلة:

١ – ما مناسبة باب التنجيم في كتاب التوحيد وعرف التنجيم وما هي وظائف النجوم مع ذكر الدليل.

٢ – عرف مدمن الخمر ومعرفة مصدق بالسحر وما يدخل فيه وما هي الرحم ثم اذكر مذاهب العلماء في جواز تعلم المنازل والمنع وما فائدة ذلك وهل للمانعين دليل.

٣ – اشرح أحاديث الباب على ما مر بك من مفردات ثم اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً مع بيان أحكامها.

* * *

« م » **وقوله باب ما جاء في الاستسقاء بالانواء:**

وقول الله تعالى – (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون).

وعن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالاحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب (رواه مسلم)، ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال – مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال – مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى قوله – (تكذبون).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

والثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضه.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للايمان في هذا الموضوع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضوع.

الثامنة: التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا.

التاسعة: اخراج العالم للتعليم للمسألة بالاستفهام عنها لقوله أتدرون ماذا قال ربكم.

«ش» المناسبة: لما ذكر المصنف حكم التنجيم وتعلم المنازل المباح ناسب أن يذكر بعده الاستسقا بالنجوم الذي هو جزء من التنجيم لنسبة المطر إلى غير الله لأنه نسب السقيا ومجيء المطر ونزوله إلى الأنواء والأنواء جمع نوء وهي منازل القمر المتقدم بيانها وسميت أنواء لأنه كلما سقط الغارب ناء الطالع فناسب ذكره هنا.

المفردات:

قوله وتجعلون رزقكم أي حظكم من الشكر بنزول المطر أنكم تكذبون فتنسبون المطر إليها أي النجوم.

معنى الآية الكريمة الإجمالي:

يقول الله تعالى تجعلون رزقكم أي ما نزل من المطر بقدرته وقضائه وتدبير الله فتنسبون ذلك إلى الأنواء والنجوم وتعتقدون أن لها تأثيراً فتقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا غاية الجهل بل كفر النعمة لأن المنعم المنزل للمطر هو الله فيستحق الشكر على ذلك بالثناء والابتهال وصرف النعم في طاعته ومع هذا أضفتم ذلك إلى النجوم المخلوقة المدبرة ولو كان نزول المطر بسببها لما تقدم عن وقته من نزوله في تلك الأنواء التي جرت العادة بنزوله فيها بينما الواقع خلاف ذلك من تقدم المطر تارة وتأخره أخرى والتي ينسب بعض الناس المطر إليها في تلك الأنواء فيغير الله ذلك بالتقديم والتأخير ليدل على التقدير والتدبير والحكم الالهية من إنزاله تبارك وتعالى المطر في أوقات مختلفة ليتذكر أهل العلم والمعرفة والعقول وما يتذكر إلا من ينيب.

ما تفيده الآية:

١ - أن المطر ينزل بأمر الله وقضائه وتدبيره.

٢ - ان الذي ينسب المطر إلى الأنواء انه مكذب كافر بنعمة الله. قال المصنف وفيه التفطن للكفر في هذا الموضوع.

٣ - انه إذا نزل المطر ينبغي للعبد أن يشكر الله ويحمده على ذلك ولا يقابل ذلك بالكفران، قوله عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع في أمتي إلى آخر الحديث.

المفردات:

قوله أربع في أمتي: أي خصال أو خلال. من أمر الجاهلية: الجاهلية ما قبل الإسلام وكل ما خالف الإسلام من أمر الجاهلية لا يتركونهن أخبر أن هذه الأمة لا تتركها مع العلم بتحريمها أو عدمها

وهو كما قال صلى الله عليه وسلم. الفخر بالأحساب : الحسب هو جاه الآباء ومآثرهم وكرمهم ونحو ذلك والطعن في الأنساب هو عيبها والتنقص لبعضها والاستسقاء بالنجوم نسبة نزول المطر إلى النجوم وتقدم وهو الشاهد والنياحة هي رفع الصوت بتعداد محاسن الميت.

قوله إذا لم تتب قبل موتها. التوبة هي الرجوع إلى الله والاقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على أن لا يعود فمن تاب قبل موته قبلت توبته ،قوله سربال ، السربال هي الثياب والقميص ودرع من جرب. الدرع هو القميص ولكنه من حديد إذا أطلق. فإذا كان كذلك ،كان أسرع لتأججهن بالنار. قوله صلى لنا. أي صلى بنا. وفيه إطلاق المجاز على مثل ذلك وإلا الصلاة لله. قوله الحديبية : موضع معروف جرى به الصلح بين المسلمين وكفار قريش.

قوله على أثر سماء كانت من الليل. السماء كل ما ارتفع والمعنى أنه بعد نزول مطر كان في الليل لأن الماء ينزل من السحاب فلما انصرف التفت للناس بعد الصلاة ثم قال هل تدرون. استفهام معناه التنبيه قالوا الله ورسوله أعلم فيه حسن الأدب إذا سأل عما لا يعلم أن يقول الله ورسوله أعلم في حياة الرسول وأما بعد مماته فيقال الله أعلم. قوله أصبح من عبادي الإصباح إذا دخل في الصباح قوله فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، أي أضاف المطر إلى المنزل وهو الله فهذا هو المؤمن والفضل والرحمة صفتان من صفاته وهو مذهب أهل السنة من اعتقاد كل ما جاء في القرآن من صفاته على ما يليق بجلاله وعظمته بخلاف أهل البدع. قوله وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا هو الكافر لأنه نسب المطر إلى الكواكب والله هو الذي ينزله كيف يشاء.

المعنى الإجمالي :

أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة قد ارتكبت أربع خلال من أعمال الجاهلية ،الأولى المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي وأنها لا تزال ترتكب هذه الأعمال المنافي لكمال التوحيد الواجب وهو فخرها بآبائها وأحسابهم وأفعالهم ومكارمهم وكرمهم وما شاكل ذلك وقد حذر الرسول أمته من هذه الأعمال من ذلك قوله ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية كفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان كما أن هذه الأمة لا تترك الطعن في أنساب بعضهم وتنقصهم وعيبهم لها ولا تزال تنوح على موتاها لما يخالف البكاء أما البكاء بدون ضرب الخدود وشق الجيوب فلا بأس به لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى ، والممنوع هو النياحة وأما الاستسقاء بالنجوم ونسبة نزول المطر إليها فهذا من أعمال الجاهلية أيضاً وهو شاهد الحديث للباب . وهو موجود في هذه الأمة في كل زمان ومكان وأخبر أن ذلك كفر به بنسبة ما هو من تدبيره وتقديره إليها فلا يجوز نسبتها إلى غيره فإنه كفر به ولو على طريق المجاز مع اعتقاد أن المنزل الحقيقي هو الله فالواجب إذا نسبتها إليه تعالى وقول الإنسان مطرنا بفضل الله ورحمته كما أرشد إليه صلى الله عليه وسلّم.

ما يستفاد من الحديثين:

١ - تحريم التفاخر والتعاظم والتطاول على الناس بسبب مآثر الآباء وهو عمل جاهلي.

٢ - أن الطعن بالنسب والتنقص لأخيك المسلم من أعمال الجاهلية.

٣ - أن النياحة مع وجود ضرب الخدود وشق الجيوب وذكر تعداد محاسن الميت من أعمال الجاهلية وأن البكاء وحزن القلب ليس من ذلك وهو رحمة يجعلها الله في قلب من يشاء.

٤ - أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأن توبة النائحة وغيرها مقبولة.

٥ - أن من مات وعليه ذنوب تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وان شاء غفر له ما عدا الشرك.

٦ - لا يجوز نسبة نزول المطر إلى الكواكب فمن نسبها إليها فقد كفر كفراً دون كفر ولو عن طريق المجاز.

٧ - أن الواجب نسبة ذلك إلى الله لأنه هو المنزل الحقيقي.

٨ - اثبات صفاته كالرحمة والغضب والرضا فهذه صفات أثبتها له أهل السنة فيقولون ان الله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى خلافاً لمنكري ذلك.

قوله في حديث ابن عباس لقد صدق إلى آخره:

المفردات:

قوله فلا أقسم بمواقع النجوم هذا قسم من الله ومواقع النجوم نزول القرآن منجماً وقال مجاهد مطالعها ومشارقها وانه لقسم لو تعلمون عظيم. أي هذا القسم الذي أقسمت به عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتهم المقسم به انه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وهو القرآن في كتاب مكنون وهو اللوح المحفوظ. معظم محفوظ لا يمسه إلا المطهرون قيل الملائكة وقيل إنه لا يجوز أن يمس القرآن محدث تنزيل من رب العالمين. فيه أن القرآن منزل من عند الله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ممالئون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وتنسبون المطر إلى غير الله وهذا هو الشاهد.

المعنى الإجمالي للآيات:

أقسم الله تبارك وتعالى بمواقع النجوم وهو منازل القمر أو وقت تنزيل القرآن منجماً على حسب الوقائع وأخبر تبارك أن هذا القسم الذي أقسمه عظيم ليدل على عظم المقسم به وهو القرآن وأن هذا القرآن مكرم مطهر محفوظ عن زيادة أو نقصان وان القرآن لا يمسه إلى مطهر ان كان المراد به الملائكة فهم مطهرون كما في قوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة فالملائكة مطهرة عن الدنس والعيب والذنب وكذلك لا ينبغي أن يمس القرآن إلا متوضئ من بني آدم فالمحدث والجنب لا ينبغي

أن يمس القرآن كما أن الجنب لا ينبغي له أن يقرأ بمس أو غير مس والمحدث يقرأ القرآن بدون مس كعن ظهر قلب أو يمس القرآن من وراء حائل على قول القرآن منزل من عند الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فالآية ترد على القائلين بخلق القرآن وقد أوردت نبذة صالحة في الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية. فيه شبه القائلين بخلق القرآن والرد لتلك الشبه إلى النصوص من الكتاب والسنة وكلام السلف ولغة العرب ثم أخبر سبحانه أن البعض يداهن بالقرآن ويمالئ أعداء الله فأنكر عليهم ذلك وأخبر أن الواجب الصدع وعدم المداهنة وتقدم الكلام على آخر الآية في أول الباب.

ما تفيده الآيات:

١ – أقسم الله بمواقع النجوم على القول بأنها المنازل فيدل على أن الله يقسم بما شاء من خلقه أما ابن آدم فلا يقسم إلا بالله كما يأتي.

٢ – أخباره بعظم القسم ليدل على عظم المقسم به وهو القرآن.

٣ – اخباره بأن القرآن محفوظ باللوح مع ان الله حفظ القرآن بعد انزاله عن زيادة أو نقصان.

٤ – لا يجوز أن يمس القرآن جنب أو محدث.

٥ – طهارة الملائكة عن الأنجاس والذنوب والدرن وغير ذلك.

٦ – اخباره تبارك وتعالى بأن القرآن منزل غير مخلوق.

٧ – تحذيره من المداهنة والأمر بالصدع.

أسئلة:

١ – ما مناسبة باب ما جاء في الاستسقاء بالنجوم لما قبله ولماذا سميت أنواء واشرح الآية وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون – اشرحها مفردات ومجملاً وبيان أحكامها.

٢ – أذكر الأربع التي في هذه الأمة من أمر الجاهلية وأن هذه الأمة لا تتركها مفردات وبيان الفخر بالأحساب والطعن بالأنساب ومعنى النياحة واذكر شروط التوبة ما هو لسربال والدرع ولماذا خصت بذلك النائحة واشرح الحديث شرحاً مجملاً وما يدل عليه من أحكام.

٣ – اذكر حديث زيد بن خالد وما هو صلح الحديبية واشرح الحديث ومفرداته ومعناه الإجمالي وما يؤخذ منه من أحكام على ما مر بك.

٤ – الآية الكريمة فلا أقسم بمواقع النجوم اشرح المفردات التي مرت بك ومعناها الإجمالي واذكر الدليل على إنزال القرآن ومعنى لا يمسه إلا المطهرون وما تدل عليه من أحكام.

* * *

« م » **قال باب قول الله تعالى :**

ومن النَّاس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله الآية وقوله قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله .

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين أخرجاه .ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار وفي رواية لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى إلى آخره .

وعن ابن عباس من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة ومواخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً رواه ابن جرير وقال ابن عباس في قوله وتقطعت بهم الأسباب قال المودة . :

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال .

الرابعة : نفي الايمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الايمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير وتقطعت بهم الأسباب .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر .

« ش » **المناسبة** : لما ذكر المصنف أن الاستسقاء بالنجوم منافٍ لكمال التوحيد أو للتوحيد ناسب أن

يذكر بعده ما ينافي التوحيد بالكلية وهو محبة غير الله واتخاذ لله نداً في المحبة لأن المحبة أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص.

المفردات:

الأنداد جمع ند وهو الشبيه والنظير والمثيل يحبونهم كحب الله كما يحب المؤمنون ربهم وكما يحب أهل الأصنام أصنامهم والذين آمنوا أشد حباً لله أي أشد محبة لله من أهل الأصنام لأصنامهم ولو يرى الذين ظلموا يرون العذاب يوم القيامة يعاينونه معاينة قوله أو عشيرتكم. العشيرة جمعها عشائر أي قرابة الرجل وعصبته وأموال اقترفتموها. الاقتراف الاكتساب والاصابة وتجارة تخشون كسادها. التجارة هي الأمتعة والأموال والكساد عدم النفاق والرواج وتقل المضاربة بها بسبب الكساد فتربصوا، أي انتظروا ما يحل بكم حتى يأتي أمر الله، أي وعده وما أعد لمن عصاه ان الله على كل شيء قدير. فالتقدير والتدبير بيد الله فله القدرة والحكمة البالغة فيرفع ويخفض ويعز ويذل وينفع ويضر.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر الله سبحانه بأن هناك طائفة من الناس يتخذون لله شركاء في المحبة سواء كانت هذه المحبة محبة مماثلة لمحبة الله أو أنها محبة خاصة للأصنام كمحبة المؤمنين ربهم مع الفارق العظيم بين من يحب الله ويحب أعداء الله فمن جمع بين محبة الله ومحبة أعدائه فقد جمع بين النقيضين والضدين.

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حباً له ما ذاك بالإمكان

ولذا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم الآية. فأخبر أن الله يحب عباده المؤمنين كما أنهم يحبون ربهم وهم مع ذلك أعزة أقوياء على الكفرة ذوو رأفة ورحمة على المؤمنين أهل مجاهدة لأعدائه لا تأخذهم في الله لومة لائم، فمحبة الله عبادة ومحبة غيره شرك لرب العالمين كما أخبر سبحانه أن محبة الآباء والأبناء والتجارة والمساكن إذا قدمت على محبة الله وآثر البقاء فيها والرفاهية والتنعم على ما يحب الله ورسوله والجهاد في سبيله فأعلمهم الله أنهم يتربصون وينتظرون ما يحل بهم من العقوبة بسبب ذلك.

ما تفيده الآيات الكريمات:

١ – أن محبة الله عبادة ومحبة غيره شرك.

٢ – أن محبة غير الله مع الله شرك في المحبة إذا ساوت محبة الله وهي اتخاذ لله نداً في المحبة بخلاف محبة الولد والمال الطبيعية إذا لم يقدم ذلك على مراضي الله وما يحب فإنه لا بأس بها.

٣ – اثبات محبة الله لعباده المؤمنين واثبات محبتهم له.

٤ – تبرؤ الأتباع من أتباعهم يوم القيامة عند معاينة العذاب وهم أصحاب الأنداد الذين يحبون أندادهم كمحبة الله.

٥ – أن من آثر البقاء في أولاده وعند أبويه وأزواجه وماله وقدم ذلك على محاب الله ومراضيه أنه متربص بذنبه فعليه وعيد شديد من الله.

قوله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده إلى آخره.

المفردات:

لا يؤمن أحدكم أي الإيمان الكامل الذي يذم تاركه حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. فلو قدم محبة واحدة من هؤلاء على محبة رسول الله لنقص إيمانه كما في حديث ان عمر قال يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. قوله ثلاث أي خلال أو خصال من كن فيه، أي وجدت تامة وجد بهن حلاوة الإيمان المراد به ذوق الإيمان وهو اشتغاله بالطاعة وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أعراض الدنيا. وقوله وأن يحب المرء ما يحبه إلا لله فهذه المحبة تابعة لمحبة الله فإن المحب يحب محبوب حبيبه قوله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار. أي يستوي عنده الأمران الرجوع في الكفر ودخول النار. وان قدم دخول النار فهو أفضل كما جرى للخليل وأبي ادريس الخولاني من هذه الأمة.

المعنى الإجمالي للأحاديث:

أخبر الشارع صلى الله عليه وسلم أنه لا يكمل إيمان عبد ولو كثرت صلاته وصومه حتى يقدم محبة رسول الله على محبة أهله وولده وماله ونفسه والناس أجمعين لما تقدم من قول عمر رضي الله عنه أنه قال للرسول لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى من نفسك ثم قال يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي. قال الآن يا عمر كما أخبره أن من اجتمعت فيه ثلاث خلال وجد لذة الايمان وطعمة ،أن يقدم محبة الله ورسوله على غيرهما مما تقدم وأن يحب أولياء لأجل الله ولأجل ما قاموا به من مراضيه وطاعته فمحبتهم خاضعة لمحبة الله لأنها لله ولأجل الله وأن يستوي عنده الإلقاء في النار والعودة إلى الكفر فإن فضل الإلقاء في النار أكمل وأفضل ويقتدي بالخليل عليه السلام.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ – نفي الايمان عمن لم يقدم محبة رسول الله على غيرها من أهل ومال وولد حتى من نفسه.

٢ – أن من قدم شيئاً مما تقدم على محبة رسول الله أنه ناقص الإيمان.

٣ - أن من اجتمع فيه ثلاث خلال وجد لذة الإيمان وحلاوته وهي محبة الله ورسوله ومحبة عبادة المؤمنين الذين يحبهم لأجل الله وطاعته.

٤ - استواء القاء النار والعود في الكفر عند المؤمن.

٥ - أن من أحب أن يلقى في النار ولا يعود في الكفر أنه أفضل وأكمل إيماناً.

المفردات:

قوله في حديث ابن عباس من أحب في الله أي أهل طاعته لأجل ما قاموا به وأبغض في الله أي من أجله وأبغض أعداءه من الكفرة ووالى في الله أي والى أولياء اللهوعادىفي الله أي أعدءه من المشركين فإنما تنال ولاية الله بذلك. تنال أي تدرك. ولاية بالفتح أي المحبة أي بخلاف الولاية بالكسر التي هي الإمارة وقد صارت عامة مواخاة. أي الأخوة والمحبة أكثرها على أمر الدنيا فيحبون لها ويعادون لها ويوالون وذلك لا يجدي على أهله شيئاً أي لا يجر لهم نفعاً بل ضرر محض وتقطعت بهم الأسباب. قال المودة الأسباب جمع سبب وهو ما يتوصل به إلى غيره وسمي الحبل سبباً وأسباب السماء مراقيها وأبوابها والأسباب هنا هي المحبة بينهم. والمودة.

المعنى الإجمالي:

تكلم ابن عباس على الولاية والمحبة التي تكون لله ولأجله آخذاً من كلام الله وكلام رسوله فأخبر أن المحبة تكون لله ولأحبابه من أجله ومن يتولاه وأهل طاعته فهي محبة منبعثة من محبته تبارك وتعالى ولأجله كما أن العداوة إذا كانت لله وفى الله أنها من محبته كما في قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً. فتراحموا وتحابوا في الله ولأجل الله كما قاتلوا أعداءه بنضالهم لما ارتكبوا من المحارم والمآثم ولما كانت المحبة والبغض المطلوب هو لله ولأجل الله أخبر أن الأمر انعكس وصارت عامة ذلك لأجل الدنيا وفي الدنيا وهذا في زمنه في القرون المفضلة مع توافر الصحابة فكيف بمن بعدهم فكيف بعصرنا الحاضر فلا حول ولا قوة إلا بالله. أخبر الله عن تلك المحبة والمودة التي لأجل الدنيا، انها تنقطع أحوج ما كانوا إليها وهو يوم القيامة.

ما يستفاد من الآثار من الأحكام:

١ - ان محبة أولياء الله وأهل طاعته تابعة لمحبته وولايته.

٢ - ان محبة العمل الذي لله من صلاة وسائر العبادة وكذا محبة الأنبياء والملائكة داخلة في محبة الله تعالى.

٣ - ان بغض أعدائه وعداوتهم انها من البغض في الله.

٤ - وجود ولاية وعداوة في الشخص الواحد فيحب على قدر ما فيه من الطاعة ويبغض على قدر ما فيه من المعصية فأيهما غلب يكون هو الراجح في الشخص.

أسئلــة :

١ - (أ) ما مناسبة باب قول الله تعالى ومن الناس الآية لما قبله.

(ب) المفردات الأنداد وما هي المحبة المذكورة في الآية ما هي العشيرة معنى اقترفتموها والكساد ما معنى فتربصوا.

(ج) اشرح الآيتين شرحاً مجملاً وبين ما فيهما من أحكام.

٢ - (أ) حديث معنى لا يؤمن أحدكم معنى حتى أكون أحب إليه الخ. معنى ثلاث، معنى حلاوة الإيمان، ما هي الثلاث الخلال التي يجد بها حلاوة الإيمان؟

(ب) ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام.

٣ - اشرح الحديث الآتي. من أحب في الله وأبغض في الله، وعادى في الله ثم بين الولاية. ما معنى وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا؟ ما هي الأسباب المفردات المتقدمة والمعنى الإجمالي وما يدلان عليه من أحكام؟

* * *

«م» **قوله باب قول الله تعالى:**

إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين.

وقوله «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاء ولم يخش إلا الله «الآية - وقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)، الآية.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً - «ان من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره».

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل:



الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن اخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

« ش » **المناسبة**: لما ذكر المصنف في الباب السابق المحبة وأنواع المحبة التي هي نوع من العبادة، فصرفها لله عبادة وصرفها لغيره شرك ناسب أن يذكر بعد ذلك الخوف والخشية التي هي نوع آخر من أنواع العبادة فإذا أحبه خافه وخشيه.

المفردات:

قوله يخوف أولياءه: خاف يخاف وخيف ومخافة وتخويف الشيطان لأوليائه وهم من يتولونه بالطاعة له يخافونه بالإرجاف عليهم وقوله فلا تخافوهم أي لا تحذروهم فتتركوا الجهاد خوفاً من أرجاف الشيطان وخافونِ ان كنتم مؤمنين لأن مخافته لا تصدر إلا عن إيمان وقوله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، أي بالذكر والدعاء والصلاة وهم المؤمنون فقاموا بأمره وعبدوه حق عبادته وآمنوا باليوم الآخر الذي يحشر الناس فيه جميعاً إلى ربهم لمجازاتهم بما عملوا وأقام الصلاة التي أمر بها وبها تعمر المساجد وآتى الزكاة المفروضة في ماله ربع العشر في الذهب والفضة إذا كان لديه نصاب أو من عروض التجارة والماشية حسب ما هي مذكورة في كتب الفقه ولم يخش إلا الله. الخشية الخوف والاتقاء وهي أشد من الخوف لأنها مأخوذة من قولهم شجرة خاشية والخشية لله من خوفه وتعظيمه فعسى أولئك الآية. أي هم المهتدون لأن عسى في القرآن واجبة. وقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله. أي آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه فإذا أوذي في الله أي في ذاته نسب الأذية إليه وربما ارتد عن دينه وقوله جعل فتنة الناس أي أذيتهم فإن المؤمن يمتحن في دينه فمنهم من يصبر ومنهم من يرتد ويجعل الفتنة التي تصيبهم من الناس كعذاب الله.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر سبحانه وتعالى أن الشيطان يخوف أولياءه فيرجف عليهم الأراجيف وينزل في قلوبهم الرعب

ويشيع الإشاعات لتخويف أوليائه والتخويف بهم فلا ينبغي للعبد المؤمن أن ينصرف عن دينه وعن الجهاد في سبيله بسبب الرعب الذي يلقيه أولياء الشيطان كما قال أبو سفيان بعد منصرفه من أحد لنرجعن فلنستأصلن محمداً وأصحابه فلم يخف الرسول ولا أصحابه ذلك بل خافوا ربهم وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهذه سنة الله في كل من توكل عليه ثم أخبر سبحانه في الآية أن عمارة المساجد ليست بالماء والطين وإنما هي بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر والجهاد في سبيله وإقام الصلاة في المساجد وهؤلاء هم عمار المساجد بالذكر والعبادة وهؤلاء هم المهتدون لخشيتهم لربهم وحده دون من سواه.

ثم أخبر تبارك وتعالى عن طائفة من الناس الذين يؤمنون إيماناً ضعيفاً أو لم يستقر الإيمان في قلوبهم فيبتليهم ببعض الفتن فإن صبروا عند أول محنة كانت العاقبة لهم والنصر والظفر وان ارتدوا عن دينه بسبب ذلك رجعوا بالخيبة والخسران وهذه حال كثير من الناس يؤمن بلسانه ولم يستقر الإيمان في قلبه لأنه لو استقر وآمن بالله وخشيه وخافه وتوكل عليه دون من سواه لما ارتد عن دينه أو عن بعضه بالفتنة والمحنة.

ما يستفاد من الآيات:

١ - ان الخوف من العبادة فلا يجوز أن تصرف ذلك لغير الله.

٢ - أن الشيطان يرجف ويخوف المسلمين من جنده وأعوانه فلا يجوز أن يخاف إلا من الله تبارك وتعالى.

٣ - «أ» انقسام الخوف أقسام: خوف عبادة وهو الخوف فيما لا يقدر عليه إلا الله من انزال ضرر أو دفعه وهذا ما تخافه أهل الأصنام من أصنامهم وهو المعني بالآية وهذا ينافي التوحيد.

(ب) خوف طبيعي وهو الخوف من عدو كسبع أو عدو مسلح يستطيع الوصول إليك فهذا لا يضر. كخوف موسى عليه السلام فخرج منها خائفاً يترقب.

(ج) أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس فهو نوع شرك مثاله كأن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب عليه.

٤ - عمارة المساجد بالذكر والصلاة وعمارها هم المؤمنون بالله واليوم الآخر كما في الآية الكريمة وهؤلاء هم المؤمنون حقاً.

٥ - أن العبد إذا آمن ربما امتحن في دينه فإن صبر فإن العاقبة له وإن لم يصبر عوقب عاجلاً

قوله عن أبي سعيد مرفوعاً ان من ضعف اليقين الحديث.

المفردات:

قوله من ضعف اليقين. الضعف بالضم والتحريك هو ضد القوة ضعف ككرم ونصب فهو ضعيف والجمع ضعاف بالفتح. ضعف الرأي بالضم ضعف البدن. اليقين. كمال الإيمان. أن ترضي الناس بسخط الله أي تؤثر رضاهم على رضى الله وأن تحمدهم على رزق الله الذي ساقه الله على أيديهم. تضيف الحمد لهم والذي يستحق الحمد هو الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله أي ما طلبت منهم فلم يقدر لك الله ذلك ان رزق الله لا يجره حرص حريص فالحرص لا يأتيك برزق والكراهية لا تمنع رزقاً ساقه الله لك، التمس أي طلب.

المعنى الإجمالي في الحديث الأول:

بيان لحال كثير من ضعيفي الإيمان والذين يطلبون رضا المخلوق ولو بمعصية الخالق تبارك وتعالى أو يحمدهم على نعمة ويضيفها إليهم والمحمود عليها هو الله المنعم الحقيقي وهذا لا ينافي من لا يشكر الناس لا يشكر الله وسيأتي على حديث من صنع إليكم معروفاً فإن حمد الناس على نعم الله إضافة النعم إلى غير المنعم أو يذم الناس على رزق قد طلبه فلم يتيسر له على أيديهم فالميسر لك هو الله والجالب للأرزاق هو الباري والحرص لا يجر رزقاً كما أن الكراهية لا تمنع منه ولا ترده كما ذم في الأثر الثاني أن من التمس رضا الناس بسخط الله فإن الله يسخط عليه ويسخط عليه الناس ومن التمس رضاه وطاعته وقدمها على رضا المخلوق فإن الله يكفيه مؤنتهم ويحفظه منهم ويرزقه من حيث لا يحتسب لأن الباعث على رضاه هو طاعته والتوكل عليه دون خلقه والاعتماد على الخالق دون المخلوق وقد ورد في أثر ما اعتمد عليّ عبد من عبيدي دون خلقي علمت ذلك من نيته إلى قوله فكادته السموات والأرض إلا جعلت له من بينها فرجاً ومخرجاً.

ما يستفاد من الآثار:

١ - أن الواجب على العبد تقديم محبة الله ومراضيه على محبة ما سواه وان سخط من سخط من الناس.

٢ - ان ذلك دليل ضعف إيمان الإنسان.

٣ - ان حمد الناس أو ذمهم على رزق من ضعف الإيمان.

٤ - رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يمنعه كراهة كاره.

٥ - أن طلب رضا الله بسخط الناس هو الواجب على العبد إذا كان في ذلك سخطهم.

أسئلة

١ – ما هي مناسبة باب قول الله تعالى فلا تخافوهم وخافوني لما قبله. اشرح الآية الكريمة إنما يعمر مساجد الله الآية. وقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله. ما هو تخويف الشيطان لأوليائه وما المراد بعمارة المساجد في قوله إنما يعمر مساجد الله وما المراد بآتى الزكاة ثم عرف الخشية ولأي شيء كانت عسى في القرآن واجبة.

٢ – اشرح الآية الكريمة ومن الناس من يقول آمنا بالله. اشرح المفردات والمعاني الإجمالية وما تفيده من أحكام.

٣ – حديث أبي سعيد وعائشة ما هو ضعف اليقين وما معنى أن ترضي الناس بسخط الله ومعنى وأن تحمدهم على رزق الله وما معنى وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ثم اشرح قوله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره واشرح حديث عائشة مع حديث أبي سعيد شرحاً مجملاً مع بيان ما فيهما من أحكام.

* * *

« م » **باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين، الآية**:

وقوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية. وقوله يا أيها النبيّ حسبك الله، الآية.

وقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، الآية. (رواه البخاري والنسائي).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير اية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد.

« **ش** » **المناسبة**: التوكل من أعظم واجبات التوحيد وبثبوته يقوى التوحيد وبضعفه يضعف فناسب

ذكره هنا ولأن التوكل من العبادة الّتي صرفها لله فرض وصرفها لغيره شرك ومعنى التوكل لغة توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. انتهى من الشرح والتوكل شرعاً هو الاعتماد على الله في كل الأمور والتفويض إليه فهو من أجلّ العبادات وأعظم الطاعات.

المفردات:

قوله ان كنتم مؤمنين: من توكل عليه فهو مؤمن يكفيه كل شيء. وقوله إنما المؤمنون الإيمان لغة التصديق وهو شرعاً قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وقوله الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي عند ذكره خافت فامتنعت عن فعل المعاصي والوجل هو الخوف منه وإذا تليت عليهم آياته. أي قرئت آيات القرآن زادتهم إيماناً فالإيمان يزيد وينقص زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية فالذكر والقرآن يزيد في قلب المؤمن إيماناً وعلى ربهم يتوكلون أي يفوضون ويعتمدون عليه دون من سواه. وقوله يا أيها النبي حسبك الله أي كافيك ومن اتبعك أي كافي اتباعك وقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافي من توكل عليه فلا مطمع فيه لأحد.

المعنى الإجمالي:

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات أن المتوكل على الله هو المؤمن الصادق والتوكل نوع من العبادة الّتي أمر الله بها فصرفها لغيره شرك في العبادة فتفويض العبد لربه عمله دنياه ودينه وحاضره وغائبه من الأمور الدينية الّتي يكفي من توكل عليه وقام بها من الشرور المحيطة به كما كفى عبده ورسوله وخليله محمداً وصاحبه وهما في الغار وكما كفى موسى كليمه من فرعون وكما كفى عبده وخليله إبراهيم حين ألقي في النار فمن توكل عليه كفاه وأخبر أن الإيمان في قلوب المؤمنين يزيد بفعل الطاعات واجتناب المحرمات وينقص بقدر ما ارتكب من الإثم وما ترك من الطاعة وان من علامات إيمان العبد خوفه ووجله عند سماع كلام الله والذكر.

وأما من لم يجل قلبه ويَخَفْ عند سماع كلام الله والذكر فهو ناقص الإيمان كما بينته الآية الكريمة ومن لوازم ذلك القيام بأمر الله واجتناب نهيه وأن هذه من ثمرات الإيمان.

ما يستفاد من الآيات:

١ – أن الله أمر بالتوكل وأنه من العبادة وصرفها لغيره شرك.

٢ – ان التوكل هو تفويض الانسان لربه والاعتماد عليه دون من سواه.

٣ – أن التوكل من علامة إيمان العبد وصحته وضده بضده.

٤ – ان من توكل على الله كفاه كما كفى رسوله صلى الله عليه وسلم وإبراهيم خليله.

٥ – أن الايمان يزيد وينقص زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية ففيه الرد على من قال إن الايمان مجرد المعرفة أو قال هو التصديق.

٦ – أن من علامات الإيمان الخوف ووجل القلب عند سماع القرآن أو الذكر.

قوله عن ابن عباس رضي الله عنه قال حسبي الله ونعم الوكيل إلى آخره.

المفردات:

قوله حسبنا الله الحسب الكافي. الله كافٍ من توكل عليه ونعم الوكيل أي نعم الموكول إليه جميع الأمور.

المعنى الإجمالي:

في الأثر هذا عن ابن عباس أن قول الله عز وجل حسبنا الله قد تضلع به إبراهيم الخليل حين ألقاه نمروذ في النار وقد قصد تحريقه في ذات الله عندما كسر أصنامهم وآلهتهم وعابهم وأمرهم بعبادة ربهم ونهاهم عن عبادة ما سواه عند ذلك حرقوه وأججوا النار ورموه فيها بالمنجنيق ولم يلجأ الخليل عليه السلام إلى أحد يستعين به وينتصر به من دون الله حتى أن جبرائيل اعترض له وقال ألك حاجة فقال لا حسبي الله ونعم الوكيل.

قال الله عز وجل عند ذلك يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين وقصة إبراهيم معروفة وقال ذلك محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال أبو سفيان عند منصرفه من وقعة أحد للركب الذين مروا به انا سنستأصل محمداً وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء فلم يلجأوا إلى قوة ولا إلى أحد إلا إلى قوة الله سبحانه ولم يهرعوا إلى معين إلا طلب الإعانة من الله فرجعوا بالأجر والنصر في كل الوقائع وهذه سنة الله فيمن توكل عليه واعتمد في جميع أموره عليه والله الموفق.

ما يستفاد من كلام ابن عباس:

١ – ان قول الله عز وجل حسبنا الله ونعم الوكيل من قول الخليلين محمد وإبراهيم عليهما السلام في أشد الحالات.

٢ – أن الله نصرهما وحفظهما وأيدهما وأتباعهما بسبب التوكل والتفويض إليه.

٣ – الواجب على الأمة الاقتداء بالأنبياء والمرسلين فأول من يقتدى به محمد وأبوه إبراهيم عليهما السلام.

أسئلـة :

ما هي مناسبة باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا لما قبله عرّف التوكل لغة وشرعاً مع تعريف الإيمان لغة وشرعاً وهل هو يزيد وينقص أم لا ؟ وضّح ذلك.

٢ – اشرح قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله الآيتين شرحاً مجملاً وبيان ما فيهما من أحكام.

٣ – ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم وما هي النتيجة وماذا قاله إبراهيم حين ألقي في النار مع شرح للأثر المروي عن ابن عباس وبيان أحكامه.

* * *

« م » **قوله باب قول الله تعالى :**

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقوله ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن الكبائر فقال الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعن ابن مسعود قال أكبر الكبائر الأشراك بالله والأمن من مكر الله القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الاعراف.

الثانية : تفسير آية الحجر.

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الأمن من مكر الله منافياً للخوف من الله واستحضار عظمته وكذا القنوط من رحمته هما من أكبر واجبات التوحيد فمن أيس من روح الله وقنط من رحمته وبلغت به الحال إلى هذه الدرجة فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر واجبات التوحيد فناسب المصنف أن يبوب لهما هنا.

المفردات :

قوله أفأمنوا مكر الله. مكر الله لأعدائه هو أخذهم بمخالفتهم أمر الله ورسوله وقد تكون بعض النعم استدراجاً من الله لبعض العصاة وقوله ومن يقنط من رحمة الله القنوط هو استبطاء الفرج وهو أشد من اليأس.

المعنى الإجمالي للآيتين :

يخبر سبحانه أنه لا يأمن مكر الله وهو أخذه وسطوته بأعدائه ومرتكبي الجرائم والآثام والمتنكب عن

طريق الهدى والرشاد ومن أخذه الله فقد خسر الصفقة وندم البيعة فكثيراً ما يعطي الله العبد العطايا ويستدرجهم بالنعم وهم مقيمون على معصيته ولذا قال بعض السلف بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سلوتهم ونعمتهم وغرتهم فلا تغتروا بالله فمن وسع الله عليه وأصح جسمه وولده فليخشَ ربه وليحاسب نفسه لئلا تكون من استدراجه وليقم بأمر الله فمن قام بشكر النعم أثيب عليها ومن الكبائر أيضاً المنافية لكمال التوحيد القنوط واستبعاد الفرج من ضر نزل بالعبد أو فقر أو مرض أو عدو أو غير ذلك فكان السلف يترقبون الفرج مما نزل بهم أخذاً من قوله تعالى فإن مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا.

ما يستفاد من الآيتين:

١ - الأمن من مكر الله كبيرة من كبائر الذنوب يجب للعبد أن يتوب منها.

٢ - القنوط من رحمة الله استبعاد الفرج كبيرة كذلك.

٣ - الواجب على العبد أن يكون خائفاً من ذنوبه راجياً رحمة ربه.

٤ - لا يجوز تسمية الله بالماكر والمخادع ونحو ذلك مع جواز وصفه بالمكر والخديعة لأعدائه.

قوله في حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر إلى آخره.

المفردات:

قوله أكبر الكبائر الإشراك بالله لا شك ان الإشراك بالله هو أكبر الكبائر وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قوله اليأس من روح الله هو قطع الرجاء والرغبة فيما عند الله فيما يخاف ويرجو.

المعنى الإجمالي:

دلت السنة المطهرة كما دل القرآن على أن هذه الأشياء المذكورة في الحديثين من الكبائر وأكبرها الإشراك بالله لأن فيه تنقصاً للآلهية وهضماً للربوبيته وسوء ظن برب العالمين كما قاله ابن القيم وان من الكبائر القنوط من رحمة الله فمن أيس من رحمته واستبطأ فرجه فهو مرتكب لتلكما الكبيرتين اللتين يجب أن يتوب منهما لنقص إيمانه وشوبه توحيده لما ينقصه وارتكاب ما يغضب رب العالمين فيجب على العبد الإقلاع والتوبة والاستغفار من ذلك ويرجع إلى ربه ولا يأمن مكره ولا يقنط من رحمته وروحه وفرجه.

ما يستفاد من الحديثين:

١ - ان أكبر الكبائر الاشراك بالله وتقدم.

٢ - أن اليأس من رحمة الله وروحه والأمن من مكره كبيرة.

٣ - لا يستدل بالحديث على حصر الكبائر في هذه الأشياء بل انها من الكبائر.

٤ - الميزان للعبد أن يكون غير قانط من الرحمة ولا آمن من المكر.

أسئلة :

١ - (أ) ما هي مناسبة باب قول الله تعالى أفأمنوا مكر الله لما قبله.

(ب) المفردات : عرف مكر الله. والقنوط. ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً مع بيان الأحكام.

٢ - (أ) عرف أكبر الكبائر. عرف اليأس.

(ب) اشرح الحديثين شرحاً مجملاً مع بيان ما فيهما من أحكام.

* * *

« م » **قوله باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.**

وقوله تعالى : ومن يؤمن بالله يهد قلبه.

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت. ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، حسنه الترمذي.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن.

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة : الطعن في النسب.

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة : إرادة الله بعبده الخير.

السادسة : إرادته الله به الشر.

السابعة : علامة حب الله للعبد.

الثامنة : تحريم السخط.

«**المناسبة**» : لما كان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وأن ضد الصبر الجزع فهو ينافي كمال الإيمان ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد لأنه لا إيمان لمن لا صبر له.

تعريف الصبر : الصبر لغة مشتق من الحبس والمنع واصطلاحاً حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - صبر على طاعة الله من صوم وحج وصلاة وإسباغ وضوء وغيرها.
٢ - صبر عن معاصي الله كالصبر عن المحرمات كالزنى وشرب الخمر وغيرها من المحرمات.
٣ - صبر على أقدار الله المؤلمة كالمصائب في الأهل والمال وسائر الأمراض.

المفردات :

قوله ومن يؤمن بالله أي يسلم لقضاء الله وقدره ويعتقد أنها مقدرة بإذن الله يهد قلبه عوضه عما فاته من الدنيا نوراً في قلبه وهدى في بصيرته والله بكل شيء عليم أي هو صادر عن علم الله وحكمته وإرادته. قوله قال علقمة تابعي جليل من أصحاب عبد الله بن مسعود. قوله هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وهذا تفسير من علقمة للآية وهو أحد أفراد الصبر من القسم الثالث.

المعنى الإجمالي :

أن الله سبحانه ذكر أن ما أصاب من مصيبة لا في الأرض ولا في السماء إلا بإذنه وقضائه وقدره فمن سلم أمره لله هداه ووفقه وأنار له بصيرته وعوضه خيراً في العاجل والآجل لأن الصبر ثوابه الجنة وحث على الصبر القرآن والسنة والعلماء الأعلام -- قال الإمام أحمد عددت آيات الصبر فوجدتها في تسعين موضعاً من القرآن. وقال عمر وجدنا خير عيشنا بالصبر فإذا كان هذا منزلة الصبر في الإسلام ومكانته من الايمان فهو منه ونقصه نقص في الإيمان ونقص في التوحيد فكلما قوي صبر العبد قوى إيمانه وقوي توكله، وكلما ضعف ضعف إيمانه بقدر ضعفه والله الموفق.

ما تفيد الآيات :

١ - الصبر من الايمان فمن نقص صبره نقص إيمانه.
٢ - أمر الله ورسوله بالصبر وحث عليه السلف من الصحابة والعلماء الربّانيين.
٣ - الصبر على المصائب وغيرها دليل على هداية القلوب.
٤ - الصبر مراتبه ثلاث وقد ذكرناها وقد يعده بعضهم إلى أكثر من ذلك.
٥ - الصبر ثوابه الجنة.

قوله في صحيح مسلم اثنتان في الناس هما بهم كفر.

المعنى : خصلتان أو خلتان هما بهم كفر أي كفر دون كفر وليس المراد المخرج من الملة وقوله الطعن في النسب السب والعيب كقولهم فلان ليس من بني فلان. قوله النياحة على الميت هي الندب بذكر تعداد محاسن الميت. وقوله ليس منا من ضرب الخدود فيه زجر عن ارتكاب مثل هذا العمل من ضرب الخد أو نتف الشعر وكذلك شق الجيب وهو ما يدخل الرأس وهو شقه عند المصيبة ودعا بدعاء الجاهلية كقولهم واعضداه واناصراه وما أشبه ذلك.

المعنى الإجمالي :

غلظ الشارع في أمر هذه الخصال التي يرتكبها كثير من الجهال وهو الصراخ والعويل بذكر تعداد محاسن الميت كقولهم واهدم بيتاه وا سيداه وما شاكل ذلك مما يخرج الإنسان عن الصبر واحتساب ميته عند ربه ليدخر له ثواب الصابرين والصبر عند الصدمة الأولى وهو أول ما يصاب العبد وليس من ذلك البكاء ولا الحزن لأنه رويّ أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ولده إبراهيم، فبكى عليه وقال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن من طعن في نسب غيره وتنقصه أو قال هذا ليس من بني فلان أنه من الكبائر بل من الكفر الذي لا يخرج من الملة ومن ضرب خده وشق جيبه على ميته فهو عمل جاهلي مذموم حذر منه صلى الله عليه وسلم وزجر على ذلك أعظم الزجر بقوله ليس منا من ضرب الخدود إلى آخره.

ما يستفاد من الحديثين :

١ - ان الطعن في نسب الرجل وعيبه من الكفر الذي لا ينقل عن الملة فدل على ضعف ونقص إيمانه.

٢ - النياحة وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور من أعمال الجاهلية المذمومة قوله في الحديث إذا أراد الله بعبد الخير الحديث.

المفردات :

قوله إذا أراد الله بعبده الخير. الخير ضد الشر والمراد به الابتلاء والامتحان ليثاب على ذلك أعظم الثواب وإذا أراد بعبده الشر أي في الآخرة أمسك عنه بذنبه فلا تصيبه مصيبة يثاب عليها ثواب الصابرين حتى يوافي به يوم القيامة فتكون ذنوبه وافرة فيعذب عليها ان عظم الجزاء بالكسر والفتح أعظم ثواباً عند الله مع عظم البلاء فكلما كثرت المحن والمصائب ازداد بذلك ثواباً.

المعنى الإجمالي :

في هذه الآثار والأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم تنبيه للإنسان على أن ما يصيبه في هذه

أقدار من ابتلاء الله وامتحانه لعباده فمن صبر واحتسب وجد الثواب أوفر ما كان بخلاف من ينعم في هذه الحياة ولا يصاب بمصيبة وإن أصابته محنة أو فتنة جزع وربما جرت إلى معصية فهذا في حقه المصيبة نقمة وأما الصابر المحتسب فهي بحقه نعمة لأنه يصبر فيثاب وربما شكر وربما كان سبباً لأعمال صالحة أخرى فيحصل له أجور متعددة جعلنا الله من المعافين من الابتلاء المغفور لنا ما عملنا من الإجتراء وأثابنا ثواب الشاكرين ووفقنا لعمل عباد الله الصالحين وصلى الله على محمد النبي الأمين.

ما يستفاد من هذه الآثار:

١ - أن الله يصيب العبد بمصيبة تكون سبباً للثواب وغفران الذنوب.

٢ - أن الله ينعم ببعض النعم على عبد فيشكر الله فيثاب عليه.

٣ - أن الله ينعم ببعض النعم على عبد فيكفر فتكون نقمة عليه.

٤ - يرتكب العبد الذنب فلا يصاب بمصيبة ويمهل فيغلظ له العقاب في الآخرة.

٥ - كلما عظم الابتلاء للعبد عظم الجزاء والحسنات في الآخرة.

٦ - اثبات صفة المحبة لله خلافاً لمن أنكره أو أوله.

أسئلة:

١ - ما مناسبة باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله لكتاب التوحيد، ثم عرف الصبر وقسمه واشرح الآية ومن يؤمن بالله يهد قلبه. المفردات والشرح الإجمالي والاستنباطات لآيات الصبر من القرآن مع ذكر ما تفيده الآية من أحكام.

٢ - بيّن المفردات الآتية: اثنتان هما بهم كفر. الطعن في النسب. النياحة مع شرحها إجمالياً وما تفيده من أحكام ثم اشرح حديث أنس إذا أراد الله بعبده الخير إلى آخره والذي بعده وما يفيدان من أحكام.

❊ ❊ ❊

« م » باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم إله واحد، الآية.

وعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه، رواه مسلم. وعن أبي سعيد مرفوعاً ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه أحمد.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف.

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.

الرابعة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء

السادسة : أنه فسر ذلك أن المرء يصلي لله لكن يزينها لما يرى من نسر رجل.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الرياء يعمل لأجل الناس ومراءاتهم ومدحهم وثنائهم والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه وكل عمل لا يخلص لله فيه فهو نوع شرك ولذا ناسب المصنف أن يذكر الرياء في كتاب التوحيد لأنه عمل لغير الله فهو ضد التوحيد.

المفردات :

الرياء مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة بقصد رؤية الناس والفرق بين الرياء والسمعة فالرياء لما يرى كالصلاة والسمعة لما يسمع كالقراءة والتذكير والوعظ وما شابه ذلك. قوله قل إنما أنا بشر : أي قل يا محمد وإنما أداة حصر بشر مثلكم أي من جنس البشر يوحى إلي. فضل بالوحي والرسالة على سائر البشر إنما إلهكم إله واحد، فهو واحد في ذاته وفي صفاته وأسمائه فلا يجوز أن يشرك معه في العبادة أحد لا رياء ولا سمعة فمن كان يرجو لقاء ربه : أي يوم القيامة. قوله فليعمل عملاً صالحاً : أي خالصاً لله لا رياء فيه ولا سمعة صواباً على سنة رسول الله.

المعنى الإجمالي :

أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس ويعلمهم أنه بشر من جنس البشر يأكل ويشرب وينكح ويجوز عليه ما يجوز عليهم من المباحات والشرائع وإنما فضل بالرسالة والوحي وقد هذّبه ربه جل وعلا وميزه عن سائر البشر لكنه يصيبه ما يصيب البشر من الآفات والأمراض وعدم علم الغيب فلا يستحق أن يشرك مع الله في العبادة وغيره من باب أولى سواء كانوا صالحين أو غير صالحين بل طاعة الرسول في العمل بما جاء به وينبغي للعبد أن يخلص عمله لله فلا يرائي المخلوقين ولا يسمع في عبادة رب العالمين بل مجرد العمل لله وعلى شريعة رسول الله.

ما يستفاد من الآيات الكريمة :

١ - الاخبار بأن محمداً من جملة البشر وأنه يصيبه ما يصيب البشر.

٢ - تفضيل الرسول بالرسالة والوحي وطاعته باتباع شريعته.

٣ - أن الله واحد أحد فرد صمد.

٤ - الأمر باخلاص العمل لله وتجريد المتابعة لرسول الله.

٥ - الفرق بين الرياء والسمعة فالرياء لما يرى كالصلاة والسمعة لما يسمع كالقراءة.

قوله في حديث أبي هريرة أنا أغنى الشركاء عن الشرك. الشركاء: جمع شريك، فالشرك مأخوذ من شرك وأشرك والمشارك فالله غني عن المشارك في العبادة. من عمل عملاً ولو كان ظاهره لله وأشرك معي فيه غيري من المخلوقين كالرياء وهو من الشرك الأصغر أو دعا الأصنام وهو من الشرك الأكبر.

قوله تركته وشركه لأنه لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه. قوله ألا أخبركم أي أنبئكم وأحدثكم. بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال وأنه يخاف فتنة المسيح على أمته والمسيح الدجال سمي مسيحاً لأنه يمسح الأرض أو لأن عينه اليمنى ممسوحة. قالوا بلى. جواب أي بل أخبرنا. قال الشرك الخفي. سماه خفياً لأنه يخفى على الناس فلا تظهر حقيقته إلا لله. ثم بين أنه الرجل يقوم فيصلي ويزين صلاته لما يرى من نظر رجل أي يحسنها ويأتي بها تامة في الظاهر وليس له قصد إلا رياء الناس.

المعنى الإجمالي:

الحديث الأول أثر قدسي عن الله سبحانه أنه غني عن الأعمال التي داخلها الرياء والسمعة فالله لا ينظر إليه بل يقول إذهبوا إلى ما كنتم تراءون في الدنيا فاطلبوا ثواب أعمالكم منهم فإذا عمل إنسان عملاً ورأى فيه أو سمع فهو لا يثاب عليه وثوابه هو المراءات ومدح الناس وثناؤهم عليه والله غني عنه وقد لا يحصل لهم المديح ولا الثواب فما تخوف صلى الله عليه وسلم على أمته فتنة الأعمال الشركية في السر ومراءات الناس بها جهراً وهي أخوف من فتنة المسيح الدجال الذي يفتن الناس عن دينهم لأن فتنة الشرك الخفي أعظم خطراً على الأمة لإبطالها للأعمال مع تعب العبد ولا جزاء له سوى مدحه من نظر إليه ونشر ذلك بين الناس وهذا ما يقصده العامل سلمنا الله من الرياء قليله وكثيره.

ما يستفاد من الحديثين:

١ - العمل إذا كان قد دخله الرياء لا ينظر الله إليه ولا ثواب لذلك إلا ما قيل عنه ثم الرياء على أحوال:

(أ) أن يكون الباعث للعمل هو الرياء والسمعة فهذا باطل من أصله.

(ب) أن يطرأ عليه الرياء ثم يدفعه فهذا لا يضره إن شاء الله.

(ج) أن يطرأ الرياء ثم يسترسل معه فهذا يبطل العمل كالأول.

٢ - أن الدجال ذو فتنة عمياء يفتن الناس عن دينهم.

٣ – خاف الرسول على أمته من فتنة الشرك الخفي الرياء أعظم مما خافه من فتنة الدجال.

أسئلة :

١ – ما مناسبة الباب لما قبله والتفريق بين الرياء والسمعة ، بيّن المفردات الآتية : قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيّن أحكامها ؟

٢ – اشرح الحديث أنا أغنى الشركاء عن الشرك إلى آخره وحديث ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم إلى آخره وما يفيدان من أحكام.

* * *

« م » **«قوله» باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا وقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، الآيتين.**

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان أعطي رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع.

فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة :

الثانية : تفسير آية هود.

الثالثة : تسمية الإنسان والمسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطي رضي وان لم يعط سخط . قوله تعس وانتكس.

السادسة : قوله وإذا شيك فلا انتقش.

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

« ش » **المناسبة** : لما ذكر المصنف الرياء الذي هو من الشرك ناسب أن يذكر بعده ما يقصد به الدنيا خالصة ولما كان الجامع بينهما أنهما يقصد بهما غير الله والعمل ظاهره لله من الأعمال الصالحة ناسب أن يذكر بعده وان كان بينهما فرق والفرق بين الرياء وإرادة الدنيا أن المرائي لا يقصد إلا الثناء وتسميع الناس ومدحهم ومريد الدنيا يخطب المناصب والوظائف والعطاء بسبب هذا العمل من تعليم العلم والجهاد وغيرهما.

المفردات :

قوله يريد الحياة الدنيا وزينتها. أي يقصد بعمله ما ينال منها من المأكل والمشرب والمناصب. قوله نوف إليهم. أي نعطيهم بسبب أعمالهم الذي عملوه ما نالوه فيه أي في الدنيا وهم فيها لا يبخسون أي لا ينقصون. حبط ما صنعوا. أي من الأعمال فليس له ثواب وباطل ما كانوا يعملون. بطلانه عند الله عدم إثابة الله لهم.

المعنى الإجمالي :

أخبر سبحانه أن هناك قسماً من الناس يعملون الأعمال التي ظاهرها لله من تعلم علم وجهاد في سبيله وتدريس وما شابه ذلك ولم يقصدوا بذلك إلا ما ينالون من أجور ومرتبات ومناصب وجاه في الدنيا وأعطية في الدواوين وما شابه ذلك ومثل الشارح رحمه الله بمثل من تعلم العلم ليكون إماماً لمسجده أو مدرساً لأهل قريته أنه داخل في ذلك ومثل الشيخ رحمه الله بأن الإنسان يؤدي زكاة ماله أو يحج أو يصلي بقصد تنمية المال وحفظه وحفظ الأهل أو الولد وليس له قصد ونيته في تأدية ما وجب عليه بأصل الشرع أنه ليس إلا ما نوى من هذه الأشياء هذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وأن عمله حابط كما في هذه الآية وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون.

ما يستفاد من الآية :

١ - أن من قصد بعمل صالح كطلب العلم مثلاً والجهاد وقصد ما ينال من الوظيفة وما يعطى لأجل الجهاد أو الحج أو التعليم فليس له من عمله إلا ما تحصل عليه.

٢ - ان كل ما كان ظاهره عمل صالح وقصد به شيء من الأمور الدنيوية أنه حابط.

٣ - أن أهل هذه الأعمال مآلهم النار.

المفردات :

تعس عبد الدينار. بكسر العين أي سقط وهو بمعنى هلك وبمعنى شقي. الدينار وهو مثقال من الذهب مقدار خمسين حبة شعير وخمسي حبة وهو من ضرب بني أمية. الخميصة : كساء خز وصوف معلم. والخميلة ثوب له خمل أو القطيفة. أن أعطي رضي لا يهمه إلا طلب العطاء وان لم يعط سخط لأنه ليس له رغبة فيما عند الله فيطلب الثواب منه. تعس وانتكس أي انقلب على أم رأسه. وإذا شيك فلا انتقش. أي ان أصابته شوكة لم يستطع نقشها وهو دعاء عليه بتعسر أموره. قوله طوبى قيل اسم الجنة وقيل اسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام آخذ بعنان فرسه في سبيل الله فالعنان اسم لجام الفرس. في سبيل الله أي الجهاد والقتال. أشعث رأسه طائر الرأس فلا يستطيع دهنه وتسريحه مغبرة

قدماه أي أصابهما الغبار من كثرة التقلب في مصالح الجيش ان كان في الحراسة أي حراسة الجيش لئلا يهجم عليه أحد كان في الحراسة فهو ملازم لعمله ذلك لا يفارقه وان كان في الساقة أي آخر الجيش وهذا أشق عمل المجاهد. ان استأذن عن الأمراء والقادة والملوك لا يؤذن له لأنه خامل الذكر فلا يؤبه له وان شفع في أحد من القوم لا يشفع. لا تقبل شفاعته.

المعنى الإجمالي للحديث :

الحديث فيه ضرب مثل لمن أراد بعمله الدنيا بأخذ الدنانير والدراهم والثياب والفرش والمراتب وتجده يحرص على الأعمال وان كانت أعمالاً دينية يتوصل بها إلى مقصوده ومطلبه من أمور الدنيا والوظائف والأعطية وغيرها وليس له هم إلا ذلك فإن أعطي شيئاً منها رضي وسارع في عمله وسابق فيه وان لم يعط ولم يفرض له شيء تسخط على القادة والرؤساء والمسؤولين في تلك الأعمال فسماه الرسول بهذا عابد الدينار والدرهم والخميلة والخميصة وأما المثل الثاني فضرب الرسول لمن قصده في عمله نيّة صالحة وعزيمة صادقة فدعا له بالجنة والاستظلال بشجرة طوبى التي مسيرتها مائة عام لأنه جاهد في الله ولأجل الله واظهاراً لدينه ولذا قال الرسول في غير هذا الحديث لما سئل عن المجاهد الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة أي ذلك في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وأخبر هنا أن من صفات المقاتل الصادق أنه أشعث أغبر لا يفرغ لإصلاح نفسه ولا دهن بشرته ولا نظافة جسمه ولا يرفع به القادة والأمراء والكبار رأساً لخمالة ذكره فهو من عباد الله الذين لو أقسم أحدهم على الله لأبرّ الله قسمه وكما في قول الرسول رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبّر الله قسمه.

ما يستفاد من الحديث :

١ - من عمل عملاً صالحاً في الظاهر ولكن لينال مرتبة أو ليوظف فهو يحبط عمله.

٢ - الجهاد في سبيل الله وطلب العلم والحج كلها من أفضل وأجل الأعمال لكن ان قصد غرض دنيوي أحبط عمله وليس له إلا ما نوى.

٣ - أن من قصد من عمله الصالح في الظاهر قد دعا عليه النبي عليه الصلاة والسلام بانتكاس أموره ومقاصده فلا يطلب عملاً لذلك إلا ارتد خائباً لا يستطيع أخذ الشوكة من جسمه تعساً.

٤ - من أخذ جعلاً ليحج أو رزقاً ليجاهد أو ليستعين به على طلب العلم أو التعليم وليس قصده المال فلا يضره ذلك إن شاء الله.

٥ - المجاهد في سبيل الله هو من أخلص عمله الله فلا يبالي بما أصابه في سبيل ذلك من تعب ونصب وشعث ولو لم يلتفت إليه الأمراء والقادة والملوك والرؤساء.

٦ - أن طوبى جعلها الله للمجاهدين في سبيله المخلصين المتقدمة صفتهم.

أسئلـــة :

١ - ما هي مناسبة الباب لما قبله ما هو الفرق بين عمل المرائي وطالب الدنيا بعمله، اشرح المفردات الآتية: يريد الحياة الدنيا وزينتها. نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ثم اشرح الآية شرحاً إجمالياً وبيان أحكامها.

٢ - اشرح المفردات الآتية - تعس عبد الدينار. الدرهم الخميلة. الخميصة. تعس وانتكس وما معنى وإذا شيك فلا تقش وما هي طوبى ولمن أعدها الله وعرف الحراسة والساقة في الجيش وبيّن معنى ان استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيّن ما يؤخذ منه من فوائد.

❋ ❋ ❋

« م » **قوله باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أربابا.**

وقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر وقال أحمد بن حنبل عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - أتدري ما الفتنة لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله الآية. فقلت له إنا لسنا نعبدهم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم (رواه أحمد والترمذي وحسنه).

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور.

الثانية : تفسير آية براءة.

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

« ش » **المناسبة** : لما كانت طاعة العلماء والعباد والملوك وغيرهم في غير شرع الله شرك لأن الله ذكر أن طاعتهم بمنزلة اتخاذهم أرباباً من دون الله ناسب أن يبوب له المصنف في كتاب التوحيد لمنافاته للتوحيد.

المفردات :

قوله يوشك أي يقرب ويسرع أن تنزل عليكم حجارة من السماء فيها عذاب بسبب ترككم قول الرسول إلى غيره . قوله عجبت لقوم عرفوا الاسناد أي سند الحديث إلى النبي والمراد صحة اسناده يذهبون إلى رأي سفيان أي مذهبه وما اختاره وهو سفيان الثوري له مذهب وهو من أزهد أهل زمانه وأورعهم وأعلمهم ويتركون قول النبي إلى قول سفيان وفسر الإمام أحمد الفتنة بأنها الشرك وأما العذاب الأليم فالمراد به الموجع .

المعنى الإجمالي :

لما كان أبو بكر رضي الله عنه وكذا عمر يذهبان إلى القول بأن أفراد الحج أفضل مع أن الرسول عليه السلام أمر أصحابه أن يحلوا من عمرتهم إلا من كان معه الهدي وابن عباس يرى أن المحرم بالعمرة يحل إذا طاف وسعى شاء أم أبى فشدد ابن عباس في ذلك لأنه يقول هذا قول الرسول وقوله هو الحق الذي يجب المصير إليه فلا يلتفت إلى قول أحد أيا كان ومن ترك قول رسول الله إلى قول الرجال فقد دخل تحت طاعة العلماء والأحبار الذين طاعتهم شرك بالله ومن أطاعهم فقد اتخذهم أرباباً كما شدد أحمد في ذلك وأنكر على من أخذ بمذهب سفيان وترك الحديث الصحيح المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه يخاف عليهم الزيغ والفتنة فيهلكون لأنهم يختارون قول هؤلاء مع المعرفة بصحة الحديث فهم تركوه إلى غيره رغبة عنه وكان الإمام أحمد يرى أن من لا يعرف الاسناد لا بأس أن يقلد الرجال العلماء وهذا ما اختاره أصحابه وقد كان السلف الصالح من الأئمة وغيرهم رحمهم الله يبالغون في رد أقوالهم وعدم الأخذ بها مع وجود حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد عن الإمام الشافعي وغيره من الأئمة من عدم الأخذ بالأقوال مع وجود النص .

ما يستفاد مما تقدم :

١ – تحريم طاعة العلماء والعباد والرهبان بما يخالف نصاً من الكتاب والسنة فقد اتخذهم أرباباً من دون الله .

٢ – وجوب العمل بحديث الرسول وتقديمه على كل قول .

٣ – أن من عمل بأقوال الرجال بل بمذاهب العلماء مع وجود الحديث الصحيح أنه على خوف من الزيغ كما قال أحمد مع التغليظ في الانكار عليه .

٤ – اختلاف العلماء في التقليد :

(أ) أحمد يرى وجوب العمل لأحاديث الرسول الثابتة لمن له ملكة ومعرفة بالصحيح والسقيم والقوي والضعيف والناسخ والمنسوخ واستنباط الأحكام ويرى جواز التقليد لمن لا يستطيع استخراج الأدلة كالعامي وكذا عند عامة العلماء .

(ب) لا يجوز التقليد في أصول الدين عند جماهير العلماء مما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو كان منصوصاً عليه في الكتاب العزيز .

مفردات حديث عدي :

قوله اتخذوا أحبارهم. الحبر بالفتح هو العالم من علماء اليهود والرهبان. هو العابد من عباد النصارى. أرباباً من دون الله أي بسبب طاعتهم لهم لتحليلهم وتحريمهم بغير ما أنزل الله. قوله والمسيح ابن مريم فيه الرد عليهم لأنهم زعموا أنه هو الله. أو ثالث ثلاثة ، أو ابن الله وهذا معنى لا إله إلا الله ثم نزه نفسه سبحانه عن الشرك وما وصفه به أعداؤه.

المعنى الإجمالي :

هذه الآيات الكريمة دلت على أن بعض العلماء والعباد والأمراء وغيرهم في التحليل والتحريم أنها جعلتهم كالآلهة حيث قدموا العمل بما قالوا مع أنهم لم يصلوا لهم ولم يذبحوا ولم يدعوهم من دون الله بل مجرد طاعتهم صيرتهم أرباباً من دون الله وقد أمر تبارك وتعالى أن يعبد وحده دون من سواه فلا يشرك في تحليل ولا تحريم ولا في قليل ولا في كثير مما هو من خصائص الالهية.

ما يستفاد مما تقدم :

١ – تحريم طاعة العلماء والعباد والأمراء في غير طاعة الله ووجوب اخلاص العمل لله والعمل بشريعته.

٢ – أن من أطاعهم في التحليل والتحريم أنه اتخذهم أرباباً من دون الله.

* * *

« م » **باب قول الله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً الآيات.**

وقوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. وقوله لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها. وقوله أفحكم الجاهلية يبغون. وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به. قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة في إسناد صحيح وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت ، ألم تر إلى الذين يزعمون الآية وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله أكذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية : تفسير آية البقرة وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض الآية.

الثالثة : تفسير آية الاعراف ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها.

الرابعة : تفسير أفحكم الجاهلية يبغون.

الخامسة : ما قال الشعبي بسبب نزول الآية الأولى.

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب.

السابعة : قصة عمر مع المنافق.

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان التحاكم إلى الطاغوت من الكفر بالله وكذا الحكم بغير ما أنزل الله ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد مع كفر من حكم بغير ما أنزل الله على التفصيل الآتي :

المفردات :

قوله ألم تر إلى الذين يزعمون. زعم الرجل زعماً قال قولاً كذباً وباطلاً وهذا ذم منه تبارك وتعالى. آمنوا بما أنزل إليه : وهو القرآن وما أنزل من قبلك. المراد به التوراة ويريدون أن يتحاكموا، أي يترافعوا لطلب الحكم بينهم. ومعنى الطاغوت كل ما عبد من دون الله والطاغوت فسره بعضهم في هذه الآية أنه كعب بن الأشرف. قوله وقد أمروا أن يكفروا به لأن الكفر بالطاغوت أحد أركان التوحيد ويريد الشيطان أي ارتكاب حكم الطاغوت من إرادة الشيطان والمراد الشيطان يزينه. قوله يضلهم ضلالاً بعيداً : الضلال ضد الهدى وأكد بالمصدر ووصف بالبعد وقوله تعالوا هلموا وأقبلوا إلى مَا أنزل الله الذي هو القرآن والسنة رأيت المنافقين لعدم رغبتهم فيه يصدون عنك صدوداً يبتعدون عما جئت به من الهدى والنور وقوله لا تفسدوا في الأرض الفساد ضد الصلاح فيدخل في حكم الطاغوت وجميع المعاصي لأن المعاصي سبب الفساد وطاعة الله سبب الصلاح أفحكم الجاهلية، الجاهلية ما قبل الإسلام وكل ما خالف تعاليم الدين فهو من حكم الجاهلية. وقوله يبغون أي يطلبون. ومن أحسن من الله. أي لا أعدل من الله حكماً أي قضاءً.

المعنى الإجمالي :

أخبر تبارك وتعالى في الآية الأولى أن هناك طائفة من الناس آمنوا بالله إيماناً غير مستقر في قلوبهم لضعفه لأنه لو كان مستقراً وثابتاً لما عدلوا عن حكم الله إلى حكم الطاغوت ولكنهم آمنوا زعماً وليس عن حقيقة وأن المؤمن يعرف أن حكم الشريعة الإسلامية سمح عدل ضمن المصالح للمجتمع ولكن آمنوا

بالطاغوت وحكمه وهو على ما قيل رغبة بعض المنافقين بحكم كعب بن الأشرف عن حكم رسول الله على ما يأتي فأخبر تبارك أن هؤلاء هم من جملة المنافقين لأن المنافقين أضر من غيرهم على المسلمين لمعرفتهم بأحوال المسلمين فهم موجودون في كل زمان ومكان يتربصون بالمسلمين الدوائر ،عليهم دائرة السوء ،كما نوه عن طائفة أخرى من هؤلاء أنهم يفسدون في الأرض بالمعاصي والرغبة عن الإسلام وعن حكم الإسلام إلى غيره ومع ذلك إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض لأن المعاصي سبب للفساد والدمار والخراب كما هو معروف ومشاهد وان تعاليم الشريعة والقضاء بها سبب لصلاح المجتمع ورقيه واستقامته ومع هذا يقولون نحن مصلحون مجرد دعوى فما أكثر من يدعي. كما أخبر أن من دعاه رغبة ورهبة كان ذلك سبباً لرحمته التي وعدها عباده الصالحين المصلحين وهي قريبة منهم وهم أحق بها وأهلها.

ما يوخذ من الآيات :

١ – أن من رغب عن حكم الإسلام إلى حكم الطاغوت أنه ليس بمؤمن.
٢ – ان ادعاء الإيمان بالكتاب وما جاء به رسوله لا تنفع قائلها إلا بالعمل بشريعته.
٣ – أن التحاكم إلى غير الله ورسوله أنه من التحاكم إلى الطاغوت.
٤ – أن من فعل ذلك فقد أطاع الشيطان وقد أضله وأبعده عن الحق بالتزيين.
٥ – أن فعل المعاصي سبب للفساد في الأرض وأعظم ذلك التحاكم إلى غير الله.
٦ – أن الدعاء سبب لرفع بعض النقم أو ردها قبل أن تنزل وموجب للرحمة إذا كان خالصاً لله.
٧ – أن كل من رضي بغير حكم الله فقد رضي بحكم الجاهلية.
٨ – أنه لا أحسن ولا أعدل من حكم الله.

قوله في حديث ابن عمر لا يؤمن أحدكم إلى آخر الحديث وحديث الشعبي.

المفردات :

لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل ،ومعنى هواه ، تبعاً لما جئت به. أي ما يهواه وتميل إليه نفسه تبعاً موافقاً لما جاء به الرسول من الشريعة والدين. وقوله فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. الرشوة هو ما يأخذه الحاكم من أحد الخصمين إما لظلم الآخر ، أو لاستخراج حق له بذلك وقد لعن رسول الله الراشي والمرتشي والرائش الوسيط بينهما وهم على حد سواء.

المعنى الإجمالي :

أورد الشيخ رحمه الله هذه الآثار في بيان سبب نزول الآية وأن سببها هذان الرجلان المنافق

واليهودي وأن المنافق رغب عن شريعته إلى شريعة اليهود مع زعمه الإيمان بالقرآن ورغبة اليهودي في احكام الإسلام هي شهادة أعدائه بعدالته وسماحته وأنه ليس فيه جور كما في الأديان الأخرى المحرفة . أما المنافق فلما كان ضعيف الايمان وكان قصده الدنيا فإنه لم يرض بعدالة الإسلام وصد إلى اليهودية والنصرانية فهو لم يكن اتبع ما جاء به الرسول بل تشعبت به الأهواء فانتفى عنه الايمان لأن الرسول أخبر أنه لا يؤمن حتى يكون هواه تابعاً لما جاء به الرسول أما ان كان تابعاً هواه متبعاً غير سنة المصطفى يميل مع الدنيا حيث مالت فهو غير مؤمن ولما وصل الخصمان إلى عمر قتل هذا المنافق المظهر لنفاقه ولم يمنع الرسول من قتل أمثال هؤلاء إلا لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

ما يستفاد مما تقدم :

١ – أن الذي لا يتابع الرسول ويهوى ما جاء به أو يخالفه فليس بمؤمن كامل الإيمان وأما ان أبغض ما جاء به الرسول فهو لا شك منافق أشر من الكافر.

٢ – أن الرشوة معروفة في دين اليهود ويقبلونها في قضائهم.

٣ – الرشوة أخذاً واعطاء ووساطة على التفصيل الآتي حرام :

(أ) من دفعها ليدفع عنه حقاً ليحصل على باطل فهو حرام لا شك فيه لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(ب) اختلفوا فيما إذا كان لاستخراج حق له أو دفع ظلم عنه فيرى شيخ الإسلام جواز فعل ذلك في حق الدافع دون الآخذ والوسيط وبعض العلماء يمنع من ذلك مطلقاً لأن الرسول لعن الراشي والمرتشي والرائش على حد سواء ولأدلة أخرى مثل قوله أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.

٤ – أن من أظهر نفاقاً وتظاهر فيه يجوز قتله كما فعل عمر وكما قتل كعب بن الأشرف.

٥ – أن بعض المنافقين شر على المسلمين من اليهود والنصارى.

أسئلة :

١ – ما مناسبة قول باب قول الله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون الآية في كتاب التوحيد ؟المفردات : ما هو قول الزعم وما هو الذي أنزل على الرسول وما هو الذي أنزل من قبل ؟ما هو الطاغوت ؟ لماذا أمر الناس بالكفر بالطاغوت ؟ ما هو الضلال البعيد ؟ ما معنى تعالوا ؟ ما هو الذي أنزل الله وما معنى يصدون عنك صدوداً ؟ ما هو الفساد في الأرض وما معنى أفحكم الجاهلية. ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً وما فيهما من أحكام.

٢ – ما معنى لا يؤمن أحدكم هواه تبعاً لما جئت به وعرف الرشوة واختلاف العلماء فيها ثم اشرح الأثرين شرحاً مجملاً وبيّن ما فيهما من أحكام.

« م » قوله باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات. وقول الله تعالى - وهو يكفرون بالرحمن ، الآية.

وفي صحيح البخاري قال علي حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وروى عبد الرازق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكاراً لذلك فقال ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه ، انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم وهم يكفرون بالرحمن.

فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية : تفسير آية الرعد.

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة : ذكر العلة أنه يقضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه أهلكه.

« ش » المناسبة : لما كان انكار الصفات وجحدها كفرا بالله ومن أنكر بعضها فهو مبتدع ناسب أن يبوب المصنف لها باباً في كتاب التوحيد لمنافاتها للتوحيد. أما حكم الذي يجحد شيئاً من الأسماء والصفات فهم على أضرب ،منهم من ينكر الأسماء والصفات كالجهمية فانهم يعطلونه عن الأسماء والصفات فلذا كفرهم كثير من أئمة السلف وقال ابن القيم في ذلك :

ولقـــد تقلـــد كفرهم خمسون في عشر من العلمـــاء في البلـــدان
واللالكـــائي الامـــام حكـــاه عنـ ...ـهم بـــل حكـــاه قبلـــه الطبراني

أي كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين وأصل هذا المذهب كما ذكر شيخ الإسلام مأخوذ عن اليهود وأن الجهم بن صفوان أخذه عن الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري في عيد الأضحى وقد أخذ هذا المذهب الجعد عن لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتله خالد بفتوى من علماء زمانه فإنه قال ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فقتله .أما المعتزلة فقد أثبتوا لله الأسماء وأنكروا الصفات وبدعهم أهل السنة في ذلك. والأشاعرة أثبتوا لله الأسماء وأثبتوا لله سبع صفات فقط وهي :

١ - القدرة.

٢ - الإرادة.

٣ — العلم.

٤ — الحياة.

٥ — السمع.

٦ — البصر.

٧ — الكلام.

فكل صفة من هذه الصفات يستدلون عليها بدليل العقل وأما غيرها فينفونها ،وأهل السنة يقولون يمكن الاستدلال عليها بدليل العقل والنقل كما أن مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بجميع ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر الأسماء والصفات فلله سبحانه ذات وصفات وأسماء لا تشبه أحداً من خلقه. فلا تشبيه ولا تمثيل بل على حد قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

المفردات :

قوله وهم يكفرون بالرحمن سبب نزولها أن الرسول في صلح الحديبية كتب باسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة فقال اكتب باسمك اللهم فنزلت وهم يكفرون بالرحمن. فالرحمن اسمه وصفته وقوله في صحيح البخاري إلى آخره.

قوله حدثوا الناس بما يعرفون أي من الأمور الواضحة للعامة من أمر الصفات ،قوله انتفض أي اصابته رعشة ورعدة. مأخوذ من نفضته الحمى. قوله في الصفات هي صفات الباري قوله استنكاراً لذلك أي انه استنكر الحديث لما سمعه. قوله ما فرق هؤلاء فرق الرجل فرقاً أي فزع يجدون رقة أي تلين القلوب بالخوف والوجل. قوله محكمه أي محكمه القرآن مأخوذ من الأحكام وهو ظاهر الحلال والحرام ويهلكون. هلك الرجل هلاكاً والمراد به ميتة السوء المتشابه خلاف الظاهر والذي لا يعرفه إلا الربانيون أو استأثر الله بعلمه.

المعنى الإجمالي :

في هذه الترجمة بيان لجحد كفار قريش اسم الرحمن وكأنه يظهر منها أن الشيخ يستدل على أن من جحد الصفات والأسماء كفر كالجهمية كما ذهب إليه كثير من علماء السنة ،والرحمن اسم للرب سبحانه وصفة وكذلك الرحيم وأهل السنة يعتقدون هذه الصفات وما دلت عليه بدون تأويل لمعناه ولا تكييف بل كما في قوله تعالى :ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .وجميع ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال كما أن الصحابة ومن بعدهم من علماء السلف ينكرون على القصاص الذين يأتون بغرائب من الآثار الواردة في الصفات وغيرها التي يستغربها سامعها وينتفض عند سماعها فأمر علي بأن يحدث الناس عن الله ورسوله بما يعرفونه لئلا تؤل الحال إلى إنكار ذلك أو التشكيك فيحصل بذلك الهلاك لأن

الربانيين في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا أي المحكم والمتشابه ،وهو المذكور في قوله:وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولى الألباب.

ما يستفاد من الباب :

١ – مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال.

٢ – ذهبت الجهمية إلى إنكار الأسماء والصفات فراراً من التشبيه فأكفرهم كثير من علماء السنة وأما المعتزلة فأقرت بالأسماء وأنكرت الصفات فصاروا بذلك أهل بدعة. الأشاعرة أثبتوا لله الأسماء وسبع صفات فقط وتقدم الجواب عن شبهتهم.

٣ – ينبغي أن لا يقص على الناس في المساجد وفي المجتمعات العامة إلا بما يعرفون من أمور ويوجهون إليه مما يلزمهم معرفته ويبتعد بهم عن الإغراب في الأقاصيص وإيراد بعض الآثار التي تشكل عليهم في الصفات.

٤ – اشتمال القرآن على محكم ومتشابه.

٥ – إنكار قريش اسم الرحمن واعتقاد أهل السنة لذلك وغيره من الأسماء والصفات كما في قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه وذروا الذين يلحدون في أسمائه.

أسئلـــة :

١ – ما هي مناسبة باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات للكتاب – اذكر مذهب الجهمية ورأي أهل السنة فيهم ثم اذكر مذهب المعتزلة وحكم أهل السنة فيهموبين مذهب الأشاعرة وما يثبتون من الصفات وماينفقون ورأي أهل السنة واجابتهم عن ذلك.

٢ – ما هو سبب نزول وهم يكفرون بالرحمن هل يدل الرحمن على صفة ومن أي صفات الله.

٣ – ما معنى حدثوا الناس بما يعرفون وما معنى انتفض. ما هي الصفات التي انتفض لما سمعها؟ ما معنى فرق الرجل؟ ما هي الرقة عند المحكم وبين المحكم والمتشابه واشرح الآيات شرحاً مجملاً واذكر الأحكام التي في الباب.

* * *

«م» **قوله باب قول الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، الآية.**

قال مجاهد ما معناه هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي وقال عون بن عبد الله يقولون لولا فلان لم يكن كذا وقال ابن قتيبة يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال أصبح من عبادي مؤمناً بي وكافر الحديث وقد تقدم وهكذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان كفر النعمة منافياً لكما التوحيد الواجب لرب العالمين لأنك تنسب النعمة إلى غير المنعم الذي هو الله فهو كفر دون كفر ناسب ذكره هنا في كتاب التوحيد.

المفردات :

نعمة الله قبل الإسلام وقبل محمد. ثم ينكرونها بالكفر به وعدم اتباعه وجملة ما فسرت به النعمة العلماء أنهم نسبوها إلى آبائهم أو آلهتهم أو مقدرتهم على المضاربة وأكثرهم الكافرون فهم كفروا النعمة ولم يشكروها كما تقدم في تمثيل السلف أما من اعتقد أن الآلهة ترزق أو تنفع أو تضر فهو شرك أكبر كما تقدم في أول الكتاب.

المعنى الإجمالي :

ذكر الله سبحانه وتعالى أن هناك طائفة من الناس يعرفون أن المنعم الحقيقي هو الله لكن يضيفون تلك النعم إلى آبائهم أو آلهتهم أو مقدرتهم على أنواع المضاربة أو يضيفون التجارة إلى بحّارة السفن أو الطيران أو « هدوء الجو وسكون الأمواج وحسن قيادة الملاحين وما شاكل ذلك مما يجدر أن يشكر الله على توفيقه وتيسير الأمور بأنواع الأرزاق والوصول إلى الأماكن ولو شاء الله لما وصلوا إليها ولما تيسرت لهم النعم ولا الشفاء والصحة وزوال المرض كمن يضيف الشفاء إلى حذاقة الطبيب ومهارته ولو علم أن الله هو النافع الشافي لما أضافها إلى الطبيب ولشكر الله على ذلك وهو لا ينافي من لا يشكر الناس لا يشكر الله وسيأتي في باب المكافأة.

ما يستفاد من الباب :

١ - أن من أضاف النعم إلى غير الله وشكره أن هذا من كفر النعمة.

٢ – أن هذا الكفر لا يخرج من الملة مع اعتقاد أن المنعم هو الله.

٣ – أن ذلك جار على ألسن كثير من الناس لإضافة النعم إلى غير الله.

٤ – ان لا فرق بين إضافة شكر النعمة إلى الآباء أو الصحة أو المقدرة إلى الطبيب ومهارته أو سلامة الوصول إلى قائد الطائرة أو قائد السفينة هذا كله من كفر دون كفر.

٥ – اعتقاد أن الآلهة ترزق أو تنفع أو تضر كفر مخرج من الملة.

أسئلة :

١ – عرّف شكر النعمة وما هي النعمة كيف يضيفونها إلى غير الله وما هو الكفر المنسوب إلى من لا يشكر الله. اشرح الآيات التي مرت بك شرحاً إجمالياً مع الاستشهاد بكلام السلف وبيّن ما فيها من أحكام.

***

« م » باب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون. الآية :

قال ابن عباس في الآية الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي وتقول لو لا كليبه هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقوله الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك (رواه ابن أبي حاتم).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم وقال ابن مسعود لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً. وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان (رواه أبو مسعود بسند صحيح)، وجاء عن إبراهيم أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول بالله ثم بك. قال ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية : أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

« ش » **المناسبة** : مناسبة الآية في الباب هنا وقد قدمها في أول الكتاب ليبين الصلة بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ولما كان الشرك الأصغر منافياً لكمال التوحيد وكالعطف والمساواة بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق وكذا الحلف بالله كل هذا مناف لكمال التوحيد ناسب ذكر الآية هنا لأنهم يستدلون فيما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

المفردات :

الأنداد جمع ند وهو أن يتخذ لله نداً في الدعاء أو الرجاء وقوله وأنتم تعلمون أن الله هو الإله المعبود على الحقيقة ويدخل في ذلك الشرك الخفي والأصغر. قال ابن عباس في الآية هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي وتقول لولا كليبه هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك رواه ابن أبي حاتم.

المعنى الإجمالي :

لما تقدم في هذه الترجمة بيان أن السلف يستدلون على الشرك الأصغر فيما نزل في الشرك الأكبر وأن ابن عباس رضي الله عنهما استدل على الشرك الخفي والأصغر في هذه الآية لأنه معلوم أن قول والله وحياتك يا فلان وحياتي ليس من الشرك الأكبر بل من الأصغر ومع هذا استدلّ بالآية عليه وان قوله لولا كليبه هذا لأتانا اللصوص ولولا الله وفلان وما شاء الله وشئت من الأصغر المغلظ فيه والذي يجب إنكاره وأن الشرك الأصغر قد يتحول إلى أكبر ولذا حذروا منه وخافوه على الأمة.

قوله في حديث ابن عمر من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك إلى آخره.

المفردات :

الحلف حلف حلفاً أي أقسم به فالحلف بالله عبادة والحلف بغيره شرك. قوله فقد كفر أو أشرك يحتمل أن أو بمعنى الواو والمعنى فقد كفر وأشرك، **قوله** : لأن أحلف بالله كاذباً فالحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر لأنه أخف من الحلف بغيره لأنه شرك ولو كان صادقاً. قوله ما شاء الله وشاء فلان الواو تقتضي

مطلق الجمع والمعنى أنه ساوى بين مشيئة الله ومشيئة فلان، قوله ما شاء الله ثم شاء فلان، ثم تأتي للترتيب والتراخي فلذا جازماً شاء الله ثم شاء فلان خلافاً للعطف بالواو. قوله يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أعوذ بالله ثم بك وذلك لعلة العطف المتقدم والفرق بين الواو وثم والكراهة هنا للتحريم.

المعنى الإجمالي للآثار:

في هذه الآثار التنبيه على أن الحلف بالله عبادة والحلف بغيره شرك وهو من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد كما أن الحلف بالله مع الكذب كبيرة فهي مغلظ فيها. قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا. فالحلف به مع الكذب أخف بالحلف بغيره مع الصدق لأن ذلك أي الحلف بغيره شرك والشرك أكبر من الكبيرة ولهذا غلظ الشارع في ذلك ونهى عنه وزجر كما أن التشريك بين مشيئتك ومشيئة الله أو أي مخلوق أو العياذ بالله وبمخلوق أو أنا بالله وبك وما شابه ذلك نوع من الشرك لأنك ساويت بين مشيئة المخلوق ومشيئة الخالق، والمخرج من ذلك أن تأتي بدل الواو بثم. فتقول أعوذ بالله ثم بك وهذا في الحي القادر الحاضر أما الأموات والغائبون فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر أما الأول فهو من الشرك الأصغر لا يخرج من الملة إلا أنه ينبغي التغليظ فيه والإنكار على من فعله.

ما يؤخذ من الأحكام مما تقدم:

١ – استدلال السلف فيما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.
٢ – أن الشرك ينقسم إلى أقسام أكبر وأصغر وخفي.
٣ – أن الحلف بالله مع الكذب أخف من الحلف بغيره مع الصدق لأنه شرك.
٤ – ان الشرك الأصغر أكبر من الكبيرة.
٥ – أن المستعيذ بالله إذا عطف بالواو أنه سوى بينه وبين غيره كقوله أعوذ بالله وبك وجواز أعوذ بالله ثم بك.
٦ – أن المستعيذ إذا استعاذ بمخلوق غائب غير قادر على إعانة المستعين أنه شرك أكبر فتنبه للفرق.

أسئلة:

١ – بيّن المناسبة في الآية الكريمة فلا تجعلوا لله أنداداً بكتاب التوحيد واذكر ما شرح ابن عباس الآية به ثم اذكر الفرق بين الواو وثم في العطف في قولك ما شاء الله وشئت أو قولك ما شاء الله ثم شئت

ولأي شيء تأتي الواو ،اذكر استدلال السلف فيما نزل في الشرك الأكبر على الأصغر ثم اذكر الفرق بين الحلف بالله مع الكذب والحلف بغيره مع الصدق.

***

« م » قوله باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله (رواه بن ماجة في سند حسن).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

« ش » المناسبة:

لما كان الحلف بالله يجب أن تحترم وتعظم من الحالف والمحلوف له وأن الاستهانة بذلك مناف لكمال التوحيد ناسب أن يبوب المصنف، لذلك كما أن الحلف بالله عبادة.

المعنى الإجمالي:

الحلف بالله عبادة له سبحانه فينبغي أن يعظم ولا يستهان بالحلف به ويجعل عرضة لمن أراد أن يتكلم فلا يتكلم إلا بالحلف بالله وقد تقدم قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا. ومن أعظم البر عدم الحلف كاذباً فإنه اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار إذا حلف على اقتطاع مال أمرئ مسلم وكما أنه من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم الذي جعل الله بضاعته لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه وأما الحلف بالآباء والأمهات والذمة أو الصلاة أو غيرها فهو نوع شرك وتقدم في الباب قبله فعلى المسلم أن يصدق ويجب على المستحلف أن يرضى ويطلب لأخيه المعاذير، وأن يحسن الظن به كما جاء عن عمر أنه قال ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً كما أخبر الرسول أنه من لم يرض بالحلف ليس من الله وهذا في الخصومات وغيرها لكن في الخصومات إذا لم يكن للمدعي بينة على ما ادعاه حلف المدعي عليه وترك بعد استحلافه وهذا لا يبيح له أن يأكل مال أخيه.

ما أخذ من الباب من أحكام:

١ - تحريم الحلف بالآباء ومثله الأمهات والديانة على الصحيح ومثله الأمانة والصلاة وغيرها

٢ - يجب على الحالف أن لا يكثر الحلف ولو كان صادقاً.

٣- وجوب الصدق في اليمين.

٤ - إذا ادّعى دعوى وليس له بينة ليس له إلا اليمين.

٥ - الحذر من اليمين الغموس وهي الكاذبة لاقتطاع مال امرئ مسلم فتغمس صاحبها في النار.

أسئلة :

١ - ما هي مناسبة ذكر الباب هنا في التوحيد؟ هل يجوز أن يحلف بأبيه وأمه؟ واذكر التغليظ في الذي يكثر الحلف الله. ماذا ينبغي للإنسان أن يحمل أخاه عليه من المعاذير؟

٢ - إشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيّن ما فيه من أحكام.

***

« م » **قوله باب قوله الله تعالى عن قتيلة أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت (رواه النسائي وصححه).**

وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده ولابن ماجة عن الطفيل أخي عاشئة لأمها قال رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير بن الله قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال هل أخبرت بها أحداً قلت نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده.

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود للشرك الأصغر.

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله نداً فكيف بمن قال مالي من ألوذ به سواك والبيتين بعده.

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله يمنعني كذا وكذا.

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.

« ش » المناسبة :

لما كان قول ما شاء الله وشئت فيه نوع مشاركة بالمشيئة بين الخالق والمخلوق وفيه عدم إفراد الله بالمشيئة وفيه من عدم التحقيق للتوحيد ما لا يخفى ناسب ذكره في كتاب التوحيد.

المفردات :

قتيلة : بنت صيفي الأنصارية. قوله ما شاء وشئت، فيه إثبات مشيئة الله وأن العبد له مشيئة وقدرة تابعة لمشيئة الله. لقوله في الحديث قوله ما شاء الله ثم شئت. قوله والكعبة فيه تحريم الحلف بالكعبة وجواز برب الكعبة. قوله نفر من اليهود النفر الجماعة واليهود هم أتباع موسى عليه السلام وهم أهل التوراة والنصارى أتباع عيسى عليه السلام وهم أهل السفر الإنجيل وهاتان الطائفتان قد غيرتاوبدلتا ،قوله فحمد الله وأثنى عليه كما هي عادته في خطبه فإنه يبدأها بحمد الله ويثني على ربه بما هو له أهل. أما بعد :كلمة يؤتي بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب وقيل انها فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام وقيل أن أول من تكلم بها محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سحبان وائل وقيل غير ذلك. قوله رؤيا. الرؤيا هو ما يراه الإنسان في النوم وهو جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة بخلاف الحلم قوله وإنكم قلتم كلمة هو قول الإنسان ما شاء الله وشاء محمد. قوله يمنعني أي من الإنكار عليكم كذا وكذا قيل انه قال الحياء بل قولوا ما شاء الله وحده فالمشيئة لله دون ما سواه.

المعنى الإجمالي :

هذا الباب عقده المصنف ليبين أن مجرد القول والعطف بالواو وقولك ما شاء الله وشئت انك ساويت بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق فلذا منع من ذلك وكذا الحلف بغير الله وأن في هذا تشريكاً بين الله وبين خلقه بالمشيئة أو الحلف وأن اليهود والنصارى تعرف هذا وأن كثيراً ممن يعرف الحق لا يعمل به وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وأخبر أنه حق وأنه قبل الحق من اليهود وأن اليهود تعرف مثل ذلك وترتكب أبشع منه وهو ادعائها أن عزيرا ابن الله وكذا ادعاء النصارى أن المسيح ابن الله والحلف بغير الله داخل في الشرك مناف لكمال التوحيد فيجب الإنكار والتغليظ على من فعله فقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده لأنه هو الذي يستحق أن يعبد ويوحد وتخلص له العبادة دون ما سواه فنبه المصنف رحمه الله على ذلك.

ما يستفاد من الباب :

١ – تحريم قول ما شاء الله وشاء فلان ومثله ما شاء الله وشاء محمد.

٢ – تحريم الحلف بالكعبة وجواز الحلف برب الكعبة.

٣ – أن اليهود والنصارى تعرف الحق وتخالفه وترتكب أبشع منه.

٤ – قبول الحق ممن جاء به.

٥ – أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة.

٦ – لا يجوز العمل بالرؤيا في تحليل وتحريم بعد موت الرسول.

٧ – أن الرسول جعل هذه الرؤيا شرعاً وكررها.

٨ – أن الرسول يتحين أصحابه بالموعظة والنصيحة ولربما أخرهما إلى وقت مناسبتهما كما في حديث طفيل.

أسئلة :

١ – أذكر مناسبة الباب هنا؟ هل قول ما شاء الله وشئت من الشرك ومن أي أنواعه؟

٢ – اذكر حديث الطفيل هل يقبل الحق من كل أحد؟ اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيّن ما فيهما من الفوائد.

***

« م » **قوله باب من سب الدهر فقد آذى الله.**

وقول الله تعالى وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر الآية. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار وفي رواية لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر.

الثانية : تسميته أذى لله.

الثالثة : التأمل في قوله فإن الله هو الدهر.

الرابعة : أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصد بقلبه.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان سب الدهر **منافياً** للتوحيد لأنه مسبة لله ومن سبه فقد آذى الله ناسب أن يذكره المصنف هنا.

المفردات :

ما هي إلا حياتنا الدنيا. الحياة ضد الموت. قوله نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. فيقولون ما ثم

إلا هذه الدار يموت قوم ويحيا آخرون ولا ثم معاد ولا قيامة ولا حشر ولا نشر ولا حساب ولا عقاب وما لهم بذلك من علم. أي ما هو إلا مجرد ظن وتخرص ان هم إلا يظنون أي يتخرصون. قوله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وجه أذيته لله في مسبة الدهر لأن المتصرف هو الله سبحانه لهذا الدهر ومعنى أنا الدهر أي أقلبه بذهاب هذا ومجيء هذا والتدبير الذي يقع فيهما.

المعنى الإجمالي :

أخبر الله سبحانه أن هناك طائفة من الناس يسبون الدهر ويضيفون القوارع إليه والنكبات إلى الدهر. قالوا أصابتهم قوارع الدهر فبين سبحانه أن المتصرف في الدهر هو الله سبحانه وأن هؤلاء دهرية لأنهم يعتقدون أن الدهر هو الذي يصرف الأمور وأنه لا بعث ولا حياة أخرى ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب وأن هذا الكون يجري بحكم الطبيعة كما يقوله بعض المعاصرين ويقول الآخر من المتفلسفة أن الحوادث تنبعث من الأطلس التاسع وهذا مخالف للقول الأول وقد أحسن أبو حنيفة رحمه الله لما ناظر أمثال هؤلاء قال هناك سفينة واحدة تستطيع ان تحمل بنفسها وتسير في البحر بنفسها وتمخر عبابه وترسى على الساحل الآخر وتفرغ حمولتها بنفسها فقالوا لا يمكن هذا وهل يقول هذا عاقل. فقال هل يمكن للكون العظيم الخضم المترامي الأطراف أن يسير بنفسه مع أن سفينة واحدة لا تستطيع ذلك. عند ذلك انقطعوا وهذا معنى ما ذكر عنه ونسب إلى غيره أيضاً ولو تأمل الطبيعيون والمنكرون للمعاد الإحكام الدقيق ومجرى الأمور بحكمة دقيقة وتدبير محكم لعلموا أن للأمور مدبراً قاهراً يدير الأمور حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم بيده القسط يخفض ويرفع ويعز ويذل. وقد اعترف بعض مفكرين من المنكرين للرب بوجود قوة مهيمنة فوق هذا الكون عندما ارتفعوا في الفضاء وهذا بعد وجود المخترعات الحديثة ونظرهم إلى بعض سعة هذا الكون فعلموا ان له مدبراً وان هذه لا تجري إلا بقدرة مقدر محكم وليس الغرض إلا الاستشهاد بكلامهم فقد نقله بعض الكتاب عنهم فمدبر الدهر وما فيه من رزق وفقر وحياة وموت وعز وذل وخصب وجدب هو رب الدهر ورب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه.

ما يستفاد من الباب :

١ – ان مسبة الدهر اذية لله ومسبة.

٢ – ان وجه تسمية ان الله هو الدهر لتصريفه الامور.

٣ – لا يجوز ان يسمى الله باسم الدهر.

٤ – مذهب الدهريين الفلاسفة :

(أ) الالهيون ينكرون المبدأ والرجعة.

(ب) الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون ان في كل ستة وثلاثين الف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا ان هذا يتكرر مرات إلى ما لا نهاية وكلا القولين معلوم الفساد بدليل العقل والنقل والفطرة السليمة.

اسئلة :

١ – ما مناسبة باب من سب الدهر فقد آذى الله هنا.

٢ – لماذا كان مسبة الدهر مسبة لله مع شرح الآية الكريمة.

٣ – إشرح حديث الباب لا تسبوا الدهر إلى اخر الحديث ثم اذكر إجابة ابي حنيفة للدهرية؟ وتكلم عن ما تعرفه عن إحكام الله لهذا الكون ثم قسم الدهرية واذكر الأحكام التي في الباب.

* * *

« م » **قوله باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه** :

في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ان اخنع اسم عند الله رجلا تسمَّى ملك الاملاك لا مالك إلا الله قال سفيان مثل شاهنشاه وفي رواية اغلظ رجل على الله يوم القيامة واخبثه قوله أخنع يعني اوضع.

فيه مسائل :

الاولى : النهي عن التسمي بملك الاملاك.

الثانية : ان ما في معناه مثله كما قال سفيان.

الثالثة : التفطن بالتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بان القلب لم يقصد معناه.

الرابعة : التفطن ان هذا لأجل الله سبحانه.

« ش » **المناسبة** : لما كان الذي يستحق هذا الاسم على الحقيقة هو الله وكان التسمي به ينافي كمال التوحيد وفيه عدم التأدب مع جانب الربوبية ناسب ان يعقد له بابا.

المفردات :

قوله اخنع : بمعنى وضيع حقير، **أغيظ**، من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض.

المعنى الإجمالي :

بين الشيخ رحمه الله في هذا الباب ان التسمي بالاسماء والالقاب التي يستحقها رب العالمين فهي منهي عنها محرمة لمنازعة الرب شيئا مما اختص به فناسب ان يترجم لها بقاضي القضاة قياسا على ملك الاملاك وسلطان السلاطين وألحق بعضهم صاحب الجلالة وما شابه ذلك مما يجري على الالسنة من الالقاب التي فيها نوع من عدم التأدب مع جانب الربوبية فالمعنى انها تنافي إخلاص التوحيد وتصفيته من

شوائب الشرك المنهي عنه الذي يجب إنكاره تادبا مع جانب الربوبية ولذا يروى عن بعض العلماء منعهم من تلقيبهم لبعض الالقاب مثل محيي السنة ولذا يروي عن النووي انه يحرج على من لقبه بهذا اللقب.

ما يؤخذ من الباب :

١ – النهي عن منازعة الله في اسمائه او صفاته او سلطانه.

٢ – ان الله يبغض ويمقت يوم القيامة من تسمى بمثل قاضي القضاة ملك الاملاك سلطان السلاطين وما شابه ذلك.

٣ – إثبات البغض ومثله الغضب والرضا لله على ما يليق بجلاله وكبريائه.

اسئلة :

لماذا بوب الشيخ لهذا الباب في كتاب التوحيد وهو التسمي بقاضي القضاة ثم اشرح المفردات الاتية : اخنع. اغيظ. واشرح الحديث مجملا وبين ما فيه من احكام واذكر امثلة مما هو داخل في المنع مما تقدم ؟

* * *

« م » قوله باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك :

عن أبي شريح انه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم قال ان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما أحسن هذا فمالك من الولد قال شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبرهم قلت شريح قال فأنت أبو شريح رواه أبو داود وغيره.

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه.

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية.

« **ش** » **المناسبة** : لما ذكر الشيخ أن التسمي بقاضي القضاة أنه منازعة للرب فيما هو من خصائصه بالأسماء ناسب أن يذكر بعده أن التسمي بمثل أبي الحكم أن هذا منازعة لله في أسمائه وناسب أن يذكره هنا.

المفردات :

عن أبي شريح أنه يكنى، الكنية ما صدر بأب وأم واللقب ما أشعر بمدح أو ذم كزين العابدين

للمدح والذم كأنف الناقة وقفه . قوله ان الله هو الحكم واليه الحكم . الله هو الحكم في الدنيا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله أي إلى شريعته . وإليه الحكم في الآخرة فيقضي بين عباده . فقال النبي ما أحسن هذا . أي الاصلاح بين الناس ما لم يخالف شرعاً . قال فمالك من الولد . ينبغي الاستفصال عن الأولاد وأسمائهم واسم الأكبر فيلقب فيه كقول النبي أنت أبو شريح .

المعنى الاجمالي :

الحديث الذي ذكره الشيخ أن التسمي بأسماء الله وكذلك صفاته منازعة للرب في أسمائه وعدم احترام أسمائه فلذا أنكر الرسول على أبي الحكم التسمي بهذا الاسم فسماه بأكبر أولاده وهو شريح فيشرع التكني بأكبر الأولاد ولا بأس بالتكني بالبنت كما أن الله سبحانه حكم عدل في الدنيا فله الحكم والأمر وله المرجع في الآخرة فيحكم بين العباد بأعمالهم كما في قوله ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين والاصلاح بين الناس من خير الأعمال إذا لم يكن داخلاً في حكم الطاغوت المنهي عنه أو مخالفاً للشرع عن غير قصد من تحليل الحرام أو تحريم الحلال فالصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً وكما في قولهتعالى :لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس مع اشتراط رضا المتخاصمين فإنه ذكر للرسول أنه يرضى كلا الفريقين فاستحسنه النبي صلى الله عليه وسلم وأقره على ذلك .

ما يؤخذ من الباب من أحكام :

١ - لا يجوز منازعة الرب في اسمائه أو صفاته والتسمي بها .

٢ - من تسمى بشيء من ذلك يجب تغييره .

٣ - أن الحكَم من أسمائه تعالى .

٤ - أن الله هو الحاكم في الدنيا بما جاء في شريعته التي جاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم وإليه ترجع الخلائق يوم القيامة فيحكم بينها بماقدمت من خير أو شر .

اسئلة :

١ - اذكر الاصلاح بين الناس متكلماً عليه على ما مر بك في حديث أبي شريح لماذا أنكر عليه النبي التسمي بأبي الحكم . عرف اللقب والكنية والاسم وهل يجوز التكني بالبنت ومن الأولى بالتكني به من الأولاد ثم اشرح ما مر بك من الباب وبيان أحكامه .

***

« م » **قوله باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول وقول الله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب . الآية .**

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحجارة تنكب رجليه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ما يلتفت إليه وما يزيده عليه .

فيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ورسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل .

« ش » **المناسبة** : لما كان منازعة الأسماء لله والتسمي بها لا يجوز كان من استهان بهذه الأسماء واستهزأ بها يكفر إلا أن الأول أخف من الثاني وذكرها المصنف لأنها داخلة في الكفر .

المفردات :

قوله عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة إلى آخر الحديث قوله نخوض ونلعب الخوض واللعب في الحديث بقصد قطع الطريق ويزيد اللعب بالمزاح قوله أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون أي قصدكم السخرية والتهكم لا تعتذروا بمقالتكم هذه قد كفرتم بعد ايمان دل على أنهم قبل ذلك كانوا مؤمنين . قوله دخل حديث بعضهم ببعض أي أن الحديث مجموع من رواياتهم . قوله قرائنا جمع قارئ وهم عند السلف من يقرأ القرآن ويعرف معانيه ويعمل أيضاً وأما بدون ذلك فلا يسمى قارئاً . قوله أرغب بطونا أي أوسع والرغبة والراغب الواسع يقال رغب جوف فلان فهم يصفونهم بسعة البطون وأجبن عند اللقاء أي لقاء العدو فيصيبهم الخوف والجبن والذعر . قوله كذبت ولكنك منافق فيه دليل الانكار والمنافق هو الزنديق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر . قوله فوجد القرآن قد سبقه أي بالنزول على

النبي والإخبار بأحوالهم . الركب كصحب . ركبان الابل اسم جمع على خلاف الأصل وقد يكون للخيل . قوله متعلقاً بنسعة . النسعة بكسر النون وسكون المهملة سير مظفور تنكب رجليه . بمعنى تضرب رجليه وتلطمهما . ما يلتلفت اليه أي إلى ذلك الرجل المنافق المتعلق ولا يزيده عليه . أي قول أبا لله وآياته . قوله أن نعفو عن طائفة قيل إنه وحشي بن حمير سماه الله طائفة لتوبته الصادقة . نعذب طائفة أي باقي المنافقين .

المعنى الإجمالي :

في سياق هذه الآية الكريمة بيان لحال المنافقين الذين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه ويخرجون لمحاربة المشركين وهم مع ذلك منافقون يتفوهون بهذه المقالة مع بشاعتها واعتقادهم صدق النبي ويرمونه بالجبن والخور تارة لكثرة الأكل وسعة البطن أخرى اعلاناً لما تنطوي عليه قلوبهم الخبيثة المملوءة بالضغائن لرسول الله وأصحابه الكرام مع أن بعضهم لم يكونوا كفارا قبل ذلك ولما تكلموا بهذه المقالة سماهم الله كافرين . قد كان كثير من المنافقين يخرج مع الرسول وهو يتربص الدوائر برسول الله وأصحابه وربما تواطئوا على الفتك برسول الله وتثبيط المسلمين وبثوا في قلوبهم الخور والجبن كما في قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ،أي مطيعون فاذا كان ذلك على عهد رسول الله فما بعده أعظم وكان القرآن ينزل ويخبر بأخبارهم وقد تاب الله على طائفة منهم وهو وحشي بن حمير الذي قال وددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا نفلت ولم ينزل فينا قرآن لمقالتهم هذه فتاب فقبل الله توبته ودعا الله أن يقتل شهيداً ولا يشهد أحد على جنازته وقتل يوم اليمامة ولم يشهد له على جنازة وقد قال يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي ويعلم منه أن من استهزأ بالكتاب أو السنة أو الرسول أو الصحابة أو حملة الشريعة استخفافاً أنه يكفر بهذه الآية ولأن العلماء ورثة الأنبياء .

ما يستفاد من الباب :

١ – غلظ ذنب من استخف بكلام الله أو القرآن أو الرسول .

٢ – ان الاستهزاء والسخرية بالقرآن أو الرسول أو الصحابة ولو عن غير قصد إما لتضحيك القوم أو شبه ذلك أنه يكفر .

٣ – عظم ذنب من استخف واستهزأ بحملة الشريعة من العلماء والمصلحين الذين ينيرون للناس طريق الهدى والخير .

٤ – أنه قبل هذه المقالة كانوا مؤمنين لقوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم .

٥ – إن الله تاب على طائفة منهم قيل انه رجل واحد المتقدم اسمه .

٦ – إن الاعتذار بعد قول هذه المقالة لا ينفع ولذا قال العلماء من سب الله أو رسوله لا تقبل توبته ظاهراً ويقتل بكل حال .

٧ – خوف الصحابة رضي الله عنهم من النفاق وكذا سادة القوم .

أسئلة :

١ – ما مناسبة ذكر المصنف للباب أبالله وآياته الآية بين المفردات الآتية : نخوض . نلعب . كنتم تستهزئون . معنى قرائنا وما معنى أرغب بطونا وأجبن عند الله قوله كذبت ولكنك منافق ومعنى الركب وما معنى متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله قوله تنكب رجليه . وما معنى قوله أن نعفو عن طائفة ! من هي الطائفة ؟ قوله نعذب طائفة .

٢ – إشرح ما تقدم معاني واجمالاً ثم اشرح الحديث وبيّن أحكامه .

***

« م » باب قول الله تعالى – ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي » . الآية .

قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي وقوله انما أوتيته على علم عندي . قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون على علم من الله أني له أهل وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكاً فأتى الأبرص وقال أي شيء أحب اليك . قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً قال فأي المال أحب اليك قال الأبل أو البقر شك اسحق فأعطي ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع وقال أي شيء أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً فقال أي المال أحب اليك قال البقر أو الأبل فأعطي بقرة حاملة . قال بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى . فقال أي شيء أحب اليك قال أن يرد الله اليّ بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله بصره . قال فأي المال أحب اليك . قال الغنم . فأعطي شاة والدا . فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الأبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم . قال ثم انه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري فقال الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله المال فقال انما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال ان كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . قال وأتى الأعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك

بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى ليقولن هذا لي .

الثالثة : ما معنى قوله إنما أوتيته على علم .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العظة .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان كفران النعمة منافياً لكمال التوحيد ناسب أن يذكره المصنف لأن الشكر من العباده وكفران ذلك ضدها .

المفردات :

قوله أذقناه رحمة أي ألبسناه عافية وصحة ورزقاً قال هذا لي كما جاء في تفسير السلف . هذا بعملي وأنا حقيق بذلك ولم يضف النعم إلى المنعم وهو الله فكفر ولم يشكر وعبارات السلف تدور على معنى كفران النعمة وعدم شكر المنعم وقوله قال إنما أوتيته على علم هذا في سياق قصة قارون .

قوله على علم أي أني خبير وعالم بطريق المماكسة والبيع والشراء قال بل هي فتنة أي إنما أصابته هذه الدنيا استدراجاً واختباراً لتعلم حاله هل يكفر أم يشكر .

المعنى الإجمالي :

أخبر الباري تبارك وتعالى أنه إذا أنعم على عبد بأنواع الصحة والأرزاق والنعم المختلفة أنكر نسبتها إلى ربه ولم يعد بالشكر لله بل نسبها إلى نفسه اما بأحسانه البيع والشراء والأخذ والاعطاء ووجوه المضاربة ولو كان شاكراً لأضاف النعم إلى المنعم الحقيقي وشكره على ذلك وكثيراً ما يختال العبد ويتكبر ويتجبر وينسب النعمة إما لنفسه أو لطبيب أو قائد مما يجري الله على يده بعض النعم أو يضيفها إلى الوزير أو الأمير أو السلطان مع أن هذا الوزير أو الطبيب أو الأمير والسلطان سبب من أسباب النعم يجري الله على يد بعضهم شيئاً منها ولا ينافي إذا شكرت ربك ونسبت النعمة إليه أن تشكر هذا المخلوق الذي هو سبب بالدعاء لكن يجب أن تضاف النعمة إلى المنعم الحقيقي الذي هو الله ولا تصرف إلى غيره بالشكر أو غير ذلك .

ما يستفاد من الآية :

١ – إن قارون لما أنعم الله عليه كفرها ولم يؤد زكاة ماله .

٢ – أن بعض النعم تكون استدراجاً وسبباً لهلاك صاحبها كما جرى للأقرع والأبرص .

٣ – أن الذي يقول هذا مالي ورثته عن آبائي لم يشكر النعمة .

٤ – أن الله يبتلي بالنعم ليختبر حاله أيشكر أم يكفر .

حديث أبي هريرة في قصة الثلاثة – الحديث :

المفردات :

العشراء : الناقة الحامل . أنتج : بمعنى تولى نتاجها والناتج للناقة بمعنى القابلة للمرأة ،ولد هذا ، بالتشديد هو تولي ولادتها والناتج والتوليد بمعنى واحد وكذا القابلة ولكن الأولى الناتج للحيوان والقابلة للمرأة . لا أجهدك أي لا أشق عليك في رد شيء تأخذه قوله قد قذرني الناس به . باستكراه منظره وقربه منهم . انقطعت بي الحبال أي الأسباب .

المعنى الإجمالي :

الحديث يفيد الخوف والحذر من مغبة كفران النعمة وقد امتحن الله هؤلاء الثلاثة بالنعم فكفر اثنان الأقرع والأبرص وأنكروا نعمة الله وشكرها الأعمى . فبعض النعم تكون استدراجاً وابتلاء في حال عدم الشكر وكفران النعمة لأن أصل الشكر الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل له والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها ومن عرفها وعرف المنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر للنعمة المنعم بها فقد كفر ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه ولم يشكره وأما الشاكر فهو الذي عرف النعم وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلأن في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع . انتهى من كلام ابن القيم نقلاً من الشرح .

ما يستفاد مما تقدم :

١ – إن الإنسان يكفر إذا أضاف النعم إلى غير الله من صحة ورزق .

٢ – انكار بعض الناس للنعم وتمنيه على الله الأماني من الجنة والثواب .

٣ – إن الله توعدهم وأغلظ لهم القول بالعذاب الغليظ .

٤ – إن الله إذا أنعم على العبد يجب أن يضيف النعمة إلى الله .

٥ – أن الذي يقول هذا المال ورثته كابراً عن كابر ومثله جداً عن جد وتجارة عن تجارة-فهو كافر .

٦ – إن من شكر النعمة يتحدث بها ظاهراً ويعتقدها باطناً ويصرفها في طاعة الله .

٧ – إن من شكر النعمة وقام بحقها فهي بحقه نعمة خلافاً لمن كفرها .

أسئلة :

١ – إذكر مناسبة الباب في كتاب التوحيد وعرف كفران النعمة في سياق أمثلة من كلام السلف ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً واذكر أحكامها .

٢ – حديث الثلاثة : الأبرص . الأقرع . الأعمى ، بين مفرداته الآتية :

٣ – معنى العشراء . أنتج . فرق بين النتاج والقابلة ، والولادة . ولمن يكون كل واحد ثم عرف الشكر عند السلف والكفر بالنعمة واشرح الحديث شرحاً مجملاً وبيّن ما فيه من أحكام مع بيان معاني ما يأتي : لا أجهدك . قذرني الناس .

* * *

« م » قوله باب قول الله تعالى فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ، الآية .

قال ابن حزم اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب وعن ابن عباس في الآية قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما ابليس فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن يخوفهما ، سمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما رواه بن أبي حاتم وله بسند صحيح عن قتادة قال شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته له بسند صحيح عن مجاهد في قوله لئن آتيتنا صالحاً قال أشفقا أن لا يكون إنساناً وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثالثة : إن هذا الشرك لمجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : إن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

« ش » **المناسبة** : مناسبة الباب لما قبله لأن كفران النعمة من الشرك فتارة يكون شركاً أكبر وتارة يكون شركاً دون شرك ناسب أن يذكر بعده أن التسمية والتعبيد بغير أسماء الله نوع شرك في التسمية ينافي كمال التوحيد فلذا ناسب ذكره هنا في كتاب التوحيد لمنافاته لكماله .

المفردات :

آتاهما : أي آدم وحواء . صالحاً : أي إنساناً سوياً جعلا له شركاء فيما آتاهما : أي في التسمية ، وهذا على القول بأن المقصود آدم وحواء واختيار ابن كثير خلاف ذلك ويرى أن المراد بهم بنو آدم لا آدم وإنماذكر آدم للتوطئة لأن الله قال سبحان الله عما يشركون . أي تنزيها لله . قوله اتفقوا أي العلماء على تحريم كل اسم معبد لغير الله ولو بمجرد التسمية لأنه شرك في الربوبية . كعبد عمر وعبد الكعبة حاشى عبد المطلب لأن هذا الاسم مأخوذ من عبودية الرق لأنه قدم به أبوه وهو متغير اللون فقالوا هذا عبد المطلب لأنه ليس من التعبيد لغير الله .

المعنى الإجمالي :

ذكر الله سبحانه وتعالى أن هناك طائفة من الناس قد هوّدت أبناءها ونصرتها أو مجّستها وصرفتها عن التوحيد إلى ملل شتى على اختيار بن جرير رحمه الله وقال ابن كثير أنا أذهب إلى ما ذهب اليه الحسن من حمله على أنه من تفسير الصحابي ولعله منقول عن بعض أهل الكتاب ثم قال ان طائفة من بني آدم أشركت مع الله غيره مع أن الله خلق الخلق حنفاء على الفطرة والملة الإسلامية فعبدوا الأصنام ودعوها من دون الله وأشركوا معه في عباداتهم كما فعلت قريش في اللات والعزى وسائر أهل الملل مع معبوديهم من دون الله ولذا اختتم الله ذلك بلفظ الجمع فقال سبحان الله عما يشركون وذهب آخرون أن المعنى بذلك آدم وحواء وأنهما أطاعا الشيطان في مجرد تسمية ابنهما بعبد الحارث فعلى هذا أن معنى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فشركهما في الطاعة والتسمية وهو الذي يحمل عليه تبويب الشيخ هنا رحمه الله .

« م » **ما يستفاد من الباب** :

١ — التعبيد لغير الله كعبد العزى وعبد الكعبة أو عبد النبي هذا شرك في التسمية لا يجوز .

٢ — الناس كلهم عبيد الله وهذه هي العبودية العامة . اختلاف العلماء فيمن المقصود في الآية .

(أ) ذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود بذلك آدم وحواء وان اشراكهما تسمية ابنهما عبد الحارث وأن هذا هو الشرك المقصود وهذا الذي اختاره الشيخ محمد مما يظهر من سياقه .

(ب) اختار ابن جرير أن المقصود بذلك اليهود والنصارى .

(ج) اختار ابن كثير أن المقصود بذلك بنو آدم وإنما ذكر آدم وحواء للتوطئة والله أعلم .

أسئلة :

١ - مناسبة باب قول الله تعالى فلمّا آتاهما صالحاً الآية لماذا ذكره الشيخ هنا اشرح المفردات الآتية : آتاهما . صالحا . جعلا له شركاء فيما آتاهما . ثم بيّن معنى قول ابن حزم اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله . ولماذا استثنى عبد المطلب .

٢ - اشرح ما تقدم شرحاً مجملاً ثم اذكر ما فيه من أحكام واذكر خلاف العلماء في معنى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما .

***

« م » **قوله باب قول الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، الآية .**

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس يلحدون في أسمائه يشركون وعنه سموا اللات من الإله والعزى من العزيز وعن الأعمش يدخلون فيها ما ليس منها .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه بها .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الإلحاد في أسمائه نوع شرك كما اشتقوا لمعبوديهم أسماء كاللات والعزى من أسمائه تعالى فهو إشراك في التسمية وإلحاد فيها ناسب أن يبينه المصنف رحمه الله .

لمفردات :

ولله الأسماء الحسنى . كلها حسنى أسماء الله بمعنى حسان وقد بلغت الغاية في الحسن فادعوه بها .

أي توسلوا إليه بدعائه بها . وذروا الذين يلحدون في أسمائه أي اتركوا والإلحاد الميل في أسمائه وهو العدول بها وبحقائقها عن معاني الحق ولذا جاء عن ابن عباس في ذلك اشتقوا اللات من الاله فأدخلوا الأصنام وسائر معبوداتهم بأسمائه وهي بمعنى الإشراك .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية الكريمة ردت على عباد الأصنام وتوسلهم بها واشتقاقهم لها أسماء من عندهم فأخبر سبحانه أن له الأسماء الحسنى فيجب على العبد أن يعبده سبحانه دون من سواه ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ويترك هذه المعبودات مهما اشتقوا لها من أسماء فهي جمادات لا تنفع وتضر في الدين وضررها في ذلك كبير ومن دعاها وعبدها أو ذبح لها فقد ألحد وأشرك كما أن الإلحاد في الأسماء وكذلك في الصفات وتسمية الأصنام بها كما فعلت قريش من هذا القبيل ومثله من دعا الصالحين وتوسل بهم دون الله أو مع الله والله لا يقبل أن يشرك معه في عبادته لا نبي ولا ملك ولا غيره .

فائدة :

لله سبحانه تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة وقد سردها في الشرح ولا يفيد ذلك حصرها في تلك الأسماء بل لله أكثر من ذلك كما في الآية الكريمة ولله الأسماء الحسنى وكما في الدعاء المعروف وفيه اللهم اني عبدك ابن عبدك إلى قوله وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فمن أسمائه ما أنزل في كتابه ومنها ما علمه رسوله وما شاء من خلقه دون بعضهم ومنها ما استأثر الله بعلمه وذكر الشارح رحمه الله أنه له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة .

فائدة أخرى :

أسماء الرب سبحانه توقيفية فلا يجوز أن يسمى بها هو وغيره إلا مقيداً كلفظ الصانع ولم يجىء المريد إلا الآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء بل وصف نفسه بها لكمالاتها وشرف أنواعها . قال الشارح ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلته الفاحشة في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه إلى أن قال فاشتق منها اسم الماكر والمخادع والفاتن والمضل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . انتهى ملخصاً من كلام ابن القيم عن الشرح .

ما يؤخذ من الباب :

١ - أن لله الأسماء الحسنى يجب أن يدعى بها ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله .

٢ - أن لله تسعة وتسعين إسماً من شأن من أحصاها دخل الجنة .

٣ - أن أسماء الله لا تنحصر في تلك الأسماء .

٤ - أن الإلحاد في أسمائه وصفاته عبادة غيره معه أو إدخال فيها ما ليس منه كاشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز.

٥ - الرد على من دعا غير الله وتوسل بالصالحين.

أسئلة :

١ - ما هي مناسبة تبويب المصنف ولله الأسماء الحسنى هنا؟ ما معنى ولله الأسماء الحسنى ؟ ومعنى فادعوه بها . وما معنى وذروا الذين يلحدون وكيف اشتقت قريش اسم اللات وكذا العزى ثم اشرح الآثار شرحاً موجزاً وبيّن أحكامه.

٢ - اذكر الفائدة في أسماء الله وما يتعلق بذلك وما هي الفائدة الثانية وهل أسماء الله توقيفية واذكر الأحكام المتعلقة بذلك ؟

* * *

« م » **قوله باب لا يقال السلام على الله** :

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم. لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام.

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : انها لا تصلح لله.

الرابعة : العلة في ذلك.

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله.

« **ش** » **المناسبة** » : لما كان السلام هو طلب السلامة فهو مطلوب مدعو والله غني عن أن يدعى له والمخلوق هو المحتاج لهذا الدعاء وفيه عدم تعظيم الله عز وجل والله يمجد ويعظم ويدعى ناسب أن ينبه على هذا المصنف.

المفردات :

قوله في الصلاة : أي في التشهد من الصلاة. قوله السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية ومثله السلام عليكم.

المعنى : اسم السلام عليكم. أي نزلت عليكم بركته.

ومعنى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال السلام على الله من عباده لأنه سبحانه من أسمائه تبارك وتعالى والله غني عن أن يدعى له بالسلام والبركة وإنما يدعى ويرجى ويطلب منه ذلك ومن أحق الناس بالدعاء الصالحون وعباد الله المؤمنون في السماء والأرض من ملائكة وأنبياء وأولياء وقد أمر الرسول عليه السلام بأن يقال التحيات لله والصلوات والطيبات أي هذا التمجيد لله والتضرع والخضوع لله ثم دعا للرسول بالرحمة والبركة ثم سلم فيما بعد ذلك على الصالحين كما تقدم.

ما يؤخذ من الباب :

١ – النهي عن قول السلام على الله من عباده.

٢ – معرفة أن السلام من أسمائه تبارك وتعالى.

٣ – أن المقصود من الدعاء في السلام هو نزول بركته وسلامه على عباده والله غني أن يدعى له وإنما يدعى ويطلب منه الحوائج.

٤ – ان هذا الدعاء في التشهد قبل أن يفرض قول التحيات.

٥ – أن قراءة التحيات في التشهد الأخير ركن مفروض.

أسئلة :

١ – ما مناسبة باب قول السلام على الله من عباده هنا وبيّن المفردات المذكورة.

٢ – ما معنى الصلاة وما معنى السلام اشرح الحديث شرحاً مجملاً ثم بيّن ما يؤخذ مه من أحكام ؟

***

« م » باب قولهم اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له ولمسلم وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية : بيان العلة في ذلك

الثالثة : قوله ليعزم المسألة.

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

« ش » **المناسبة** : الاستثناء على الله في طلب المغفرة أو أي حاجة من أمور الدنيا والآخرة ينافي كمال التوحيد فناسب أن يذكره المصنف لهذا في كتاب التوحيد وأن يفرد له باباً .

المفردات :

قوله اللهم منادى حذفت منه ياء النداء والميم عوض الياء والتقدير يا الله وقوله اغفر لي الغفر هو الستر وغفر الله ذنبه غفراً ومغفرة أي عفا عنه . قوله ان شئت . استثناء لا يجوز على الله . وقوله اللهم ارحمني أي برحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء وقوله ان شئت هذا استثناء لا يجوز على الله . قوله ليعزم المسألة . أي يسأل الله بعزم وصدق وإلحاح فإن الله لا مكره له ، لا أحد يكرهه على العطاء يعطي ويمنع .

المعنى الاجمالي : .

في هذا الباب تحذير الأمة من أن تسأل ربها وهي غير عازمة في دعائها وتضرعها وغير صادقة في طلبها وأن الرب عظيم أعظم من كل شيء فلا يتعاظمه شيء أعطاه فمقاليد السموات والأرض بيده يعطي ويمنع ويخفض ويرفع وكما جاء في الحديث عين الله مَلأى لا يغيظها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغظ ما في يمينه فعطاؤه كلام ومنعه كلام إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فيمنع لحكمة ويعطي لحكمة ويمرض لحكمة ويصح لحكمة ويسعد لحكمه ويشقي لحكمة كما في الأثر أن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وأن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر فلو أغنيته لأفسده ذلك إلى آخره الاثر .

ما يؤخذ من الباب من الفوائد .

١ – النهي عن قول اللهم أغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت لأن الاستثناء في الدعاء لا يجوز .

٢ – ينبغي للداعي أن يلح في الدعاء ويدعو بعزيمة وصدق ونية .

٣ – على العبد أن يدعو وألا يستبطئ الإجابة ولا يقول قد دعوت ودعوت فلم يجب لي .

٤ – أن الداعي لا بد له من ثلاثة أمور هي أن يستجاب له أو يدخر له في الآخر ، أو يدفع عنه من البلاء أكثر مما طلب .

٥ – أن عطاء الله كلام ومنعه كلام .

٦ – ان جميع من في السموات والأرض منذ خلقها الله من إنفاقه وعطائه .

أسئلة :

١ – ما مناسبة باب قول اللهم اغفر لي ان شئت وما معنى الغفر وما معنى الاستثناء في قوله ان شئت ارحمني ليعزم المسألة إلى آخره.

٢ – اشرح الحديث شرحاً موجزاً ثم بيّن ما يستفاد منه من أحكام.

***

« م » قوله باب لا يقل عبدي وأمتي :

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضيء ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن قول عبدي وأمتي.

الثانية : لا يقول العبد ربي ولا يقال له أطعم ربك.

الثالثة : تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة : تعليم الثاني قول سيدي ومولاي.

الخامسة : التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

« **ش** » **المناسبة** : لما كان العبيد عبيد الله والإماء إماء الله كان جديراً أن لا ينسبوا إلا إليه فنهى عن ذلك فإذا نسبوا إلى غيره ففيه نفي لكمال التوحيد.

المفردات :

الرب هو المالك المعبود المتصرف مربي جميع الخلق بالنعم.

المعنى الإجمالي :

هذا الحديث يبين أنه يجب احترام إطلاق اسم العبد والأمة والتعبيد لغير الله ولو كان عن طريق المجاز لأن العبيد عبيد الله والاماء إماء الله لأن فيه مشاركة له تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لأن الله هو رب الجميع وسيدهم ومولاهم لأن كل من في السموات والأرض آتي الرحمن عبداً وهو من باب سد الذرائع ووسائل الشرك لأنه سد طرق الشرك وسد كل طريق يوصل إلى الشرك حماية للتوحيد وبياناً لما يفيد الأمة وينفعها في دينها والله أعلم.

ما يفيد الباب من أحكام :

١ – لا يجوز نسبة العبيد إلى غير الله.

٢ - لا يجوز أن يقول المولى لسيده ربي لأن الرب هو الله المالك المتصرف.

٣ - سد طرق الشرك وكل طريق يوصل إلى الشرك.

٤ - الأولى للسيد أن يقول فتاي وفتاتي وهذا واجب ويقول المولى مولاي لأن العبيد عبيد الله والاماء إماء الله.

أسئلة :

١ - ما هي مناسبة ذكر باب لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وما معنى الرب.

٢ - اشرح الحديث شرحاً موجزاً وبيّن ما يؤخذ من الحديث من أحكام.

***

« م » **قوله باب لا يرد من سأل بالله :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل بالله **فأعطوه** ومن استعاذ بالله **فأعيذوه** ومن دعاكم **فأجيبوه** ومن صنع إليكم معروفاً **فكافئوه** فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد **كافأتموه**. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل :

الأولى : اعاذة من استعاذ بالله.

الثانية : اعطاء من سأل بالله

الثالثة : إجابة الدعوة.

الرابعة : المكافأة على الصنيعة.

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه.

السادسة : قوله حتى تروا أنكم قد كافأتموه.

« ش » **المناسبة** : لما كان السؤال بالله عظيماً والسائل قد سأل بالله ينبغي بل يجب أن تعظم ربك وتجيبه إلى سؤاله ما لم يكن محرماً والسائل لا يجوز له أن يسأل بالله شيئاً من أمور الدنيا تعظيما لله واحتراماً لجانب الربوبية ناسب أن يذكره المصنف هنا.

المفردات :

من سأل بالله. سأل سؤالاً ومسألة طلب .واستدعي. الطالب سائل والمطلوب منه مسؤول فإذا سألت **الله بمعنى دعوته** ومن غيره طلبت منه **قوله فأعطوه** إذا كان **في استطاعتكم فيجب اعطاؤه ومن استعاذ بالله** فأعيذوه الاستعاذة بالله والعوذ به الالتجاء والاعتصام فأعيذوه بالتجائه إلى ربه **ومن صنع إليكم معروفاً** المعروف والعرف بالضم الجود اسم لما تبذله وتعطيه والمعروف ضد المنكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير

وتطمئن إليه. وتقول أولاه معروفاً فكافأه المكافأة هي مقابلة المعروف بمثله أو بالدعاء حتى تروا أنكم قد كافأتموه أي قابلتم ذلك بمثله أو دعاء له.

المعنى الإجمالي :

في هذا الحديث أمر صلى الله عليه وسلم أن من سأل بالله أنه يجب إجابته ما لم يكن بإثم أو قطيعة رحم وإذا كان لا يملك سواء ما سأل هل يتعين عليه أم لا وكذلك إذا كان ينقص قوت من يمون ، أما إذا كان لديه قوة إيمان فالأفضل الإيثار مع الصبر لقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا من يمون إذا كان لديهم مثل إيمانه وصبروا وهم مرشدون ورغبوا الإيثار كما جرى لبعض الأنصار وأما إذا لم يرغبوا الإيثار فلا يجوز أن يضيعهم لقوله صلى الله عليه وسلم ، كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يمونه وأما إذا كان فاضلاً عن قوته وقوت من يمون فيجب دفعه كما أمر في الحديث أما من استعاذ بالله فيجب عليه الدفع عنه ونصره إذا كان مظلوماً أو الامتناع عن ظلمه كما إذا قال أعوذ بالله منك أو من هذا الظالم وفي الحديث إجابة الدعوة مطلقاً إذا انتفت الموانع من وجود محرمات ومعاصي وفي وليمة العرس أكّد لأول يوم كما حث على المكافأة على المعروف بمثله أو أجود إذا كان قادراً أو قد يقصد بإهداء الهدية المكافأة وهذا من مكارم الأخلاق المهاداة والمكافأة بخلاف اللئام الذين يسيئون إلى من يحسنون إليهم فإذا لم يستطع المكافأة عليه بالدعاء فإنه مكافأة لقوله من قال جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء والاعتراف بالجميل محمود لأنه ورد من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

ما يستفاد من الباب :

١ - وجوب إجابة من سأل بالله ما لم يسأل إثماً أو قطيعة رحم.

٢ - وجوب إجابة دعوة الداع إذا انتفت الموانع من الحرمان.

٣ - المكافأة على المعروف من حسن العشرة وطلب الألفة ودليل مكارم الأخلاق.

٤ - من لم يقدر علي مكافأة صانع المعروف عليه بالدعاء.

٥ - الاعتراف بالجميل مطلوب وشكر المحسن على إحسانه وان المعطي والمانع هو الله فلا ينافي شكر صانع المعروف بقولك جزاك الله خيراً.

أسئلة :

١ - مناسبة باب من سأل الله هنا ؟

المفردات :

من سأل بالله معنى السؤال ، معنى فأعطوه ، معنى من استعاذ بالله فأعيذوه ، معنى من صنع إليكم معروفاً ، المكافأة ؟ إشرح الحديث شرحاً موجزاً ثم بيّن ما فيه من احكام .

«م» **قوله باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة :**

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله إلا الجنة رواه أبو داود.

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية : إثبات الوجه لله.

« ش » **المناسبة** : لما كان السؤال بوجه الله شأنه عظيم لا ينبغي أن يبذل في سؤال الدنيا وأمرها ناسب أن يعظم ذلك فلا يبذل ويحترم عن أمور دنيوية لأن فيه عدم احترام السؤال بوجه الله فلا يسأل إلا غاية المطالب التي هي الجنة.

المعنى الإجمالي :

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة تعظيماً لله سبحانه فلا ينبغي أن يسأل به شيء من أمور الدنيا لأن الدنيا أقل من أن تسأل بوجهه، ووجهه لا يسأل به إلا شيء يليق بعظمته وجلاله وعظم عطائه التي هي الجنة غاية كل مطلوب وراحة كل مكروه.

فائدة :

ما هو الجمع بين هذا الحديث وهو قوله لا يسأل بوجه الله إلا الجنة وما ورد في دعائه عند منصرفه من الطائف لما ردته ثقيف وهو قوله في الحديث المعروف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات إلى آخر الحديث وما شابهه فالجواب أنه لم يسأل إلا الجنة أو ما قرب منها من الأعمال وأنه يحفظه من الأعمال التي تحول بينه وبين الجنة فهذا هو الجمع بين هذين الحديثين.

ما يؤخذ من الباب من فوائد :

١ - لا يجوز أن يسأل بوجه الله إلا الجنة.

٢ - الواجب أن يعظم وجهه فلا يبذل في سؤال الدنيا وحطامها.

٣ - إذا كان السؤال مما يقرب إلى الجنة ونعيمها فلا بأس بالسؤال بوجهه.

٤ - إثبات الوجه لله وهو وجه يليق بجلاله وعظمته كسائر الصفات التي تثبت ويؤمن بها ولا تمثل ولا تشبه ولا تؤل.

أسئلة :

١ - ما مناسبة باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ولماذا منع السؤال بوجه الله غير الجنة ؟

٢ - إشرح الحديث شرحاً موجزاً وبيّن ما فيه من أحكام.

« م » قوله باب ما جاء في اللّوْ وقول الله تعالى يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا وقوله تعالى الذين قالوا لأخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا . الآية .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول لو إذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليم المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الارشاد إلى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

« ش » المناسبة : لما كان قول لو ينافي التوكل الكامل وفيه الاعتراض على القدر فيكون فيه شائبة من شوائب الشرك ناسب أن ينهى عن ذلك ويبوب له هنا .

المفردات :

لو كان لنا من الأمر شيء ، من التدبير لما خرجنا وقتلنا هاهنا في مكاننا الذين قالوا لاخوانهم من المنافقين وقعدوا عن الخروج كعبد الله بن أبي وأتباعه لو أطاعونا أي أطاعوا مشورتنا ما قتلوا أي في مخرجهم ذلك .

المعنى الإجمالي :

أخبر سبحانه وتعالى عن وقعة أحد وأن هناك طائفة من المنافقين لما أصاب المسلمين ما أصابهم واستشهد من استشهد منهم وجرح من جرح وشج النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عمه في هذه المعركة الدامية بين المسلمين وأعدائهم أظهر كثيراً من المنافقين النفاق وقالوا ما حكى الله عنهم لوا أطاعونا ما قتلوا فرد الله مقالتهم تلك لقوله قل (فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) وأخبر أن ما أصابه ابتلاء وتمحيص ليعلم الصادق من الكاذب وأصاب المسلمين نعاس وأصاب المنافقين رعب ووجل وفاهوا بمقالتهم هذه وقالوا لو كان لنا من الأمر شيء في هذه المعركة والتدبير فيها شيء من الرأي والمشورة كما

قال عبد الله ابن أبي رأس المنافقين . ما قتلنا ها هنا في هذه الوقعة فقال لهم تبارك وتعالى لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم لأنه لا ينفع حذر من قدر والله متم أمره ومظهر رسوله ولو كره من كره فأتم الله أمر رسوله ونصره وأظهره على اعدائه وفتح له مكة بل فتحت المشارق والمغارب كسرى وقصر قيصر على يد أصحابه .

ما يستفاد من الآيتين :

١ – وقعة أحد جعل الله بها امتحاناً وتمحيصاً واستشهاداً لبعض المسلمين .

٢ – ان كثيراً من المنافقين اعتقدوا أن الله لا يضر رسوله ولا ينصره وقد رد الله مقالتهم وأيده ونصره .

٣ – اصيب المسلمون بنعاس أمنة لهم من الله وأصيب المنافقون برعدة وشدة وخوف .

٤ – انتقادهم الرسول وتدبيره ولومهم أصحابه وهذه عادة المنافقين .

٥ – سنة الله أنه لا نصر إلا بعد الابتلاء والامتحان كما جرى لسيد المرسلين .

قوله في حديث أبي هريرة احرص على ما ينفعك إلى آخر الحديث .

المفردات :

احرص على ما ينفعك . الحرص المراد به بذل الأسباب فيما ينفع العبد في الدنيا والآخرة لأن فعل الأسباب مأمور به والاعتماد على الله في ذلك أما الاعتماد عليها فهذا شرك وترك الأسباب قدح في الشرع وهذه فائدة مهمة .

قوله واستعن بالله . أي مع حرصك اطلبها باعانة الله وقوله ولا تعجزن . العجز ضد الكيس . والمراد به الكسل والخمول . قوله والكيس من دان نفسه . أي هذبها وأدبها وحملها على الخير لما بعد الموت . قوله والعاجز العجز هو ضد الحزم والعمل والحرص وأتبع نفسه هواها أي كل ما تطلب وتميل إليه . قوله وان أصابك شيء من المقادير المقدرة . لو حرف امتناع لامتناع وهي تفتح عمل الشيطان بالتأسف والجزع ولكن ينبغي أن يقول قدر الله وما شاء فعل أي ما أصابني بقضاء وقدر .

المعنى الإجمالي :

الحديث فيه الأمر والحث والحرص على طلب ما ينفع العبد في أمور دينه ودنياه من العاجل والآجل . وبذل الأسباب في ذلك النافعة والاستعانة بالله على تحصيله وهذا مأخوذ من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين . فالاستعانة مطلوبة من الله في كل شيء . اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك فالرسول عليه الصلاة والسلام يلجأ إلى ربه في المهمات والملمات فيجب على الأمة الاقتداء بنبيها . ثم بذل

الأسباب وعدم العجز والكسل فاذا أصبت بشيء فتسلم لقضاء الله وقدره بعد بذل الأسباب ولا يلوم القدر أو التدبير أو يتدِل كما قال المنافقون لو أطاعونا ما قتلوا . بل يقل قدر الله وما شاء فعل . فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ويفتح عليه باب التسويف والاعتراض على القدر واللوم لنفسه والله أعلم .

ما يستفاد من الباب :

١ – بذل الأسباب مطلوب شرعاً وعقلاً .

٢ – الاعتماد والتوكل على الله بعد بذل الأسباب .

٣ – لا يجوز لوم النفس أو القدر إذا لم يحصل له المقصود كمقال المنافقين

٤ – الكيس ضد العجز والعجز مذموم وهو الكسل والخور والآمال الكاذبة .

٥ – ان طلب الأسباب لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لو توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . فهي تذهب لطلب الرزق وهذه من الأسباب .

أسئلة :

ما مناسبة ما جاء في اللوم هنا وما معنى قوله لو كان لنا من الأمر شيء . ما معنى ما قتلنا ها هنا وما معنى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا . ثم اشرح الحديث شرحاً موجزاً ثم بين ما يؤخذ منه من الأحكام .

٢ – حديث احرص على ما ينفعك . اشرح الجملة السابقة وما معنى استعن بالله ؟ وما معنى ولا تعجزن ؟ وما معنى قوله فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت ؟ وما معنى قدر الله ثم اشرح الحديث شرحاً موجزاً ، وبين ما فيه من أحكام .

***

« م » **قوله باب النهي عن سب الريح :**

عن أبي ابن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنّا نسألك من خير هذه الريح وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أمرت به صححه الترمذي .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره .

الثالثة : الارشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وتؤمر بشر .

« **ش** » **المناسبة** : لما كانت الريح مدبرة مأمورة، وكان المدبر لها هو الله نهي عن سبها لأنه في الحقيقة مسبة للمدبر .

المفردات :

قوله لا تسبوا الريح . الريح تأتي بلفظ الجمع التي تأتي بالرحمة كما في قوله وأرسلنا الرياح لواقح وتأتي بلفظ المفرد وهي التي تأتي بالعذاب كما في قوله : وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم .

المعنى الاجمالي :

في الحديث نهي عن سب الريح لأن الريح خلق من خلق الله مدبرة مسخرة بأذن الله فتارة تأتي للخير من اللقاح للسحب وسوقه وجمعه وغير ذلك ومن فوائدها اصلاح الثمار والنبات وغير ذلك وتأتي بالشر والعذاب والدمار فسلطها الله على قوم عاد فأهلكتهم عن آخرهم كما في قوله تعالى وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . وكان صلى الله عليه وسلم يسأل الله من خيرها وخير ما أمرت به ويستعيذ بالله من شرها وشر ما أمرت به فيلوذ بجانب الربوبية ويجرد التوحيد لرب العالمين ويخلصه ويلتجئ إليه في كل حال من أحواله خلافاً لمن يستعيذ بالطاغوت أو الأولياء ويطلب تفريج الكرب منهم وازالة ما نزل به منهم .

ما يستفاد من الباب :

١ — النهي عن سب الريح .

٢ — إذا هبت الريح فينبغي للعبد أن يسأل الله من خيرها ويستعيذ به من شرها .

٣ — إذا سأل الله ودعاه عند هبوب الريح يكون فيه اخلاص العبادة لله .

٤ — إذا لجأ إلى غير الله في حال هبوب الريح ودعاه فإن هذا شرك .

٥ — الريح ترسل عذاباً إذا كانت بلفظ المفرد وتأتي بالقرآن على هذا النمط وتأتي رحمة إذا كانت بلفظ الجمع وكل هذا في القرآن .

٦ — من هدى الرسول أنه إذا هبت الريح دعا بهذا الدعاء فينبغي التأسي به .

أسئلة :

١ – ما هي مناسبة باب النهي عن سب الريح . بين معنى ما يأتي لا تسبوا الريح . ما الفرق بين لفظ الجمع للريح والإفراد الذي جاء في القرآن .

٢ – إشرح الحديث شرحاً موجزاً مبيناً ما فيه من فوائد .

***

« م » قوله باب قول الله تعالى :يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله . وقوله الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ، الآية :

قال ابن القيم في الآية الأولى فسر هذا الظن لأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته وفسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح وانما كان هذا ظن سوء لأنه ظن لا يليق به سبحانه ولا يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للكافرين من النار وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله واسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصح بنفسه بهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم .

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا اخالك ناجياً

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصى .

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وعرف نفسه .

« ش » المناسبة : لما كان ظن السوء فيه عدم الثقة بالله الذي وعد رسوله بالنصر واعتراض على قدر الله وتدبيره وتصريفه الأمور ففيه عدم تحقيق الايمان بالله والتسليم لقضائه وقدره فهو مناف للتوحيد من هذه الناحية فلهذا ناسب أن يذكره هنا .

المفردات :

قوله يظنون بالله غير الحق أي يظنون به غير الحق الذي يجب أن يظن به والذي يجب أن يظن به هو نصره رسوله وتأييده . قوله ظن الجاهلية بدلاً منه وهو الظن المختص بأهل الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية وهو ظنهم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم باطل وأنه لا ينصر ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق يقولون أي المنافقون لرسول الله هل لنا من الأمر من شيء أي من أمر الله نصيب قل إن الأمر كله لله أي ليس لكم ولا لعدوكم منه شيء وإنما النصر بيد الله والظفر منه يخفون في أنفسهم أي يظهرون في قلوبهم النفاق ولا يبدونه لك . يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا هذه الآية على تقدير سؤال كأنه قيل فما هو الأمر الذي يخفون فقيل يقولون في أنفسهم أو فيما بينهم . قل لو كنتم في بيوتكم ، أي قاعدين فيها لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . برز لخرج . الذين كتب عليهم القتل أي قضى وقدر إلى مضاجعهم . مصارعهم فإن قضاء الله لا مفر منه ولا يرد وليبتلي الله ما في صدوركم أي ابتلاء من الله أصابكم ما أصابكم وليمحص ما في قلوبكم . من وساوس الشيطان .

المعنى الإجمالي للآيات :

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات قصة ما جرى في وقعة أحد وانها أظهرت ما تكنّ صدور المنافقين فظنوا بالله الظنون الفاجرة واعتقدوا أن الله لا ينصر رسوله وأن هذه الوقعة قد تستأصل المسلمين وأرجفوا في ذلك حتى تكلم عبد الله ابن أبي رأس المنافقين لأنه لو كان لهم شيء من الأمر ما قتل من قتل لما قيل له قتل اليوم بنو الخزرج وكان حليفاً لهم ثم قال ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبر الله أن ما وقع من القتل مكتوب مفروغ منه بقضاء الله وقدره ولا بد لا محالة من وقوع ما وقع من القتل وقد ابتلى الله في هذه الوقعة المؤمنين ومحص قلوبهم وقد نزل النعاس على المؤمنين أمنة من الله لهم كما أخبر جلّ وعلا بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين والطائفة الأخرى وهم المنافقون اشتغلت بنفسها وظنت بالله الظنون الباطلة كما ظنوا به ظن السوء لأنه لا ينصر رسوله كما يأتي في كلام ابن القيم فبين لهم أن الأمر كله بيد الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ويخفض ويرفع ويديل هذا على هذا .

ما يستفاد من الآيات :

١ – ان المنافقين ظنوا بالله الظنون الفاجرة لأن الله لا ينصر رسوله ولا يظهره على أعدائه .

٢ – طلبهم بأن يكون لهم من الأمر شيء واخباره بأن الأمر كله لله .

٣ – ان قضاء الله نافذ لا محالة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم .

٤ – أن ما أصاب المسلمين في تلك الوقعة ابتلاء من الله وامتحان وتمحيص للقلوب وتطهير لها .

٥ – اطلاع الله على السرائر وما انطوت عليه الضمائر حيث نزل بذلك قرآن يتلى .

٦ – إن دائرة السوء على المنافقين والكافرين لأنه يسوؤهم نصر الله لرسوله .

حول ما قاله ابن القيم على الآية :

أقول ما نقله الشيخ رحمه الله من كلام ابن القيم هو كالشرح للآية مع شرح مفردات الآيات المتقدم والمعاني الاجمالية والأحكام مع ما ذكر هنا زيادة ايضاح وتبيين للحق الذي أورده هنا واضحاً بيناً لا غبار عليه ولا يحتاج إلى زيادة تعليق ونستنتج منه الفوائد والأحكام الآتية :

١ – يجب الايمان بأن ما أصاب الرسول بقضاء الله وقدره وأنه مقدر لحكمة بالغة .

٢ – ان ظن السوء أن لا ينصر رسوله ولا يظهره على أعدائه ويعلي دينه على سائر الأديان .

٣ – كان ظن سوء لأنه لا يليق بجلاله وحكمته وحمده ووعده بالنصر .

٤ – من ظن أنه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يذهب معها الحق أو يضعف فهو ظن سوء

٥ – من اعتقد انه ليس لحكمة ما أصابه بل لمشيئة مجردة فهو ظن سوء .

٦ – ان هذا الظن المتقدم اشترك فيه المشركون والمنافقون .

٧ – كثير من الناس لا يسلم من الاعتراض على قدره ومشيئته فيما يصيبهم ويصيب غيرهم وقليل ما هم .

٨ – ان السلامة من ذلك عزيزة إلا من مؤمن قد عرف ربه وأسماءه وصفاته وحكمته وأنه لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير إلا بقدره وارادته ومشيئته .

٩ – ان الواجب على المرء العاقل الناصح لنفسه التوبة والاستغفار .

١٠ – ان كثيراً من الناس يعترض على القدر بقوله لو كان كذا لكان كذا ولو جعل فلان في كذا لكان أحسن وأجدر وأقدر ولو زيد في كذا لكان أحسن ولو نقص في كذا لكان يستحسن كل هذا اعتراض .

١١ – ان السالم من هذه الاعتراضات قليل لكن منهم المقل ومنهم المكثر .

١٢ – يجب على الإنسان أن يفتش نفسه ويتوب إلى ربه منها لأنها عظيمة والسلامة منها قليلة .

أسئلة :

١ – ما هي مناسبة ذكر باب قول الله تعالى يظنون بالله غير الحق وبين المفردات الآتية يظنون بالله غير الحق ؟ وما معنى ظن لجاهلية ؟ وما معنى يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ؟ وما معنى ما قتلنا هاهنا؟ قدر السؤال على قوله ما قتلنا هاهنا وما معنى لبرز الذين كتب عليهم القتل ؟ وما هي مضاجعهم ؟ وبين معنى قوله ليبتلي الله ما في صدوركم . وما هو التمحيص ؟ .

٢ - إشرح ما تقدم من الآيات شرحاً مجملاً وبيّن ما فيها من أحكام ثم استنتج الأحكام من كلام ابن القيم على الآيتين ولأي شيء أورده المصنف .

* * *

« م » **قوله باب ما جاء في منكري القدر** :

وقال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم :الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره رواه مسلم وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ربي وماذا اكتب فقال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني وفي رواية لأحمد أن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وفي رواية لأبن وهب قال قال رسول الله فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله في النار وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال أتيت أبي بن كعب فقلت له في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيح رواه الحاكم في صحيحه .

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان .

الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الإخبار أن أحداً لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف في ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : ان العلماء أجابوه بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله .

« ش » **المناسبة** : لما كان التشكييك في نصره لعباده ورسوله وهل ذلك مقضي مقدر أم هل هو لحكمة أم لا وما يدور حول ذلك مما يخالف تحقيق التوحيد ناسب أن يذكر بعده القدر ومكانته من الايمان أنه لا يجري مثقال ذرة فما فوقها إلا وهو في علم الله وقدره وأن من شك في ذلك أو أنكر القدر فهو مناف للتوحيد أصلاً والايمان عقد هذا الباب بهذه المناسبة لأن الايمان بالقدر أحد أركان الايمان .

تعريف القدر :

هو قضاء الله وما حكم به من الأمور ويدخل في ذلك علمه القديم الأزلي وتقديره للأشياء وعلمه بها ما كان منها وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وهو اعتقاد أن الله تعالى قدر الخير والشر والشقاء والسعادة قبل خلق الخلق بكتاب مسطور عنده وأن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما يأتي .

المفردات :

قوله والذي نفس بيده قسم منه صلى الله عليه وسلم وهو البار الصادق أقسم بالذي يملك نفسه وهو الله قوله مثل أحد وهو جبل معروف قرب المدينة ثم أنفقه في سبيل الله أي لو كان له هذا المقدار من المال وهو لم يؤمن بالقدر ما قبل منه لأن الله لا يقبل إلا من المتقين المخلصين .

المعنى الاجمالي :

أقسم ابن عمر رضي الله عنه لما وصل يحيي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن فأخبراه بخروج طائفة القدرية وأن أول من تكلم به معبد الجهني أقسم أن من أنكر القدر وجحده أنها لن تقبل منه تلك الصدقة مهما بلغت في الكثرة والعظم لأنه تارك لأصل من أصول الإيمان الستة التي لا يصح ايمان عبد إلا بها والتي أجاب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل حين سأله عن الايمان وهذا ايمان ببعض ما جاء به الرسول فلما احتج رجل على عمر بأنه سرق بقضاء الله وقدره أجابه عمر بأنه يقطع يده بقضاء الله وقدره فالله قدر الأشياء ولكن الإنسان يأتيها طوعاً مختاراً لأنه أمره بالخير ونهاه عن الشر خلافاً للقدرية الذين ينكرون القدر والجبرية الذين يقولون ان الإنسان مجبور على فعل نفسه فهو كالعروق النابضة وكحركات المرتعش ويقولون كل ما يفعله محبوب مرضي لأنه ان خالف أمره فقد وافق قدره وكلا القولين مردود بالكتاب والسنة وأن الله أثبت للعبد قدره ومشيئته لكن لا كما تقوله القدرية انه يخلق فعل نفسه ولا كما تقوله الجبرية انه مجبور بل مشيئته وقدره تابعة لقدرة الله كما في قوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وكما في قوله تعالى وكل شيء خلقناه بقدر فمذهب الجبرية مأخوذ عن الجهم بن صفوان والقدر مأخوذ عن معبد كما تقدم .

الأحكام :

١ – إن الايمان بالقدر أحد أصول الايمان الستة التي أجاب بها جبريل رسول الله .

٢ – إن نفقة القدرية وصدقاتهم غير مقبولة ما لم يؤمنوا بالقدر خيره وشره .

٣ – يجب على العبد أن يؤمن بأن ما أصابه مقدر مقضي كما في حديث ابن عباس وهذا مذهب أهل السنة اعتقاد أن ما أصابك لم يكن ليخطئك الحديث .

٤ – أن النفقة في سبيل الله من أفضل الصدقات .

٥ – انقسام القدرية إلى :

(أ) القدرية النفاة الذين ينكرون علم الله القديم فهؤلاء كفار عند أئمة أهل السنة ويسمون الغلاة .

(ب) قدرية يقرون بالعلم الثابت القديم وينكرون خلق أفعال العباد فهؤلاء أهل بدعة كاهل الكبائر .

قوله عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه يا بني انك لن تجد طعم الإيمان إلى آخره .

المفردات :

قوله لن تجد طعم الإيمان – المراد بطعم الإيمان لذته وسروره التي تحصل بفعل الطاعة قوله حتى تعلم أي تتيقن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك أي فيتعداك إلى غيرك وما أخطأك أي تخطاك إلى غيرك – لم يكن ليصيبك لأنه مقدر مدبر واقع . قوله أول ما خلق الله القلم . أي من هذا العالم سوى العرش كما سيأتي فقال له أكتب أي أمره الله بالكتابة فجرى في تلك الساعة أي بعد أمر الله له بما هو كائن إلى يوم القيامة فالأمور كلها مقدرة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة قوله فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار دل على أنه كبيرة من كبائر الذنوب ، وأنه يعذب في النار ولا يعذب الله في النار إلا على ترك واجب أو ارتكاب كبيرة – قوله في نفسي شيء من القدر أي شك وتردد فحدثني أي بحديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم لعل الله يذهبه من قلبي أي بما أسمع منك من أحاديث الرسول .

فائدة :

في معرفة أول ما خلق الله هل هو القلم أو العرش . أنقل لك ما كتبته على العقيدة الواسطية جاء في حدث أن أول ما خلق الله القلم فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وجاء في حديث آخر كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فدل على أن خلق القلم وقع بعد خلق العرش لكنه عند أول خلقه أمره بالكتابة فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وأنه أي القلم أول المخلوقات من هذا العالم أي بعد العرش فيتفق الحديثان ويمكن

الجمع بينهما بهذا إذ حديث عبد الله بن عمر صريح في أن العرش سابق على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم .

قال ابن القيم

والنــــاس مختلفون في القلم الـــذي	كتب القضاء بـــه من الـــديــان
هـــل كـــان قبـل العرش أو هو بعـده	قولان عنـــد أبـي العلا الهمــــذاني
والحق أن العرش قبــــل لأنــــه	وقت الكتـــابـــة كـــان ذا أركـــان
وكتـــابـــة القلم الشريف تعقبت	ايجــــاده من غير فصل ثـــان

وأما الاقلام التي كتب بها مقادير الأشياء فهي كالآتي :

١ – القلم الأول وهو ما كتب به جميع المقادير في اللوح المحفوظ كما في الحديث فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة .

٢ – ما كتب به التقدير العمري وهو ما يقدر على الجنين في بطن أمه حين يأتي إليه الملك ويؤمر بأربع كلمات .

٣ – تقدير حولي وهو ما يكتب به من السنة إلى مثلها وهو ما يقدر في ليلة القدر .

٤ – القلم الذي يكتب به على ابن آدم حين يكلف وزاد بعضهم القلم الخامس وهو التقدير اليومي ويستدل له بقوله تعالى . كل يوم هو في شأن .

فهذه الأقلام التي يكتب بها المقادير وهناك قول للباطنية وبعض الرافضة بأن أول ما خلق الله العقل ويستدلون بحديث ضعيف بل موضوع . والصحيح ما تقدم أن العرش أول المخلوقات .

المعنى الاجمالي :

جاء في هذه الآثار أنه لن يجد عبد لذة الايمان وسروراً وذوقاً وطعماً للطاعة حتى يؤمن بالقدر ويسلم لأمر الله ويعتقد أن كل شيء مقدر مقضي في كتاب عند الله . وما أصاب العبد لا يمكن أن يتعداه إلى غيره وما تعداه لم يكن تصيبه والايمان بهذا أحد أركان الايمان الستة وقد توعد من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن يكبه الله في النار ويحرقه فيها والله لا يعذب في النار إلا على فعل محرم ينافي التوحيد أو كماله ومن أعظم التغليظ ما ورد في ذمهم على لسان رسول الله بقوله القدرية مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشيعوهم أو كما جاء وأما وجه المشابهة فإن المجوس يدعون خالقين اثنين النور والظلمة فالخير في زعم المجوس يصدر عن النور والشر يصدر عن الظلمة . والقدرية

زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه فشابهوا المجوس بادعائهم خالقاً مع الله والله هو الخالق خلق العباد وخلق أفعالهم والقدرية زعمت أنك خلقت فعل نفسك والله المقدر المدبر لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

لا يجري مثقال ذرة ولا زنة خردلة إلا بعلمه وقدرته وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين فجميع الأشياء لا تجري إلا بحكمة وقدرة الهية محكمة فتبارك الله أحكم الحاكمين وقد جرى بين عبد الجبار القاضي من المعتزلة وبعض أهل السنة مناظرة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فأجابه بقوله سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء قال عبد الجبار أيعصى ربنا فيرضى فقال له السني أيقع في ملكه ما لا يشاء فقال عبد الجبار أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الردى أحسن لي أم أساء فقال له السني ان منعك ما هو حق لك فقد أساء وان منعك حقّاً له فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فانتهت المناظرة على ذلك .

ما يستفاد من الأحاديث :

١ – ان الايمان له لذة وسرور وطعم ولا يذاق طعمه إلا بالايمان بالقدر .

٢ – ان الايمان بالقدر أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

٣ – ان القدرية مجوس هذه الأمة ومعرفة المناسبة بين القدرية والمجوس تقدم قريباً .

٤ – ان القلم أول المخلوقات من هذا العالم بعد العرش .

٥ – ان العرش مخلوق قبل العالم بل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وأن الله مستوى عليه .

٦ – ان القلم لم يكتب إلا بأمر الله وتدبيره وقد جرى بما في اللوح المحفوظ .

٧ – معرفة أنواع الاقلام التي كتبت القضاء وأنها صادرة عما كتب في اللوح المحفوظ .

٨ – احراق من مات من القدرية في النار إذا مات على ذلك .

٩ – إنقسام القدرية إلى نفاة تسمى الغلاة وقدرية مبتدعة .

١٠ – اتفاق ابن مسعود وحذيفة وكعب على وجوب الايمان بالقدر .

اسئلة :

١ – ما مناسبة ذكر باب ما جاء في منكر القدر مع تعريف القدر واشرح قول ابن عمر والذي نفسي بيده . من أول من تكلم بالقدر . قسم القدرية . إشرح حديث ابن عمر شرحاً مجملاً ثم بين ما فيه من أحكام .

٢ – بين المفردات الآتية في حديث عبادة لن تجد طعم الايمان وما معنى قوله حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وماذا يدل عليه قوله من لم يؤمن بالقدر خيره

وشره أحرقه الله بالنار . ماهوأول المخلوقات واذكر الخلاف في ذلك وبين الصحيح منها . اذكر الأقلام التي كتبت المقادير .

٣ - اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً واذكر الأحكام التي فيها إلى هنا انتهى مراجعة تيسير العزيز الحميد .

***

« م » **قوله باب ما جاء في المصورين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة ، أخرجاه ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مصور في النار يجعل بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم ولهما عنه من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لي علي ، ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله فليخلقوا ذرة أو شُعَيرة .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت .

« ش » **المناسبة** : لما كان التصوير مضاهاة لخلق الله كان فيه معنى عدم تحقيق التوحيد لعدم التأدب مع الله فكان منقصاً لثوابه ناسب أن يذكر هذا الباب .

المفردات :

قوله من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي أي لا أحد أظلم منه لمضاهاته لخلق الله أو قوله فليخلقوا ذرة مع ضعفها وأنها أضعف مخلوقات الله ولكنهم لا يستطيعون ذلك فهذا تحد لهم . قوله أشد الناس عذاباً أي أنهم من أبلغ الناس عذاباً وأوجع الذين يضاهئون بخلق الله ، أي يماثلون بزعمهم ما خلقه الله .

المعنى الإجمالي :

أخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الأثر القدسي عن الله أنه لا أظلم ممن يخلق كخلق الله مشابهة ومنازعة لله فيما يخلق فلذا حرمت الصور التي فيها روح عند جمهور الأمة ولا فرق عند الأكثرين بما له ظل وما ليس له ظل لأن الجميع مضاهاة لله فيما يخلق وقد تحدى الله عز وجل من صور تلك الصور بأن يخلقوا ذرة أو شعيرة على صفته وصورته وعلى شكل خلق الله لها مع ان تلك من أضعف ما خلق الله فمن خالف ما نهى الله عنه فهو من أشد الناس عذاباً وأغلظهم كما في حديث عائشة ولأنه أول شرك حدث على وجه الأرض بسبب الغلو في صور الصالحين نسأل الله العفو والعافية.

ما يستفاد مما تقدم :

١ - أن الذي يصور الصور ذوات الأرواح من أغلظ الناس وأشدهم عذاباً يوم القيامة.

٢ - أن المصور ظلوم من أظلم الناس.

٣ - العلة في التحريم أن التصوير مضاهاة لخلق الله ومنازعة له.

قوله في حديث ابن عباس كل مصور في النار، إلى آخر الحديث.

المفردات :

قوله كل مصور. المصور هو من حرفته التصوير. قوله صورة كل ما يصور مشبهاً بخلق الله من ذوات الأرواح وغيرها وجمعه صور. انتهى أقرب الموارد. قوله أن ينفخ فيها الروح وهي إعادة الحياة والنفس إليها. قوله الا طمستها. هو محو الشيء وإهلاكه ولا قبراً مشرفاً، المشرف هو المرتفع إلا سويته أي انزلت المرتفع حتى تسويه بالأرض إلا أنه يباح رفع القبر شبراً.

المعنى الإجمالي :

جاءت هذه الأحاديث في التغليظ فيمن صور الصور التي فيها روح أنه يعذب بها في النار وأنه يكلف أن ينفخ بتلك الصور الروح مع أنه لا يستطيع ذلك وإنما هذا من باب التغليظ في العذاب وأن الذي يشتغل في التصوير متعرض لعذاب الله وأليم نكاله في نار جهنم وأنه يطالب بإحياء كل صورة صورها وليس بشرط أن يكون حرفته التصوير بل إذا صور فهو مصور من المصورين. ووصية علي وأمره لأبي الهياج مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تسوى القبور المرتفعة وأن تمحى الصور وتطمس وهو الشاهد من الحديث للباب وقد فعله عليه السلام حين دخل مكة وكان على البيت صور أخذ يكسرها ويزيلها كما وجد صوراً داخل البيت لإبراهيم وغيره فأخذ الماء وأخذ يغسلها ويزيلها وهو في حال كسرها يتلو الآية الكريمة جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقاً. لأن تلك التماثيل منصوبة لتعظيمها وعبادتها فيجب إزالة الصور والتماثيل ولو كانت على الجدار أو في الستور لأمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بإزالة القرام فقطع ذلك وسائد ومخدات وأما ما يباح فسيأتي في الاستنباط للأحكام.

ما يستفاد مما تقدم :

١ – أن من صور صورة يعذب بها نفس في نار جهنم.

٢ – تكليف المصورين بنفخ الروح فيما صوروا وهم لا يستطيعون.

٣ – ان المصور في الدنيا يكلف أن يحي ما صور وليس بفاعل.

٤ – وصية علي بإزالة الصور وأن ذلك من أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ – تحريم البناء على القبور وتقدم وجوب تسويتها بالأرض.

٦ – إباحة رفع القبر مقدار شبر فقط.

٧ – ان الجمهور على تحريم تصوير كل ذي روح وأما إذاً امتهنت وديست انتفى التحريم.

٨ – انه يجوز تصوير الشجر والجبال والنخل والبيت وما شابه ذلك.

٩ – الصحيح من كلام العلماء أن لا فرق فيما له ظل وما ليس له ظل والمجسم وغير المجسم ولو كان بالفوتوغرافي أو غيره لظاهر الأدلة.

اسئلة :

١ – ما هي مناسبة تبويب المصنف ما جاء في المصورين وما معنى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي وما معنى فليخلقوا ذرة؟ إشرح الحديثين شرحاً مجملاً ثم بيّن ما فيهما من أحكام.

٢ – بين المفردات التالية : كل مصور. من هو المصور وما معنى كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ثم إشرح الحديث شرحاً موجزاً وبيّن ما يدل عليه من أحكام.

* * *

« م » **باب ما جاء في كثرة الحلف وقول الله تعالى واحفظوا أيمانكم**. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب أخرجاه وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه رواه الطبراني بسند صحيح وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ثم ان بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وفيه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونه ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته وقال إبراهيم كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم من قلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الحلف وكثرته سبباً للحلف والإكثار من الحلف استخفافاً بجانب الربوبية وعدم التعظيم الكامل للرب ناسب أن يذكر هنا بياناً لأن من كثر حلفه فقد ضعف جانب التوحيد عنده .

المفردات :

قوله واحفظوا أيمانكم . الأمر يقتضي الوجوب وهو صيانتها وعدم ابتذالها واشتقاق اليمين لغة القوة وفي الشرع تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التعليق واليمين أربعة أقسام :

الأول : اليمين الغموس وهي الحلف على فعل أو ترك كاذب سميت غموساً لغمسها صاحبها في النار .

الثاني : اليمين المنعقدة . أي يحلف على فعل أو ترك .

الثالث : اليمين اللغو أن يحلف ظاناً أنه كذا وهو خلافه .

الرابع : اليمين الصبر وهي التي يكون الرجل متعمدا الكذب قاصداً لإذهاب ما لامرئ مسلم سميت به لصبر صاحبها على الاقدام عليها مع وجود الزواجر من قبله .

ومعنى الآية الكريمة . أن الله تبارك وتعالى أمر بحفظ اليمين وعدم ابتذالها فإذا حدث ووقعت فلا يجوز أن تترك بدون تكفير والكفارة في ذلك إطعام عشرة مساكين لكل مساكين لكل مسكين مدبر أو نصف صاع من غيره أو كسوتهم وهو ما يكفي للصلاة وما يستر . ويكفي للصلاة لا يسمى كسوة بل لا بد من ثوب ساتر أو عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد صام ثلاثة أيام للآية الكريمة لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .

ما يؤخذ مما تقدم :

١ - معرفة اليمين بالله وانقسامها إلى أربعة أقسام وتقدمت قريباً فراجعها.
٢ - الأمر بحفظ اليمين وعدم ابتذالها فإذا وقعت كفر وهذا هو الحفظ.
٣ - الكفارة بما يأتي بالاطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة فإن لم يجد صام وتقدم في شرح الآية فراجعه لمعرفة التفصيل.

قوله في حديث سلمان ثلاثة لا يكلمهم الله إلى آخره.

المفردات :

قوله ثلاثة نفر أو أشخاص لا يكلمهم الله أي كلام رضي ولا يزكيهم. زكي من الزكاء والزكوة. صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به والمراد والله أعلم أنه لا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب أليم أي شديد الوجع قوله أشيمط زان تصغير أشمط وهو الشيخ لأنه أبعد عن داعي الزنى ولكن أتى ذلك رغبة في الزنى وعائل مستكبر هو العالة على غيره. وهو الفقير المستكبر. أي المتكبر ورجل جعل الله بضاعته هو الشاهد لأنه جعل الله واليمين به كالبضاعة لا يبيع إلا يمينه ولا يشتري إلا بيمينه فيقول والله لا أبيع إلا بكذا والله لا أشتري إلا بكذا. قوله خير الناس قرني أي قرنه الذي بعث فيه وهو من مبعثه إلى رأس مائة سنة وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين ثم الذين يلونهم أي القرن الذين يلون قرنه فالثلاثة لا شك فيها والرابع مختلف فيه. والذي يظهر الحاقه بتلك القرون لوجود علماء السلف ورد البدع قوله ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون أي يأتون لأدائها قبل طلبهم ويخونون ولا يؤتمنون. الخيانة ضد الأمانة فيخونون بأسرارهم والامانات الأخرى من صلاة ومال وغير ذلك خلافاً للأمناء الذين يؤدونها وينذرون ولا يوفون. النذر تقدم في أول الكتاب. قوله ويظهر فيهم السمن. ذم لحالهم لكثرة مآكلهم وترفههم. قوله تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ذم لهم على التسرع باليمين والشهادة وعدم التورع والتثبت. قوله يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار أي أن السلف يهتمون بأمر الشهادة وتهذيب الأطفال على آدائها.

المعنى الإجمالي :

في الأحاديث ذم للفقير الذي يتكبر على الناس وان كان الكبر مذموماً لكل أحد سواء كان غنياً أو فقيراً ولكن في حق الفقير أعظم وأبلغ لأنه ليس لديه شيء يستوجب كبره وتعاظمه كما أن الزنى مذموم لكل أحد وكبيرة من كبائر الذنوب توعد الله عليها وحرمها على المؤمنين وقرنه لشناعته مع أعمال الكفر كما في قوله الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين لكن لما كان الشيخ الكبير ومن دخل في سن الكبر داعي الشهوة عنده أقل من الشاب ندد الرسول به وبعمله وتوعد الله مرتكب ذلك بالعذاب الأليم ان لم يتب كما أرشد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تحريم كثرة الحلف وان الذي يكثر اليمين بالله ويؤدي الشهادة قبل استشهاده انه لا يكلمه الله ولا يرضى

عنه ومن تكون يمينه كالبضاعة لا يبيع إلا بها ولا يشتري إلا بها فهو كذلك كما حذر الذي يتسرع بأداء الشهادة قبل التثبت وقبل طلبها فمن كان على هذا الوصف فإنه مستخف بيمينه وشهادته وأخبر ان الشهادة على مثل الشمس وخطب مرة أصحابه فقال في تحذيره من هذا الداء العضال. الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته سكت وكان السلف يرعون الشهادة وكثرة الأيمان والعهود ويتورعون من التهاون بها حتى إنهم يربون الأطفال على احترامها لأن من شب على شيء شاب عليه فهم يغرسون مكارم الأخلاق في نفوسهم وانه يأتي في آخر الزمان أناس يستخفون بالشهادة وتضعف عندهم الأمانة فلا تأمنهم لا على مال ولا على سر فهم أصدقاء العلانية أعداء السريرة لقلة الوازع الديني الذي يردعهم وكثرة نذورهم وقلة الوفاء بها وعدم إخلاص التوحيد الذي يحجزهم عن ارتكاب مثل هذه الجرائم كما نوهت هذه الأحاديث بفضل أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وأنهم أفضل القرون وأفضل هذه الأمة ما عدا الأنبياء والمرسلين وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وهم السابقون الأولون. مع السكوت عما شجر بين الصحابة ومن ضلل واحداً منهم فهو أضل من حمار أهله. وقد نقلت نبذة صالحة في التعريف على العقيدة وشيئاً من فضائلهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ – التغليظ في عقوبة الله للأشمط الزاني مع ان الله لا يكلمه مع تحريم الزنى على الشاب والشيخ لكن الشيخ أغلظ.

٢ – ان الفقير إذا تكبر أغلظ في العذاب من الغني وان كان الكبر محرماً على الجميع.

٣ – ان الذي يكثر من الأيمان ويجعلها كالبضاعة أن له عذاباً مؤلماً عند الله.

٤ – أن أفضل القرون الصحابة مع اختلاف درجاتهم في التفضيل المعروفة بل أفضل الأمم ما عدا الأنبياء والمرسلين.

٥ – ان القرون المفضلة أربعة على الصحيح لوجود أفضل العلماء ورد ما ظهر من البدع في القرن الثالث.

٦ – ذم الذي يشهد قبل استشهاده وهو دليل استخفافه بها وهذا اذا كنت تعلم بشهادته لك أما إذا كنت لا تعلم بشهادته وليس عندك شاهد سواه وفيه استخراج حق فإنه يتعين عليه اخباره مع أن الله أثنى عليه على لسان رسوله.

٧ – ذم الذي يتسرع في الشهادة واليمين.

٨ – ذم الذي ينذر ولا يفي لأن الله مدح الموفين بالنذور.

٩ – بعد ذهاب القرون المفضلة تكثر الخيانة وتقل الأمانة.

١٠ – كثرة شهادة الزور في آخر الزمان ويظهر السمن فيهم.

١١ - حرص السلف على غرس روح الفضائل بأبنائهم بضربهم على الشهادة والعهد وهم صغار.

أسئلة :

١ - ما مناسبة باب ما جاء في كثرة الحلف هنا واشرح الآية الكريمة شرحاً موجزاً مع بيان أحكامها وبيّن معنى اليمين وقسم اليمين الذي مر بك ؟

٢ - حديث سلمان وعمران بن حصين اشرح المفردات الآتية : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر ليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم مع تعريف الأشمط والعائل والمستكبر وبيان معنى جعل الله بضاعته.

٣ - أذكر القرون المفضلة على الصحيح وما هو أفضلها واذكر درجات الصحابة بالفضل مختصراً وما هي الشهادة المذمومة والشهادة الممدوحة وما هي الخيانة لماذا ذم من نذر ولم يفِ ولماذا صار ظهور السمن في آخر الزمان. صف حال السلف في تعليم أبنائهم ولماذا ذم التسرع في الشهادة واليمين ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيّن ما فيهما من أحكام ؟

❊ ❊ ❊

« م » قوله باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه :

وقوله الله تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها الآية وعن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً فقال اغزوا بإسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتل وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم ان تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا .رواه مسلم.

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية : الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة : قوله واغزوا باسم الله في سبيل الله.

الرابعة : قوله قاتلوا من كفر بالله.

الخامسة : قوله استعن بالله وقاتل.

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة : في كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.

« **ش** » : لما كان اخفار ذمة الله وذمة نبيه فيه عدم التأدب مع جانب الربوبية واستخفافاً بها وعدم التعظيم لله فيكون لم يكمل توحيده ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد.

المفردات :

قوله وأفوا بعهد الله. هذا أمر من الله لعباده أن يوفوا بعده والمراد بعهد الله العهود والمواثيق المبرمة بين فئتين فإذا عاهدتم وأبرمتم العهد والميثاق فيجب الوفاء به. قوله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها. النقض هو ضد الإبرام معناه أفسده بعد إحكامه وتوكيدها أي بعد إبرامها بالأيمان قوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً. أي جعلتم الحلف واليمين به كفيلاً بأن لا يتعدى ولا يخون يمينه ويقال كفلاً وكفولاً أي ضامناً وعائلاً ومنفقاً وقائماً عليكم ان الله يعلم ما تفعلون. أي مطلع على جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فعليكم ألا تخونوا في شيء من العهود والمواثيق.

المعنى الإجمالي :

أمر الله سبحانه عباده بأن يوفوا بالعهود ولا ينقضوها بعد أن ابرمت ولذا قال الرسول لا حلف في الإسلام وأيما حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا الشدة وهذه ليست اليمين التي للحث على فعل أو تركه فإن تلك فيها الكفارة وإنما هذا فيما يجري بين العشائر والقبائل من عهود ومواثيق بعدم الاعتداء وغيره فلا يجوز بحال نقضه والخيانة فيه بما فيه من الوعيد الشديد حيث قال الله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وهذا إذا لم يكن حلف على باطل وزور وأما التحالف على القطيعة أو الظلم فالحلف من أساسه حرام.

ما يستفاد من الآيات :

١ – الأمر بالوفاء بالعهد والميثاق.

٢ – الله ضامن وكافل لمن حلف به وصدق.

٣ – الجمع بين الآية في الباب وبين الآية الأخرى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وقوله ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم.

٤ – أن الآية في العهود والمواثيق والآيتين المشار إليهما في الأيمان المكفرة وعن بريدة رضي الله عنه قال :كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية إلى آخرالحديث.

المفردات :

قوله إذا أمر أميراً. الأمير هو رئيس القوم وكان يؤمر الأمراء على ثلاثة فما فوق. قوله على جيش إذا زاد على أربعمائة يقال له جيش والسرية هي أربعمائة فما دونه لكن تقاربها. قوله أوصاه بتقوى الله يشرع وصية رئيس الجيش والقائد والأمير باتباع أوامر الله والانتهاء عن نواهيه ومن معه من المسلمين خيراً أن يفعلوا خيراً من الرفق وعدم التشطيط فقال اغزوا باسم الله غزاه. يغزوه. وغزا العدو سار إلى قتالهم وانتهى بهم في ديارهم والمعنى اشرعوا في الغزو مستعينين بالله. قاتلوا من كفر بالله هذا كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة. قوله اغزوا ولا تغلوا أمر بالغزو ونهى عن الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها وتخميسها ولا تغدروا. الغدر هو نقض العهد والخيانة وهو من شواهد الترجمة ولا تمثلوا ، التمثيل هو قطع الأطراف وقطع الآذان في القتلى قوله ولا تقتلوا وليداً ، الوليد هو الصبي فالصبيان والنساء والمقعد والأعمى لا يجوز قتلهم إلا إذا ظهر انه يعين ولو في الرأي والتوجيه فيجوز القتل حينئذ.

قوله فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال. المشرك يدعى قبل البدء بالقتال والخلة والخصلة جمع خلال أو خصال وكذا الطائفة. قوله فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم فيجب الإجابة إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث ويكف عن قتالهم وهن على الترتيب. أولاً الدعوة إلى الإسلام فإن أجابوا فيكف عنهم فإن أبوا فالجزية فإذا بذلوها كف عنهم فإن أبوا فالقتال مع طلب العون من الله. قوله وإذا حاصرت أهل حصن. الحصار هو الإحاطة بالعدو من كل جانب ويراد به المنع والحبس ، والحصن كل مكان محمي محرز لا يوصل إلى جوفه. قوله ذمة الله الذمة هي العهد وذمة نبيه أي عهد الله وعهد نبيه. قوله اجعل لهم ذمتك أي عهدك وذمة أصحابك أي عهد أصحابك. قوله تخفروا. تنقضوا ذممكم وذمة أصحابكم أي عهدكم. قوله فأرادوه أن تنزلهم على حكم الله أي كتاب الله وشرعه. قوله على حكمك أي اجتهادك.

المعنى الإجمالي :

في الحديث توجيه من الرسول إلى الأمراء والقادة الذين يرسلهم إلى القتال وفتح البلاد المجاورة وبث روح تعاليم الدين فيها فكان يوصيه بفعل الأوامر التي أمر الله بها وينهى عن فعل الزواجر وهي المحرمات وهذا معنى تقوى الله وطاعته كما يوصيه بالرفق بالجيوش التي أمره عليهم أن يرفق بهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يشق عليهم كما أنه يجب طاعته إلا في المعصية وأرشدهم عليه الصلاة والسلام عند ملاقاة الأعداء بالاستعانة بالله وطلب النصر منه ونهاهم عن غدر العهد ونكثه وعن التمثيل بالقتلى وعن أخذ شيء من الغنيمة خلسة قبل القسمة وهذا كما في قوله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة كما نهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء والمقعدين والزمنى والعميان ما لم يعينوا بالقتال ولو بالتدبير فإن أعانوا جاز قتلهم ثم وجه إلى الطريقة المثلى التي يجب أن تعمل قبل القتال فأمر بالدعوة إلى الاسلام وما يجب من حقوقه عليهم وما لهم من الذود عن الاسلام والانتقال إلى بلاد المهاجر ، وأنه إذا هاجر فله ما للمهاجرين وعليه ما على المهاجرين وأما إذا أسلم وبقي في بلاده فإنه ليس كالمهاجرين ليس له

في الغنيمة والعطاء شيء بل تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة كأعراب المسلمين ثم إذا لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية عند ذلك يستعان بالله تعالى على قتالهم وحصارهم في الحصون فإن من أخلص لله التوحيد واعتمد عليه في جميع الأمور لا بد أن ينصره لا محالة ثم إذا أرادوا النزول على حكم الله ورسوله لا ينزلون على حكم الله ورسوله بل على حكم رئيس الجيش أو أمير الجيش وعلى الأمير أن ينظر الأصلح للمسلمين على حسب ما يعود نفعه عليهم فإن كان الأصلح القتل عند إنزالهم فيقتل الرجال البالغين دون الأطفال والنساء والمقعدين المتقدم بيانهم أو أن يأخذ الفداء أو ما يراه من المصلحة للمسلمين لا لشهوته والسبب لعدم إنزالهم على حكم الله ورسوله أنه لا يدري هل يصيب حكم الله ورسوله أم لا يصيب بل يجتهد هو وأصحابه وينزلونهم على حكمهم وهذا من أدلة القائلين على أن المصيب في المسائل الاجتهادية واحد.

ما يستفاد من الحديث :

١ - أن تأمير الأمراء وإرسال السرايا والجيوش لنشر الإسلام من الأمور الشرعية كما أن القتال شرع للدفاع عن الدعوة ونشرها.

٢ - وجوب الدعوة قبل القتال فإذا بلغتهم الدعوة فلا بأس بإتيانهم على غرة كما في قصة بني المصطلق.

٣ - الوصية بتقوى الله في الجيش وأمير الجيش بذلك ووصيته بالإحسان بمن معه وفعل الأرفق بهم.

٤ - طلب الاستعانة بالله عند ابتداء القتال والتقاء الأقران.

٥ - القتال مشروع وخاصة في نشر الدعوة الإسلامية في أنحاء المعمورة.

٦ - تحريم الغلول من الغنيمة والتمثيل بالقتلى وتحريم نكث العهد والغدر.

٧ - تحريم قتل الصبيان ومثلهم النساء والأعمى والمرضى والزمنى إذا لم يعينوا.

٨ - وجوب إجراء الأحكام والعطاء من الغنيمة والفيء إذا أسلم وهاجر أما إذا أسلم ولم يهاجر فتجري عليه أحكام الإسلام وليس لهم في الغنيمة شيء.

٩ - إذا لم يسلموا طلبت منهم الجزية على الدرجات التالية :

الغني ثمانية وأربعون درهماً والوسط أربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهي على الرجال الأحرار البالغين أما العاجز فتسقط عنه.

١٠ - إذا لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية يقاتلون إذا وجد قوة في المسلمين ويضيق عليهم.

١١ – لا يجوز الإنزال على حكم الله وحكم رسوله ولا ذمة الله وذمة رسوله خوفاً من عدم الإصابة.

١٢ – تسويغ الاجتهاد لمن هو له أهل.

١٣ – المصيب في المسائل الاجتهادية واحد على الصحيح.

أسئلة:

١ – ما هي مناسبة باب ما جاء في ذمة الله هنا؟ بين المفردات الآتية وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ما هو النقض وما هو التوكيد وما معنى قد جعلتم الله عليكم كفيلاً إلى آخر الآية ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيّن ما فيها من أحكام واجمع بين الآية وبين قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ونظيرتها؟

٢ – حديث بريدة، بين المفردات الآتية:

إذا أمر أميراً. ما مقدار الجيش وما مقدار السرية؟ عرف تقوى الله هنا. وماذا ينبغي أن يوصي الخليفة أمراءه؟ وما معنى اغزوا باسم الله وما هو الغلول. وبيِّن الغدر. وما هو التمثيل؟ وما هو الوليد؟ من يلحق بالصبي بعدم القتل؟ أذكر الخصال الثلاث التي دعا إليها الكفار. وما هو الحصن؟ وما المراد بالحصار؟ لماذا نهى عن جعل ذمة الله وذمة نبيه لا يجوز النزول عليها؟ متى يسوغ الاجتهاد وهل كل مجتهد مصيب.

٣ – إشرح الحديث المتقدم شرحاً مجملاً وبيّن الأحكام التي وردت فيه وبيّن تفصيل مقدار الجزية وهل تؤخذ من النساء والصبيان، بين القول في ذلك.

***

« م » قوله باب ما جاء في الأقسام على الله:

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.



الثالثة : ان الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة إلى آخره .

الخامسة : ان الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان التألي على الله والحلف بأنه لا يغفر لفلان فيه عدم التأدب بل فيه التعدي عليه تعالى وعلى سعة رحمته فكان منافياً للتوحيد الواجب لرب العالمين ناسب أن يذكره في كتاب التوحيد والإقسام على الله معناه هي الأيمان والحلف بالله .

المفردات :

قوله والله لا يغفر لفلان هذا قسم على الله بدون استثناء لفلان ويرد في بعض ألفاظ الحديث انهما رجلان متحابان أحدهما عابد والآخر كأنه مذنب قال والله لا يغفر الله لك لما رآه مرتكباً ذنباً ومعنى يتألى علي أن يحلف علي . والألية الحلف إذا شددت الياء .

قوله أحبطت عملك الحابط هو الباطل الذي لا يرفع ولا يقبل .

المعنى الاجمالي :

اخبر الرسول بل حذر من ارتكاب مثل هذه الأيمان التي فيها يتألى على الله والإقسام عليه مع سعة مغفرته ورحمته فإن الله يغفر للعبد بقوله اللهم اغفر لي فينبغي للعبد أن يحذر كل الحذر من المجازفة والتعدي عليه بلا علم بل ينبغي للعبد أن يكون خائفاً من عقاب الله راضياً بمغفرته ولا يقنط المسلمون من رحمته لأن القنوط من الرحمة سبب لاحباط العمل ويحذر من الكلام الساخط الذي يوقع في المهالك وانت لا تشعر أو أن يتكل على عمله إذا كان له والاعجاب به لأن هذا الاسرائيلي كان عابداً وحملته الشفقة والمناصحة على أن يتكلم بما تكلم به فيحبط عمله لأنه يروى أنه ناصحه قبل ذلك فقال خلني وربي والحديث دليل فضل التوحيد المتقدم في أول الكتاب فراجعه لأن العاصي كان موحداً واللسان من أخطر ما يكون على العبد في العاجل والآجل وأنه يقول الكلمة فتوقعه في المهالك وتنقل وتزرع الأحقاد والأضغان وفي الآجل حيث قال الرسول إن الإنسان ليتكلم بالكلمة من سخط الله فتهوي به في النار كذا وكذا وقال لمعاذ كف عليك هذا وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد السنتهم والله أعلم .

ما يستفاد من الباب :

١ - انه لا يجوز الحلف بالله على عدم المغفرة لأي كان ولو كان فاسقاً .

٢ - لا يجوز أن يقطع لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو المختار .

٣ – القطع بدخول الموحدين الجنة ولو كان لهم ذنوب تحت مشيئة الله .

٤ – لا ينبغي للعبد أن يغتر بكثرة عمله بل يسأل الله الثبات لقصة العابد المذكور .

٥ – إن الإنسان قد يتكلم بكلام يحبط العمل فله مضرة على العبد وخطر .

اسئلة :

١ – ما هي مناسبة ما جاء في باب الأقسام على الله ؟ وما معنى قوله والله لا يغفر الله لفلان سق الرواية الأخرى للحديث ؟ وما معنى التألي عى الله وما هي الأليّة وما هو الحابط .

٢ – إشرح الحديث شرحاً موجزاً وبين ما فيه من أحكام .

***

«م» قوله باب لا يستشفع بالله على أحد من خلقه :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نهكت الانفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال ويحك أتدري ما الله ان شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد . وذكر الحديث رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : انكاره على من قال نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيّراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : انه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله .

الرابعة : التنبيه على تفسير سبحان الله .

الخامسة : ان المسلمين يسألونه الاستسقاء .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الله عظيماً فوق كل عظيم قريباً مجيباً والاستشفاع به على المخلوقين فيه عدم الاجلال والتعظيم لله وعدم تعظيمه واجلاله مناف للتوحيد الواجب له ناسب أن ينبه عليه الشيخ هنا .

المفردات :

الأعراب هم سكان البادية والعرب سكان المدن والقرى ولذا قسموا إلى أعراب وعرب **قوله** جاع العيال الجوع ضد الشبع وهو الاضطرار إلى الأكل وهو شدة المجاعة . **قوله** استسق لنا ربك أي اطلب لنا السقيا فيزول بسبب دعائك فإنا نستشفع بالله عليك أن نطلب شفاعة الله عليك وهذا هو المحرم الممنوع وقال هذه المقالة لجهله وضعف ايمانه وتوحيده وكونه حديث عهد بكفر . **قوله** وبالله عليك . أي نطلب دعاءك وهذا جائز إذا كان المطلوب منه وهو حي حاضر فيدعو الله له . **قوله** سبحان الله . أي انزهه عن هذه المقالة . وهي الاستشفاع بالله على النبي وتكرير التسبيح كعادته ليدل على شدة الإنكار . **قوله** ويحك ، بمعنى ويل بهذا المقال وهي كلمة ترحم وتوجع وتأتي بمعنى المدح والتعجب أن شأن الله عظيم . ثم قال ان عرشه لعلى سمواته لها كذا مثل القبة فالرب يدعى ويطلب منه ويستشفع في دعاء الصالحين ولا يستشفع به على أحد من خلقه لعظمته وجلاله وغناه عنهم وفقرهم إليه .

المعنى الإجمالي :

في هذا الحديث قصة هذا الاعرابي الذي طلب من الرسول عليه الصلاة والسلام ان يستسقي لهم الرب عز وجل ويفرج عنهم ما أصابهم من ذهاب الأموال وإنهاك الأنفس وضعفها وهزال الحلال وجاع العيال لأن الله أخبره ان الرزق في السماء وذلك بنزول المطر فبنزوله تنمو الابل والغنم ويكثر الدر وتخرج الأرض من بركاتها وتستبدل الحال بعد الجوع شبعاً وبعد الضعف والهزال لحماً وشحماً فتتحمل الاثقال للضرب في الأرض كأنواع التجارة ثم أنكر عليه الرسول الاستشفاع بالله عليه لعظمة الله وجلاله وكبريائه حتى سبح مراراً استنكاراً لهذا القول وتنزيها لله ولينزجر هذا لقائل وليكون أوقع للزجر في نفسه ونفس السامعين فالرسول لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله أو تعدي عليها .

أما الاستشفاع بالنبي بطلب الدعاء منه لعل الله أن يغيثهم فقد فعل وقيل انه قال هذه المقالة والرسول على المنبر ثم دعا فلم يخرجوا من المسجد الا وهم يخوضون في الماء أما طلب الدعاء من الصالحين وهم أحياء موجودون فهذا جائز كما فعل عمر مع العباس في طلب الدعاء من العباس عام الرمادة فقد قحط الناس وجهدوا ولم يطلبوا الدعاء من الرسول بعد مماته كما يفعله الجهال ولو كان ذلك جائزاً لفعله عمر والصحابة .

ما يستفاد من الباب :

١ – إن الدعاء مطلوب من الله كل وقت وهو سبب لرفع النوازل من القحط والأمراض والعدو وغيرها .

٢ – شرفه صلى الله عليه وسلم واستجابة دعوته وأنه لما استسقى وهو على المنبر لم يخرجوا إلا وهم يخوضون في الماء قد حسروا ثيابهم .

٣ – طلب الدعاء من الصالحين لا بأس به إذا كان حياً قادراً حاضراً .

٤ – لا يجوز طلب الشفاعة أو السقيا أو غيرها من الأموات وهو نوع شرك .

٥ – دليل طلبها من الصالحين الأحياء فعل عمر ومنعها من الاموات أن عمر لم يطلبها من النبي مع قربه منهم وهو في قبره .

٦ – ان المنكر لا يجوز اقراره ولو كان من جاهل لفعل الرسول بالإنكار على الاعرابي .

٧ – عظم ذنب من استشفع بالله على أحد من خلقه .

٨ – استواء الله على عرشه وانه فوق كل شيء .

٩ – ان العرش عظيم بالنسبة للمخلوقات .

أسئلة :

١ – ما هي مناسبة باب لا يستشفع بالله على خلقه في هذا الكتاب ؟

المفردات : فرق بين الأعراب والعرب ، معنى جاع العيال . ما معنى استسق لنا ربك . ما هو الجائز والممنوع في قول الاعرابي فإنا نستشفع بك على الله فبالله عليك ؟ لماذا سبح الرسول وما معنى ذلك ، وما معنى ويحك ثم اشرح الحديث شرحاً إجمالياً وبيِّن ما فيه من أحكام .

* * *

« م » قوله باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك ، عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى قلنا وافضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان رواه أبو داود بسند جيد. وعن انس رضي الله عنه أن ناساً قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان . أنا محمد عبد الله ورسوله ما احب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له أنت سيدنا .

الثالثة : قوله لا يستجرينكم الشيطان مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

قوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي .

« ش » **المناسبة** : لما كان لكل شيء حمى يحميه عما يخالطه وكان هناك أشياء إذا قالها العبد نقصت توحيده كالسيد والمولى وما شابهها مع الاختلاف جوازها فكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يحمي جناب التوحيد عن كل ما يشوبه من شائبة تدنسه فناسب أن يعقد لها الشيخ بابا خاصاً لتجتنبها لئلا تشوب توحيدك بشائبة تنقصه ومعنى الحمى والحماية هي حماية التوحيد من الألفاظ التي تقدح فيه وتشوب خلوصه ومعنى حمى الشيء يحميه عن التعدي عليه والقربان .

المفردات :

السيد : تعريفه المتقدم على غيره وسيد القوم لتقدمه عليهم قوله فقال السيد الله لأنه هو الكامل في السؤودد وهو الذي تقصده الخلائق بحاجاتها فيستحق ذلك اعظاماً له . قوله «وأفضلنا فضلاً الرسول أفضل من طلعت عليه الشمس وغربت . قوله وأعظمناطولاً فهو أعظم الناس قولاً وفعلاً وحسباً ونسباً بالنسبة للبشرية فقال قولوا بقولكم هذا تأدباً من النبي وحماية للتوحيد والا فهو سيد ولد آدم . قوله ولا يستجرينكم الشيطان . برفعه فوق منزلته التي أنزله الله .

المعنى الإجمالي :

لما كانت السيادة الحقيقية لا تصلح إلا لرب العالمين فلا يجوز أن ينازع فيها لكمال صمديته وسؤدده كما فسر به قوله تعالى الله الصمد . قل أغير الله أبغي رباً أي الاهاً وسيداً فاذا نسبت السيادة إلى المخلوقين مع أنها نسبة تليق بهم وفقرهم وحاجتهم إلى السيد المطاع الذي هو الله كان فيه عدم التأدب مع جانب السيادة المطلقة لرب العالمين مع أن السيد ليس من أسماء الله لكن رفع المخلوق إلى هذه الدرجة فيه غلو واطراء زائد على القدر يجر من تسمى به إلى الكبر والعجب ويهلك بسبب ذلك وقد قال عليه الا الصلاة والسلام إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ولما مدح رجل رجل آخر قال له لقد كسرت عنق صاحبك ولما كملت في الرسول العبودية الخاصة كره ذلك لئلا تدنس تلك العبودية والا هو خير الناس وأفضل ولد آدم وله المقام المحمود وإذا جاز أن يسمى السيد به غيره فهو أولى فتواضع صلى الله عليه وسلم واحترم جانب الربوبية .

ما يؤخذ من الباب :

١ - انه لا ينبغي للعبد أن ينازع الرب في السيادة ولو بمجرد التسمية .

٢ - ان ترك اطلاق لقب السيد أولى وللعلماء في ذلك خلاف :

(أ) ذهب مالك إلى المنع مستدلاً بقول الرسول السيد الله تبارك وتعالى .

(ب) وجوزه آخرون مستدلين بقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار قوموا لسيدكم يعني

سعدا قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن وهذا أصح ثم قال فإن السيد إذا اطلق عليه تعالى فهو بمنزلة المالك والولي والربّ لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق انتهى مختصراً أقول الذي يطلق على المخلوق بمعنى سيادة الرياسة فهو رئيس القوم والله أعلم .

اسئلة :

١ - ما هي مناسبة ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد هنا وبين معنى الحمى ومن هو السيد ، وفرق بين السيادة إذا أطلقت في حق الرب وحق المخلوق ثم بيِّن معنى قوله وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، وما معنى ولا يستجرينكم الشيطان ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكام .

***

« م » **قوله باب ما جاء في قول الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة الآية .**

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد ان الله يجعل السموات على أصبع والأراضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجزه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حتى قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك أنا الله وفي رواية البخاري يجعل السماوات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع أخرجاه ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأراضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك اين الجبارون أين المتكبرون وروي عن ابن عباس قال ما السموات والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس قال وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الأرض وعن ابن مسعود قال بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي رحمه الله . قال وله طرق وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين السماء والعرش بحر بين اسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم أخرجه أبو داود وغيره .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» .

الثانية : ان هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة : إن الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والأرضين في اليد الأخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله كخردلة في كف أحدكم :

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة للكرسي .

الحادية عشرة : ان العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء وسماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : ان العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : ان الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : ان البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة والله أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه آجمعين .

« **ش** » **المناسبة** : لما كان الكتاب توحيداً لرب العالمين وما ينبغي له من عبادة وتوحيد وما لا يجوز من عبادة غيره وفضائل التوحيد وثوابه أنه الجنة وعظم الشرك وأنه يجر إلى النار إلى آخر ما جاء في الكتاب ناسب أن يختم الكتاب بشيء من عظمة الباري وذكر شيء من صفاته العظيمة الذاتية والفعلية وعلوه على عرشه واحاطته بالمخلوقين لتستحضر عظمته وتجرد التوحيد وتخلصه من شوائب الشرك القولية والفعلية وأن ينزه عن الإلحاد أو الحلول أو غيره مما ينافي عظمته وأن هذا الرب العظيم هو الذي يستحق أن يعبد على الحقيقة والله أعلم .

المفردات :

قوله تعالى وما قدروا الله حق قدرة ما عظموه حق تعظيمه حتى عبدوا غيره معه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة . القبض في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك والله يقبض الأرض يوم القيامة على ما يليق به بل يجعلها على أصبع كما قال تعالى والسموات مطويات بيمينه والطي ضد النشر سبحان الله أي تنزيها لله وتعالى تقدس عما يشركون أي ينزهه عن الشرك وعن تعظيم غيره من سائر المعبودات .

المعنى الإجمالي للآيات الكريمة :

ذكر الله سبحانه ان الكفار لم يقدروا الله حق قدرة ولم يعظموه حق تعظيمه لأنهم لو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا معه غيره من الآلهة والمعبودات ومما يدلك على عظمة الله صفاتٍ وذاتاً وقدرة أنه إذا كان يوم القيامة طوى السموات والأرض والشجر والجبال وسائر الخلائق وهو يحمل كل واحدة من هذه على أصبع فيهزهن فيقول أنا الملك أنا الله أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون لكن هؤلاء المشركون قد ألحدوا واشركوا من المعبودات والأشخاص والصالحين بل والطالحين وكل هؤلاء قد نزه الله نفسه عما ارتكبوا من الشرك والعدول عن الحق إلى الضلال ومن الرشد والثواب إلى الغي والباطل .

ما يستفاد من الآية :

١ – ان المشركين لم يقدروا الله حق قدره ولو قدروه ما أشركوا معه .

٢ – ان الله عظيم ذاتاً وقدرة وصفة لأنه يطوي السماوات ويحملها على أصبع وكذا سائر المخلوقات كما يأتي .

٣ – ان الله يقبض الأرض كما يحملها على أصبع دليل على عظمة الله .

٤ – يجب على الخلق تعظيم الله وأن ينزهوه عن الشرك .

٥ – يجب على العبد إذا رأى آثار الشرك أو سمع بها أن ينزه الله .

قوله في حديث بن مسعود جاء حبر من الأحبار والروايات بعده إلى آخره .

معنى ذلك إجمالياً :

الأحاديث فيها تعظيم الباري جل وعلى ذاتاً وقدرة وأنه يجعل هذه المخلوقات مع عظمتها يجعلها على أصبع فسبحان من لا تقدر الخلائق قدره وقدرته ولم يعظموه تعظيماً يليق بجلاله وكبريائه وهذه الأحاديث فيها تفصيل للآية المتقدمة من قبضة السموات والأرض بيمينه حيث بين صلى الله عليه وسلم أنه يجعل كل شيء من هذه المخلوقات على أصبع فالأرض على أصبع والسموات مع عظمتها وسعتها على أصبع والشجر والجبال وسائر الخلق على أصبع وفي بعض الروايات زيادة فيهزهن ويقول أنا الملك أنا الله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر فأخذ يقبل ويدبر بيده يقول الرسول يمجد الرب نفسه مع أنه ورد أنه يقول أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به وفي بعض الروايات ان الله يطويها طياً كما تطوى الصحيفة وهذا والله أعلم وقت تبديلها يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات كما في الأحاديث اثبات اليمين والشمال وكلتا يدي الله يمين مع تخصيص الجبارين والمتكبرين بالذكر دون غيرهم لأن الجبار والمتكبر قد نازع الله في كبريائه وملكوته وجبروته وفي الآثار ما يدل على ان الأرضين سبع كالسموات فسبحان من لا يقدر الخلائق قدره ولم يعبدوه حق عبادته فلذا لما جاء الحبر وأخبر الرسول بالخبر المتقدم صدقه وضحك تقريراً لما قال وجاء ذلك موافقاً لقوله تعالى ما قدروا الله حق قدره .

ما يستفاد من الأحاديث :

١ – إثبات عظمة الله ذاتاً وقدرة بحمله السموات والشجر والجبال والماء والثرى على أصبع .

٢ – اثبات اليد والكف والأصبع للرحمن يد وكف تليق بجلال الله .

٣ – اثبات اليمين والشمال لله وكلتا يدي الله يمين .

٤ – قبول الحق ممن جاء به إذا وافق الكتاب والسنة لقبول الرسول لقول الحبر .

٥ – اثبات أن الأرضين سبع كالسموات .

٦ – خصص الجبارين والمتكبرين دون من سواهم ذما لهاتين الخصلتين .

٧ – اثبات هذه الصفات لله ولا تشبه ولا تمثل بصفات المخلوقين بل على حد قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قوله عن ابن عباس قال ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم إلى آخر الروايات .

المفردات :

السماء اسم لما ارتفع وعلا والكرسي موضع القدمين للرحمن بين يدي العرش والدرهم هو ضرب إسلامي مقداره خمسون حبة شعير وخمسا حبة . قوله ترس عرف بأنه صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف . قوله والعرش . العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى ولها عرش عظيم . والعرش هنا هو أعلى المخلوقات والله مستو عليه لا تجيط به الخلائق وهو سقف المخلوقات أيضاً .

قال تعالى ذو العرش المجيد فهو الواسع . وقال تعالى وهو رب العرش الكريم وليس هو فلكاً كما يقوله بعض الفلاسفة انه الفلك التاسع ولا تفهم منه العرب ذلك والقرآن انما نزل بلغة العرب فهو سرير عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة كما في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات ولذا قال أمية بن أبي الصلت :

مجـــــدوا الله فهـو للمجـــد أهـــل ... ربنـــــــــــــــا الله أمسى كبيراً
بـــــالبنــــاء العـــالي الـــذي بَهَر النّا ... سَ وسوى فوق السمـــــــــــاء سريراً
شرجعـــــــا لا ينـــــالـــــه بصر العين ... ترى حولـــــــــــــــــه الملائك صوراً

والله عز وجل مستو على عرشه بائن من خلقه وليس هو محتاج إلى العرش ولا ما دون العرش بل الجميع محتاج إلى الله ولا يقدر قدر العرش إلا الله ولذا وصفه بالمجيد وهو الواسع العظيم .

المعنى الإجمالي :

الأحاديث تدل على عظم الكرسي بالنسبة للسموات مع عظمتها وسعتها فإنها تبهر العقول وتحير الأفكار ويرتد البصر خاسئاً وهو حسير عن أن يصل إلى معرفة أو كُنْه هذه المخلوقات إلا من بصره الله فيستدل بها على عظمة خالقها وجلاله وقدرته فيعبده حق عبادته وينيب إليه ويعلم أن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق مصرف مدبر فيدعوه ويرجوه وينيب اليه راغباً راهباً كما قال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير. فالعبد اللبيب العاقل يستدل على عظمة هذه السموات بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم فما بالك بعظمة العرش كما أن الكرسي وسع السموات والأرض وهو بين يدي العرش وقد قال صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى ان عرشه لعلى سماواته لهكذا وقال بأصبعه مثل القبة يئط به كما يئط الرحل بالراكب فتبارك من خلق كل شيء فقدره تقديراً .

ما يستفاد مما تقدم :

١ – عظم الكرسي بالنسبة للسموات مع سعتها وأنها كدراهم سبعة في وجه فلاة من الأرض .

٢ - عظم العرش بالنسبة للكرسي وان الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض .

٣ - ضربه الأمثال لأصحابه تقريباً لأفهامهم .

قوله في حديث بن مسعود قال بين السماء الدينا والتي تليها خمسمائة سنة برواياته المختلفة وحديث العباس بن عبد المطلب أيضاً .

معنى ذلك اجمالياً :

جاء في هذه الآثار عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ارتفاع السماء عن الأرض هذه المسافة وأنه خلقها تبارك وتعالى وخلق الأرض في ستة أيام وما فيها من أشجار وجبال وأنهار ثم استوى على العرش ثم في الأحاديث بعد ما بين السماء الدنيا عن الأرض وأنه خمسمائة عام وكثفها أي سمكها كذلك وبعد كل سماء عن سماء خمسمائة عام ثم معرفة ان بين السماء السابعة والكرسي مثل ما بين كل سماء إلى سماء وبين الكرسي والماء مثل ما بين سماء إلى سماء والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولذا قال عبد الله بن رواحة :

شهـــدت بـــأن وعـــد الله حق	وان النـــار مثوى الكـــافرينا
وإن العرش فوق الماء طـــافٍ	وفوق العرش رب العـــالمينا
وتحملـــه ملائكـــة كرام	ملائكـــة الالـــه مسومينا

وآن الآن أن أنقل لك بعض أقوال الباحثين والآثار التي نقلوها في استواء الله على العرش وانه حق على حقيقته استواء يليق بجلاله وعظمته قال الامام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وقد ورد ذكر الاستواء في سبع مواضع من القرآن كما قاله شيخ الاسلام في سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال تعالى في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وفي سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن وقال في سورة الحديد وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وفسر العلماء ان الاستواء بمعنى العلو والارتفاع والصعود والاستقرار ولذا قال ابن القيم رحمه الله :

ولهم عبـــارات عليهـــا أربـــع	قـــد فصلت للفـــارس الطعـــان
وهي استقر وقـــد علا وكـــذا الار	تفـــاع الـــذي مـــا فيـــه من نكران
وكـــذاك قـــد صعـــد الـــذي هو رابع	وأبـــو عبيـــدة صاحب الشيبـــان

فالرب عز وجل له العلو المطلق بكل وجه واعتبار علو القهر وعلو القدر وعلو الذات فكل هذه ثابتة له تبارك تعالى وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر والذين انكروا الاستواء الجهمية المعطلة فقد صرفوا اللفظ القرآني إلى تأويلات ابتدعوها لم يعرفها الصدر الأول من الصحابة ومن بعدهم إلا الجهم ومن أخذ عنه الجعد بن درهم ومن وافقهم من اتباعهم من المعتزلة والاشاعرة فقالوا استوى استولى وهذا مردود بظاهر القرآن الذي يدل دلالة قاطعة تلقاها علماء الأمة بالقبول على استواء الله على عرشه وهو مذهب الأئمة كالأوزاعي وأحمد والشافعي ومالك وأمثال هؤلاء كالبخاري وسفيان وابن معين وأئمة المحدثين والعلماء وأول من تكلم بمذهب الجهمية الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري ثم أخذها عنه الجهم ثم الجهمية انقسموا إلى أقسام فمنهم من قال هذا القول ومنهم من كان حلولياً يرى أن الله حال في كل مكان ذاتاً ومكاناً ووجوداً وهم من الجهمية حكى هذا القول الكعبي عن النجاد ومنهم من عطل الله فقال لا ندري أين الله فلا هو داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل وهذا قال به بعض الباطنية والقرامطة والمعطلة ومنهم من قال ان الله عين هذا الوجود وهم أهل وحدة الوجود وإمامهم ابن عربي صاحب الفصوص ومقالاتهم وأخبارهم والرد عليها يطول والمقصود الاشارة إلى ذلك وأما أهل السنة فيعتقدون أن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه مطلع عليهم وهو معهم اينما كانوا بعلمه كما في قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا .

فهذه معية الله لعبادة معية اطلاع ثم المعية تنقسم إلى قسمين معية عامة لجميع الخلق ومعية خاصة لعباده المؤمنين كما في قصة موسى وهارون انني معكما اسمع وأرى وكما في قصة محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وأما الذين وصفوه بأنه لا داخل العالم ولا خارج العالم فهذا أقرب شيء لوصفه بالمعدومات أو الممتنعات كما هو مذهب القرامطة والعياذ بالله ولما ذكر شارح الطحاوية الاستدلال على علو الله على خلقه بنحو من عشرين وجهاً قال وهذه الآراء من الادلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل والله الموفق الهادي للحق الهمنا الله الحق والصواب .

ما يستفاد من البحث المتقدم على الأحاديث :

١ — وجوب اعتقاد ارتفاع السماء وأن بينهما هذه المسافة خمسمائة عام .

٢ — وجوب اعتقاد ان السموات سبع وان بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام .

٣ — وجوب اعتقاد ان كثف كل سماء كبعد ما بين سماء إلى سماء .

٤ – ان فوق السماء السابعة الكرسي وأنه محيط بالسموات وبينه وبين السماء السابعة خمسمائة عام .

٥ – ان بين الكرسي والعرش بحراً طول ما بين أسفله وأعلاه خمسمائة عام .

٦ – ان العرش عظيم واسع لا يقدر قدره إلا الله .

٧ – استواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته وهو مطلع على أعمال العباد سرها وعلانيتها وهو معهم اينما كانوا .

٨ – وجوب الايمان بالاستواء كما جاء عن الله وعن رسوله ولا يقال كيف استوى ولا يجوز وصف الله بخلقه في الاستواء ولا غيره .

٩ – معرفة معنى الاستواء وأنه بمعنى علا ومعنى ارتفع ومعنى صعد ومعنى استقر .

١٠ – الرد على الجهمية بالأدلة من الكتاب والسنة ومفهوم لغة العرب .

١١ – ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر ان الاستواء غير معروف بلغة العرب وكذا الصحابة ومن بعدهم من الائمة والتابعين رضي الله عنهم .

اسئلة :

١ – بين المفردات الآتية وما قدروا الله حق قدره وما معنى والأرض قبضته يوم القيامة وما معنى والسموات مطويات بيمينه وما معنى سبحان الله عما يشركون ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيّن ما فيها من الأحكام .

٢ – حديث ابن مسعود قال جاء حبر من الأحبار إلى آخر الروايات – بين ما يستفاد من الأحاديث من الأحكام وما معنى المفردات الآتية :

السماء – الكرسي – عرّف الدرهم – وما هو الترس ؟ تكلم عن العرش على حسب ما مر بك لغة ومعنى ، وبين ما يفهم من كلام العرب عن العرش وأورد كلام الأئمة في ذلك واشرح معنى الحديث . ما السموات السبع في كف الرحمن ، وحديث ما السموات السبع في الكرسي وحديث ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد . إشرح ذلك شرحاً مجملاً ثم بين ما يدل عليه من الأحكام .

٣ – إشرح حديث ابن مسعود قال بين السماء الدنيا والتي تليها إلى آخره . ثم استدل على استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه من الآيات والأحاديث وكلام السلف وبين مذهب المخالفين وغيرهم مع معرفة من أول من تكلم بمذهب الجهمية وبين مذهب الغلاة وغيرهم ووجه الرد عليه . وبين معنى الاستواء وهل يجوز تكييف استواء الله على عرشه . وما رد مالك ومن قبله على من قال كيف استوى .

قسم المعية :

ثم بحمد الله وتيسيره ما جمعته ونقلته على كتاب التوحيد من الكتاب والسنة وكلام العلماء أحكاماً ولغة ومعاني وقد صغت أكثر ما نقلته بأسلوبي ما عدا المتن فإنه على ما هو عليه فإن يكن صواباً ما نقلته في الله فهو الموفق للصواب لا رب سواه وان كان خطأ فمني ومن عثرات القلم والإنسان محل النسيان ومحل الظلم والجهل والله يقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .

وانا الفقير إلى الله عبده الضعيف عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي .

واسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه . وصلى الله عليه وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

حرّر في

١٣٨٧/٨/٣٠هـ .

الفهرس

الموضوع

والله أعلـــم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com